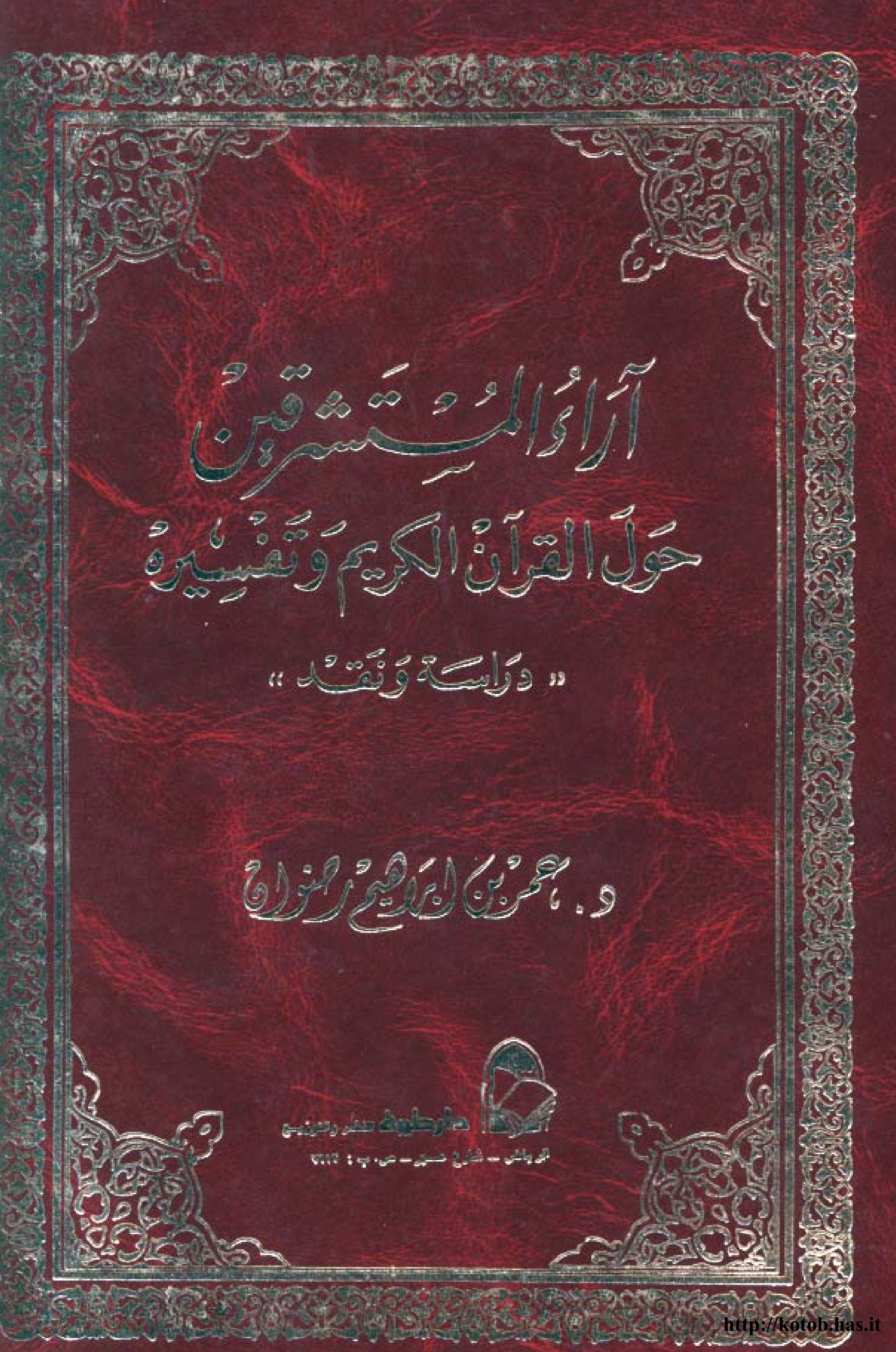
آراء المستشرقين
حول القرآن الكريم وتفسيره
« دراسة ونقد »
د. عمر بن إبراهيم رضوان
دار طيبة للنشر والتوزيع

آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره

« دراسة ونقد »

د. عمر بن إبراهيم رضوان

هذا الكتاب كان بحثا للدكتور
لنيل درجة الدكتوراه من جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية

بإشراف
د. مصطفى مسلم

الجزء الثاني

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض ـ شارع عسير ـ ص. ب : ٧٦١٢
تليفون : ٤٢٥٩٧٤٠ / ٤٢٥٤٩٣٧

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار طيبة

الرياض — شارع عسير — ص.ب. ٧٦١٢

المملكة العربية السعودية

الفصل الرابع

شكل القرآن الكريم ومضمونه وشبههم حوله

المبحث الأول

تقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا

المبحث الثاني

عناصر السورة وما أثير حولها من شبهات

المبحث الثالث

ترتيب سور القرآن الكريم

الفصل الرابع

شكل القرآن الكريم ومضمونه وشبههم حوله

المبحث الأول :

تقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا :

زعم المستشرقون أن القرآن الكريم من أجل سهولة تلاوته قسم ثلاثون جزءا لتتلاءم مع عدد أيام شهر رمضان – حسب تعبير الموسوعة البريطانية – .

وقال « بلاشير » : إن تقسيمه كان لمجرد الباعث العملي وتسهيلا لتلاوته في الاحتفالات الدينية[1] .

الجواب :

هذا الكلام بجملته بعيد كل البعد عن الدقة والموضوعية فتقسيم القرآن الكريم إلى ثلاثين جزءا كان إجراءا متأخرا كثيرا عن نزول القرآن . أما فرضية رمضان ، ونافلة التراويح كان ذلك في عهد الرسول – ﷺ – ولا ريب أن المسلمين كانوا يحفظون القرآن ، ولا يجدون في ذلك صعوبة ولا عسرا قبل أن يجزأ القرآن إلى أجزاء ، وكانوا لا ريب كذلك يصلون التراويح وهي النافلة الرمضانية قبل أن يجزأ القرآن كذلك .

فربط التجزئة بشهر رمضان أو المواسم الدينية بعيدة عن الحقيقة والمنطق والتطبيق العملي ، بل بعيد حتى عن روح هذا الدين لأن اهتمامه دائما بالجوهر لا بالشكليات . والمسلمون مطلوب منهم أن يقرءوا القرآن في صلاتهم وفي صلاة

---

(١) قضايا قرآنية صـ ٣٣ ، والقرآن – لبلاشير طبعة دار الكتاب اللبناني – بيروت صـ ٣٨ .

التراويح في رمضان وغيرها من العبادات وأوقات الفراغ بقدر نشاطهم ، وظروف القارىء والمصلين من بعده لأن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه[1] .

أما تجزئة القرآن لأجزاء ، وأحزاب ، وأرباع ، وسور ، وآيات ، ففي ذلك فوائد كثيرة لايدركها أمثال هؤلاء المستشرقين وقد ذكرها العلماء في مؤلفاتهم ، من هذه الفوائد التي ذكروها :

١ - أن التجزئة للقرآن الكريم يدل على مقدار الاهتمام والعناية التي بذلت لهذا القرآن الكريم فيزداد المسلم له طمأنينة . وهي خاصية امتازت بها هذه الأمة في اعتنائها بكتاب ربها عز وجل بعكس الأمم السابقة .

٢ - تعرف المسلم على بداية كل جزء ونهايته ، وأنصاف القرآن وأرباعه .. إلخ وهذا تسهيل عليه لحفظه فيزداد المسلم رغبة في تلاوته . لأنه كلما أنهى سورة أو جزءا كان أنشط له للدخول في التي تليها فيزداد في التحصيل من الحفظ لكتاب الله سبحانه ويسهل عليه الوقوف على معانيه والعمل به .

٣ - أن الحافظ إذا حفظ السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس - رضي الله عنه - « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا »[2] إلى غير ذلك من الفوائد التي لم أذكرها خيفة من الإطالة .

المبحث الثاني :

عناصر السورة وما أثير حولها من الشبه :

المسألة الأولى : حول معنى كلمة سورة :

زعم « بلاشير » أن معنى كلمة سورة لفظة غامضة نجدها في بعض الآيات

---

(١) (قضايا قرآنية) بتصرف صـ ٣٣ - ٣٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٣ / ١٢٠ .

المكية[1] .

الجواب :

كلمة « سورة » كلمة معروفة في العربية ولا غموض فيها كما زعم « بلاشير » .

والسورة : فيها لغتان بالهمز وبدونه وهو الأشهر .

وقيل : في معناها أقوال منها : أنها من السور وهو حائط المدينة المشتمل عليها كذلك .

إن كلمة « سورة » القرآنية ليست غامضة ، بل هي مشتقة من كلمة سور ، كأن كل مجموعة من الآيات محاطة بسور معنوي لا يسمح لنقطة أو لحرف من غيرها بالدخول فيها ، أو بشيء منها بالخروج منها ، وهذا كناية عن الحفظ والعصمة[2] .

وهذا هو الاسم القرآني سورة مما امتاز به هذا القرآن العظيم على ما كان معهودا عند العرب .

نقل السيوطي عن الجاحظ قوله : [سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل :

سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا ، وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية] .

وذهب الإمام السيوطي – رحمه الله – أن أسماء السور توقيفية[3] .

---

(١) القرآن – بلاشير صـ ٢٨ .

(٢) نفس المرجع (المعلق) ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير محمد الصباغ المكتب الإسلامي صـ ٤٣ .

(٣) نفس المرجع – (المعلق) ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير صـ ٤٣ .

المسألة الثانية : عناوين السور :

ذكر أصحاب الموسوعة البريطانية : [أن السورة تحتوي على العناصر الآتية :

١ - العنوان وهذا مشتق من كلمة واضحة جلية في السورة مثل البقرة والنحل والشعراء ، وحيث لا يدل العنوان على محتويات السورة[1] .

الجواب :

عبارة « العنوان » لا يدل دائما على محتويات السورة فهو بحاجة إلى بيان فبعض العلماء يعتبر أسماء السور توقيفية ، أي لا مجال فيها لاجتهاد ، ولا يمنع أن يكون هناك أسماء توقيفية استنبطها العلماء من موضوع السورة كتسمية سورة النحل بسورة النعم ، وذلك لما ذكر فيها من نعم الله الكثيرة على الناس . وتسمية سورة الحجرات بسورة الآداب ، وذلك لأنها اشتملت في معظمها على توجيهات وآداب لابد منها للأفراد والجماعات ..

وإذا كانت عناوين هذه السور لا تدل لأول وهلة على محتويات هذه السور ، فمما لا ريب فيه أن عنوان السورة إنما يشير إلى قضية بارزة فيها تدور جميع موضوعات السورة حولها . فسورة براءة مثلا كانت في معظمهاحديث عن المشركين والمنافقين ، الذين لابد أن يتبرأ منهم المسلمون ، وذلك لأسباب كثيرة ذكرتها السورة ، وسورة نوح كانت كلها حديثا عنه مع قومه عليه السلام ، وسورة الجن كانت حديثا عن الجن ، وهكذا .. فكثير من السور عنوانها يدل على محتواها .

أما ما يجده بعض الناس من عناوين لبعض السور لا تدل على موضوعاتها فإن ذلك يحتاج منهم إلى إمعان نظر وإجالة فكر فيجدوا هناك نقطة أو قضية أرادت السورة إبرازها والتأكيد عليها لأنها من الأهمية بمكان ، لذا عنونت بها .

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٣٨ .

فسورة البقرة مثلا إشارة إلى قصة البقرة التي ذكرت لتخدم غرض السورة الرئيسي وهو قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى فجاءت قصة إبراهيم عليه السلام وقصة عزير لتخدما هذا الغرض الرئيسي نفسه .

كما أن السورة ذكرت موقف بني إسرائيل من هذه القصة ومن غيرها ، فذكرت أمورا لم تذكرها كتب بني إسرائيل ، وصورت نفسيتهم خير تصوير وموقفهم من أنبيائهم ؛ وذلك ليتعرف المسلمون على هؤلاء القوم وأخلاقهم فيعرفون كيف يتعاملون معهم .

وسورة آل عمران إذا أمعنا النظر فيها نجدها تتحدث عن آل عمران في أكثر أجزائها ، مريم ، والمسيح – عليهما السلام – .

وسورة النساء كانت أبرز موضوعاتها النساء وحقوقهن أيا كانت هذه الحقوق وهكذا بقية هذا الصنف من السور .

فاسم السورة – العنوان – ليس كما يقول المستشرقون لا يدل على محتويات السورة بل كل عنوان أشار إلى موضوعات السورة تمام الدلالة . أو أشار إلى جوانب بارزة في السورة يريد الله سبحانه إبرازها وإظهارها[1] .

وقدكان « بلاشير » أكثر صراحة منهم حيث قال : [لقد ترسخت العادة منذ زمن بعيد أن يطلق على كل سورة عنوان يستخرج غالبا من أول آية فيها ، أو من قصة موسعة ، أو من عنصر راسخ أو من إشارة عرضية موجودة في السورة ، كما في السورة الثانية المسماة « البقرة » ويبدو أحيانا أن تسميات مختلفة قد أطلقت على السورة الواحدة تبعا للاهتمامات الدينية والأخلاقية المختلفة][2] .

وهكذا نجد أن عنوان السورة لم يكن عبثا ، وإنما وضع واختير لغاية ولهدف مقصود مما يدل أن دوائر المعارف تتبنى الأقوال التي فيها إساءة للإسلام في بعض القضايا مع وجود أقوال أكثر اعتدالا .

---

(١) انظر كتاب أستاذي د / فضل عباس قضايا قرآنية صـ ٣٩ – ٤١ (بتصرف) .
(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٠ – ٤١ .

المسألة الثالثة :

الحروف المقطعة :

زعم « جرجس سال » أن هذه الحروف لغو لا فائدة فيها وهذا يخالف كون القرآن الكريم هدى وبيان . وقد غاب معناها حتى عن الراسخين في العلم فالخطاب بها كالخطاب بالمهمل .

وذكر بعضهم أن هذه الحروف مما وضعه كتبة محمد من اليهود .

وذكر أصحاب دائرة المعارف البريطانية أنها اختصار لكلمات أو أن لها أهمية سحرية(١) .

وكل كلامهم هذا ليستدلوا منه أنه ليس بكلام الله سبحانه(٢) .

أما بعض المستشرقين فقد اعتبر أن هذه الحروف لها معان ودلالات فقد زعم « هيرشفيلد » و « نولديكة » وغيرهما أنها اختصار لأسماء الأشخاص الذين سبق لهم تدوين بعض السور ، أو جمع شيء من القرآن .

١ - أما « أدوارد جوستر » فزعم أن هذه الحروف اختصارات لعناوين لم تعد تستعمل لتلك السور(٣) .

الجواب :

هذه الحروف قد نالت عند العلماء من التوضيح والشرح والعناية ما تستحق . فهي ليست كما زعم « سال » لغو لا معنى لها ، أو لها أهمية سحرية فحسب على رأي أصحاب الموسوعة البريطانية . بل إن العلماء وبعض السلف - رضوان الله عليهم - كابن عباس من رواية أبي ظبيان ، والشعبي ، والثوري ،

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٤١ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٤٧ - ٤٨ .

(٣) مقدمة القرآن واط صـ ٦٣ .

وبعض علماء الخلف كأبي حيان ، والسيوطي ، والشوكاني ، عدوها من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ، وخفي على الخلق معرفته ، ومع هذا فقد أثبتوا لها معنى خفي على الخلق معرفته وأسره الله عنده ابتلاءا واختبارا لإيمانهم، وهذا في حد ذاته لون من ألوان البيان والهدى ، ففيه يُعرف المؤمنون من المنافقين لأن الإيمان بالغيب والمتشابه من القرآن من أركان الإيمان .

إلا أن « سال » ومن قال بقوله من المستشيرقين يزعمون أن هذه الحروف لا معنى لها بلا دليل علمي . أو لفهمهم معنى المتشابه فهما خطأ .

وقد ذكر علماء المسلمين لهذه الحروف ما يقرب من واحد وعشرين قولا أشهرها :

١ - إسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها وهو منسوب لابن عباس - رضي الله عنهما - .

٢ - سر من أسرار هذا الكتاب ، والقرآن كتاب سماوي لابد أن يكون له أسرار كأي كتاب سماوي .

٣ - اعتبرها ابن جني للفصل بين السور[١] .

٤ - أسماء للسور القرآنية .

٥ - للتنبيه « كياء النداء » والتحدي وذلك لما أعرض المشركون عن سماع القرآن أنزل الله هذه الحروف ليستغربوها لعدم تعودهم عليها فيفتحوا آذانهم لها ولما بعدها من القرآن الكريم ، وأما جانب التحدي فيها فلأن هذه الحروف منها يتكون كلام العرب ومع هذا عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن . أو بشيء منه فثبت عجزهم وقامت عليهم الحجة .

وهذا قول المبرد وقطرب[٢]. وهذا القول هو أرجحها . والله تعالى أعلم .

---

(١) براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور د. محمد بدري صـ ٩٨ .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ٧/٢ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٩٥/١ .

أما قول «هيرشفيلد» وغيره إنها اختصار لأسماء الأشخاص الذين سبق لهم تدوين بعض السور أو جمع شيء من القرآن فيرد عليه بما يلي :

إن العمدة في فهم ومعرفة هذه المعاني وهذه الحروف يعتمد على النقل وعلى ملاءمته لروح العربية .

٢ – لم يستطع أصحاب هذا الرأي أن يجدوا اسما لكل حرف في (ألم) فأطلقوها على شخص واحد هو المغيرة وهذا خروج عن القاعدة المطردة عندهم أن كل حرف يطلق على شخص كـ (ص) لحفصة ، و (ن) لعثمان وهكذا[1] .

فهذا ينقض دعواهم ويبطل قولهم ، ويظهر التناقض في آرائهم .

٣ – لو كان هذا الأمر صوابا كما زعم « هيرشفيلد » ومن قال بقوله لما تأخر اكتشافه ، ولجاء على لسان السلف والخلف من علماء الإسلام الذين بذلوا قصارى جهدهم في كشف أسرارها والتعرف على معانيها .

أما نولديكة فقد كان يقول برأي « هيرشفيلد » أنها أسماء ، لجمعة القرآن ، ثم عدل عن هذا القول لرأي « سال » أنها سحرية ولا معنى لها ، ثم استقر به الرأي في مقالاته المتأخرة ، أنها تقليد لكتابة الكتاب السماوي الذي كان ينقل إلى محمد من اليهود[2] .

فقوله الأول أنها أسماء لجمعة القرآن ، والثاني أنها سحرية لا معنى لها قد رددنا عليهما ولا دليل عليه ، بل هي من جنس حروف الهجاء ، فهي معروفة لكل عارف بالعربية . أما تعليقي على القول الثالث :

فالناظر في كتاب (تاريخ القرآن الكريم) لـ« نولديكة » يجد أنه يحاول أن يرد كثيرا من تعاليم الإسلام لليهودية . وقد رددت على هذا الرأي في باب

---

(١) انظر مقدمة القرآن – واط – صـ ٦٣ .

(٢) انظر مقدمة القرآن – واط – صـ ٦٤ .

المصادر .

والذي يزيد هذا القول بطلانا أن هذه الحروف لم تنزل في كتاب سماوي سبق نزوله القرآن الكريم ، فهي مما تفرد به هذا القرآن الكريم .

ولو كانت معروفة عند اليهود – كما زعم نولديكة – لما سكت عن ذلك اليهود ولكشفوا هذه السرقات من كتبهم . كما أن هذه الحروف كان نزولها في مكة قبل اختلاط المسلمين باليهود[1] .

إلا إذا قصد « نولديكة » ما كان معروفا عند اليهود « بحساب الجمل » بأن يحولوا الحروف العربية لأرقام حسابية والذي تأثر به بعض المفسرين المسلمين الذين تأثروا بالثقافة اليهودية فهذا قول باطل على كل من قال به . وقد رده كثير من المفسرين والعلماء من المسلمين . والمعروف أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا شديدي الحرص على كتاب الله سبحانه فلا يسمحوا بدخول شيء إليه من اليهودية أو غيرها ولا بنقصان شيء منه .

أما ما ذكره « أدوارد جوستر » أن هذه الحروف اختصارات لعناوين سور لم تعد تستعمل اليوم فهذا القول ليس جديداً بل هو لزيد بن أسلم كما ذكره عنه أبو حيان في تفسيره[2] . وهو قول قرره أكثر المتكلمين فهو اختيار الخليل ١٧٥ هـ وسيبويه ١٨٠ هـ . حتى إنه عقد له سيبويه بابا لأسماء السور ، وقال به يونس ١٨٧ هـ ، وذهب إليه أبو عبيدة وابن قتيبة ٢٧٦ هـ والرازي ودافع عنه وذكره ابن جرير ٣١٠ هـ ورأى أن من اعتبرها أسماء للسور مصيب وذلك لأنه يجوز التسمية بالكلمة الواحدة وبالجملة وبالبيت من الشعر .

وقال ابن قتيبة : فإن كانت أسماء للسور فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء ، وتفرق بينها فإذا قال : قرأت (المص) دل على ما قرأ .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٥٠ .

(٢) انظر المحرر الوجيز ١ / ٩٥ ، وتفسير البحر المحيط ١ / ٣٤ .

كما أن حجتهم أن بعض العرب سمى ببعض هذه الحروف أسماء أشخاص كتسمية والد حارثة (لام) والطائيِّ (ز) فهذا القول يرده الواقع المنقول والتاريخي لأسماء السور ومعاني هذه الحروف .

فالأقوال التي وردت في كونها أسماء للسور لو صح قولهم هذا فإن هذه الحروف ستطلق على عدة سور لذا فسيصعب التمييز بين السور المتشابهة بين هذه الحروف[1] .

أما زعمهم أن هذه السور قد جاء لها أسماء أخرى حجبت هذه التسمية المزعومة وكانت الشهرة لها والذي يرد هذا القول كذلك أن هذا القول لم ينتشر عنها بل الثابت أن الرسول - ﷺ - كان كلما نزل عليه شيء من الوحي قال : ضعوا هذه في سورة كذا في مكان كذا ، ولم نعلم أنه كان يذكرها كأسماء لهذه السور .

فالراجح فيها إذن ما سبق أن ذكرته .

وهو يظهر بطلان أقوال المستشرقين ، ويبين أن إلقاءهم أقوالهم كان بلا دليل علمي ، ولا مستند عقلي . ويؤكد أن لا حرف في كتاب الله سبحانه إلا وله معنى ، فلا شيء فيه لغو لا فائدة منه ، فالله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

المبحث الثالث :

ترتيب سور القرآن الكريم :

زعم بعض المستشرقين أن القرآن الكريم لم يكن مرتبا وأنه كان مختلطا في عهد الرسول - ﷺ - وقد رتبه أبو بكر - رضي الله عنه - لذا استحلوا لأنفسهم أن يجعلوا له ترتيبا خاصا يختلف عن ترتيب المصحف الحالي في كثير من السور[2] معتمدين في ذلك على طريقة الأسلوب ومحتويات السورة . وكان

---

(١) انظر كتاب براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور صـ ١٥٢ وما بعدها .

(٢) انظر أسرار القرآن - جرجس سال صـ ٢١ .

من هؤلاء المستشرقين « غريم » و « ويل » و « بل » و « رودويل » و « بلاشير » و « نولديكة » .

فمثلا « تيودور نولديكة » نشر كتابا بعنوان (تاريخ القرآن) سنة ١٨٦٠ م حيث نظم فيه السور إلى أربع مجموعات معتمدا في ذلك على ثلاث فترات زمنية في مكة وفترة رابعة في المدينة[١] وقد أثنى على هذا التقسيم « بلاشير » كثيرا لأنه في نظره يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة[٢] ..

الجواب :

لقد شغلت هذه القضية علماء المسلمين ابتداء من عصر الصحابة – رضوان الله عليهم – ولا عجب في ذلك أن يخصوها بجهد عظيم وبحث جاد لأنها تتصل اتصالا مباشرا بأقدس كتاب حرص المسلمون أن يدفعوا عنه كل شبهة .. وكان بحثهم مبنيا على أسس من المنطق العقلي والدليل النقلي ويمكن تلخيص منهجهم بعبارة نصها : (إن كنت ناقلا فالصحة ، أو مدعيا فالدليل) منهج خاضع لقواعد علمية نقدية ما زال فخرا للمسلمين . فعناية المسلمين إذن بكتابهم كانت تعتمد على الروايات بعد نخالتها وتمييز غثها من سمينها فيذهب الزبد جفاء ، ويطرح الضعيف والموضوع منها ، وتؤخذ الرواية الصحيحة التي تثبت بعد درس وتمحيص .

أما المستشرقون فكان جهدهم معتمدا على جهود العلماء السابقين ، ولكن تخليطهم ناتج من عدم قدرتهم على التمييز بين الروايات فأخذوا بكثير من الروايات الضعيفة والموضوعة . كما ترجع كثير من أخطائهم لجهلهم باللغة العربية ولأن عملهم نابع من أهداف نفسية ودينية خاصة بهم ، والمستشرقون يسوقون الاحتمالات العقلية مساق الحقائق المسلمة ، وهم يجمعون الآراء والظنون والأوهام والتصورات ويعتبرونها أصلا يصلح للفحص والدراسة والاستنتاج منه لقضايا من

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ١٨٠ .

(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٤ .

أخطر القضايا في الإسلام[1] .

فهذه النقاط تعتبر هي أهم أسباب أخطاء المستشرقين في كثير من القضايا الإسلامية عامة والقضايا القرآنية على وجه الخصوص .

فمما يدل على فساد منهجهم واختلال ميزانهم اختلافهم في القضية الواحدة كترتيب المصحف مثلا على عدة أقوال : فبعضهم قسمه إلى ست مراحل . وبعضهم إلى خمس . وبعضهم إلى أربع . وبعضهم إلى غير ذلك . ومن هذه القضايا : قضية ترتيب السور القرآنية ترتيبا زمنيا .

وسأعرض لمحاولاتهم في ترتيب سور القرآن الكريم ، ودراسة مراحله التاريخية لهذا الترتيب الذي صنعوه باختصار والتي بلغت عشر محاولات في أوربا :

١ - محاولة الأستاذ « هيوبرت غريم » :

الذي حاول أن يبحث الموضوع بطريقة لا تختلف كثيرا عن طريقتنا فاعتمد في محاولته على الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة . وفي نهاية الأمر تخلى عن المنهج الذي اشترطه على نفسه من احترام الروايات ليصدر في نهاية المطاف في مواطن مختلفة عن رأي المستشرق « نولديكة » في وصف المراحل المتعاقبة على الوحي القرآني[2] .

وقد قسم « غريم » السور لثلاث مجموعات معتمدا على الروايات الحديثة بصحيحها وضعيفها وأسلوب النص القرآني . وهذه المجموعات هي :

أ - السور التي تمتاز بجرس وإيقاع مميز جدا كالتي تتكلم عن التوحيد والبعث .. إلخ .

ب - السور ذات الجرس والإيقاع الأكثر تحررا والتي يركز موضوعها على نعم الله سبحانه ، وتتضمن بعض قصص الأولين .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨٢ .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ١٨٤ .

جـ - سور مدنية ذات المضمون الثانوي والتنظيمي ، والتي تناولت شيئا عن يوم الحساب والانتقام من المكذبين . فكان تركيزه على خصائص السور العقدية[1] .

٢ - محاولة السير « وليم موير » :

كانت هذه المحاولة منه من المحاولات العشر في منتصف القرن التاسع عشر . وقد قسم « موير » القرآن الكريم لست مراحل : خمس في مكة وسادستها في المدينة . وكانت دراسته قائمة على السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف وقد حشد لدراسته النقدية الكثير من المعلومات التاريخية ، ولكنه وقع مع ذلك - مثل غريم - في أخطاء عديدة ، وأخذ بروايات واهية مردودة . مما جعل محاولته كمحاولة « غريم » فاشلة[2] .

٣ - محاولة « ويل » :

التي بدأها سنة ١٨٤٤ م ولم تتخذ صورتها النهائية إلا سنة ١٨٧٢ م . ولم يقم « ويل » وزنا للروايات والأسانيد الإسلامية لذلك كانت في نظر « بلاشير » (الطريقة الوحيدة المثمرة حقا) وكانت من قبله في نظر « نولديكة » نقطة الانطلاق في إجراء محاولة لترتيب القرآن الكريم ، فبها أخذ « نولديكة » وعلى كثير من أسسها بنى دراسته .

ولم يعتبر « ويل » التاريخ الإسلامي هاديا يعتمد عليه . لذا أضاف له معايير أخرى ثلاثة ينبغي استخدامها من أجل ترتيب القرآن في نظره وهي :

أ - تلميحات القرآن إلى حوادث معروفة .
ب - مضمون النص القرآني .
جـ - أسلوب النص القرآني .

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٥١ .
(٢) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح صـ ١٧٦ - ١٧٧ وقضايا قرآنية صـ ١٨٥ .

وعلى هذه القواعد التي وضعها « ويل » لنفسه قسم القرآن الكريم إلى أربع مراحل : ثلاث في مكة ، ورابعة في المدينة .

وقد تابعه في طريقته هذه كل من « نولديكة » سنة ١٨٦٠ م ولكن مع بعض التعديلات الطفيفة كترتيب بعض السور في كل فترة . و « شيفالي » في طبعة كتاب « نولديكة » (تاريخ القرآن) الثانية سنة ١٩١٩ م مع بعض التعديلات الطفيفة كذلك ، كما تأثر بطريقته كل من « ريتشارد » و « روديل » و « بلاشير » و « ديرنبورج »[١] .

٤ - محاولة « هـ . ديرنبرج » :

كانت محاولة الأستاذ « ديرنبورج » أستاذ علم الأديان والدراسات الإسلامية في القرن الثالث عشر - منطلقة من محاولة الأستاذ « ويل » وتتفق مع طريقة الأستاذ نولديكة » كثيرا : وقد وضع لنفسه أربع قواعد يرجع إليها عمله وهي :

أ - الرؤى السماوية التي يصعب تأريخها ولكنها قديمة .

ب - القصص التي ينافح بها النبي خصومه ، وتحتوي على وصف يوم الحساب .

جـ - النصوص التي تتضمن قصصاً ثابتة .

د - النصوص المدنية[٢] .

٥ - محاولة « تيودور نولديكة » وتلميذه « شفالي » :

تأثر « نولديكة » في طريقته في هذه الدراسة بمحاولة « ويل » إلا أنه خالفه في ترتيب بعض السور القرآنية مما أدى إلى اختلاف ترتيب بعض السور بعض الشيء في داخل كل فترة .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨٥ - ١٨٦ ومقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٤٩ .

(٢) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٥١ .

وقد تابعه في طريقته « شفالي » . وقد أفاد « نولديكة » كثيرا بترتيب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي[1] .

وقد ظهرت دراسة « نولديكة » الذي كان مقتنعا بضرورة ترتيب القرآن زمنيا في كتابه (تاريخ القرآن الكريم) في طبعته الأولى سنة ١٨٦٠ م ، وظهرت دراسة « شيفالي » في خلال طبعة كتاب « نولديكة » الثانية سنة ١٩١٩ م ، والذي أعيد طباعته كذلك سنة ١٩٣٨ م .

وقد وضع « نولديكة » لها طريقة مخالفة للطريقة الإسلامية . وقد كانت طريقته منطلقا لكل من جاء بعده من المستشرقين حيث تأثروا بها كثيرا وعلقوا عليها أخطر النتائج في عالم الدراسات القرآنية .

وممن تأثر بها كثيرا « بلاشير » حيث أثنى عليها في كتابه (القرآن) قائلا : [وتدل التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه نولديكة ، وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة][2] .

أما طريقته فكانت تعتمد على دراسة تطور الأسلوب القرآني من الفقرات الشعرية الخيالية في السنوات الأولى إلى التنزيل النثري المطول فيما بعد .

قسم « نولديكة » السور القرآنية إلى قسمين رئيسيين :

سور مكية وسور مدنية ، ثم قسم المكية إلى ثلاث فترات :

سور الفترة المكية الأولى وهي عنده تمتاز في معظمها بالقصر ، وبلغة إيقاعية ومليئة بالخيالات ، وظهور صيغ القسم فيها عند بداية الفقرات .

أما الفترة الثانية فهي فترة انتقال بين الحماس المهيب في الفترة المكية الأولى والهدوء الأعظم في الفترة الثالثة ونادرا ما يستخدم فيها أسلوب القسم وغالبا ما تميل فيها السور للطول .

---

(١) قضايا قرآنية صـ ١٨١ – ١٨٥ .

(٢) القرآن – بلاشير صـ ٤٤ .

أما الفترة الثالثة فقد ذكر فيها أن « كلمة الرحمن » قد أوقف استخدامها . ويكثر فيها تكرار القصص النبوي مع تغيير طفيف في الموضوع التي تركز عليه القصة .

أما سور الفترة المدنية فالاهتمام فيها على الموضوعات وتعليمات المجتمع أكثر من الأسلوب و « نولديكة » في عمله هذا ينظر للسورة كوحدة متكاملة ذات تاريخ نزول واحد .

وهذا من الأسباب الذي جعل عمله يظهر ضعيفا لأن كثيرا من السور تحوي آيات ذوات تواريخ متعددة[1] .

٦ - محاولة « هيرتوج هيرشفيلد »:

ظهرت محاولة « هيرشفيلد » في أوائل القرن العشرين في كتابه (أبحاث جديدة في تركيب وتفسير القرآن) .

وقد اعتمد « هيرشفيلد » في عمله على مضمون السور القرآنية وعلى خصائص الفقرات المنفصلة باعتبارها وحيا أصيلا للتأكيد أو الرفض ، أو القصص ، أو الوصف ، أو التشريع .. إلخ .

وقد أعطى « هيرشفيلد » اهتماما ثانويا للتسلسل الزمني ومع هذا فهو لا يخرج عن مسلمات « نولديكة » .

وهذه الطريقة من الصعوبة بمكان على الرجل الغربي الذي لا يستطيع فهم روح النص القرآني ، ولا إتقان لغته بدرجة تؤهله لمثل هذا العمل الخطير ؛ لذا عجز « هيرشفيلد » عن رؤية التجانس في بعض الموضوعات لبعض السور مما دعاه أن يضع لها موضوعات من عنده ، ويضعها في أماكن حسب رؤيته الخاصة . لذا لم يلق عمله القبول لدى الغربيين أنفسهم وخطورة هذه الطريقة أنها تسبب تفككاً في السور وبالتالي فإنها تسبب تفتيتا كاملا للقرآن الكريم كما أن هذه الطريقة

---

(١) مقدمة على القرآن - واط صـ ١٠٩ - ١١٢ ، ومقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٤٩ .

تؤدي إلى تحريف معاني بعض الأحكام العامة[1] .

٧ - محاولة « أ. رودويل » :

ظهرت محاولة « رودويل » في كتابه (القرآن) الذي طبع في لندن سنة ١٨٧٦ م .

وقد رتب فيه السور القرآنية حسب الترتيب الزمني فإذا استثنينا من عمله تنزيلات الفترة الأولى في مكة نجد عمله لا يخرج عن عمل « نولديكة »[2] .

٨ - محاولة « ريجي بلاشير » :

ظهرت محاولته في كتابيه (ترجمة القرآن الكريم) و (مقدمة القرآن الكريم) .

قسم « بلاشير » سور القرآن الكريم زمنيا وخالف في طريقته « نولديكة » في بعض المواضع وقبلها في تقسيمه للفترة المكية لثلاث فترات وقسم السور القرآنية لثلاثة أنواع :

أ - سور مكية مقسمة على ثلاث مراحل كتقسيم « نولديكة » .

ب - سور مدنية .

ج - سور بين بين .

وكانت طريقته تعتمد على :

١ - تجميع النصوص القائمة على خاصيات غالبا تكون كموضوعات سائدة في الوعظ ، والأسلوب ، واللغة ، ومرتبطة ببعض المسلمات التاريخية التي أوردها القرآن الكريم .

٢ - تطور تجربة محمد الدينية على ضوء الشهادات القرآنية فإذا اختلط

(١) انظر مقدمة القرآن - واط صـ ١١٢ .

(٢) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٤٩ - ٢٥٠ .

عليه الأمر كان ينظر للأسلوب كمعيار حاسم بالإضافة لبعض المسلمات التاريخية التي أوردها القرآن الكريم نفسه ، ومستعينا بالروايات الحديثة من جهة أخرى ، ومراعيا الحالات النفسية التي نزل فيها النص القرآني .

ومن عيوب طريقة « بلاشير » هذه أنه لم يعتمد في السيرة النبوية إطلاقا سواء التي ألفها المسلمون أو الغربيون[١] .

٩ - محاولة « ريتشارد بل » :

ظهرت محاولته في ترجمته التي نشرت سنة ١٩٣٧ م ، ١٩٣٩ م وكان عمله قائما على الوحدة الأصلية للتنزيل وهي الفقرة القصيرة ، لذا قام بتشريح كل سورة للأجزاء ، التي تتكون منها مراعيا الأسلوب ليستدل منها على التاريخ النسبي للفقرات . حيث اتفق مع « نولديكة » على أن الآيات القصار الحاسمة السجع المدروس عادة تنتمي إلى مرحلة أكبر من المرحلة التي تنتمي إليها الآيات الطويلة الممتدة . والسجع الذي يتكون بطريقة آلية من خلال النهايات النحوية .

وكان عمله هذا أخطر ما قدمه عالم غربي حيث شكك في النص القرآني بصورة لا يرضاها من ينظر في النص القرآني نظرة علمية حيادية مجردة من كل ميل . لذا اعتبر بعض المواطن ناقصة من أجل ذلك أضاف الجمعة لها (تكملات بديلة) أي فقرات لسد النقص وترقيعات واضحة كما هو واضح في آيات البعث[٢] .

ولكن « واط » مع ما وضعه لنفسه من ضوابط إلا أنه عجز في كثير من المواطن عن حل بعض المعضلات[٣] .

وقد اعتمد « واط » في عمله في ترقيم الآيات على ترتيب « فلوجل »

---

(١) مقدمة القرآن - بلاشير صـ ٢٦٤ .
(٢) مقدمة القرآن - واط صـ ١٢٣ .
(٣) مقدمة القرآن - واط صـ ١١٢ - ١١٣ .

المشهور[1] .

التعليق :

هذه تسع محاولات غربية لترتيب القرآن الكريم ترتيبا مخالفا للمصحف العثماني ، معتمدين في ذلك إما على : الروايات التاريخية بأنواعها ما صح منها وما جانب الصحة ، أو على : الاحتمالات العقلية مراعين سياق الآيات وأسلوبها وجرسها ونهاياتها النحوية (الفاصلة القرآنية) .

وقد عرضتها عرضا موجزا ولم أقف عند كل محاولة إلا لماما مكتفيا برد عام عليها .

فهذه المحاولات جهد ضاع دون كثير جدوى ، بل جلها لا تستحق المداد والورق الذي كتبت عليه ، لما فيها من عبث بالقرآن الكريم ينزع عنه حصانته الربانية . ولاصطدامها مع واقع الأحداث ومسلمات العقل ، وصحيح الرواية وقد كان وضعهم القرآن الكريم في مختبراتهم تحت مشرحتهم الخاضعة لعقليتهم الغربية مما أذهب جمال القرآن الكريم من نفوسهم ، لأن الأمر بطريقتهم تعدى ترتيب السور القرآنية إلى تقطيع النصوص القرآنية الموصولة وظهر هذا واضحا في محاولة « هيرشفيلد » ، أو بترقيع بعض النصوص القرآنية بطريقة (التكملات البديلة) بإقحامات مرفوضة كما ظهر ذلك جليا في طريقة « بل » وعقليتهم الغربية أعجز من أن تصل إلى كنه هذا الكتاب الرباني ، والسر في ترتيبه بتناسق عجيب وسلاسة أخاذة ، وفاصلة مرتبطة مع السياق ارتباطا وثيقا .

هذه الأمور هي التي تشعر القارىء المتفحص لهذا الكتاب بالانسجام بالآيات القرآنية ، والترابط المحكم والتناسق الفني بين الآيات والسور بعضها مع بعض .

أما سبب الخطأ الرئيسي عند هؤلاء المستشرقين عدم اعتمادهم في عملهم

---

(١) مقدمة القرآن - واط صـ ١٣١ .

على الصحيح من الحديث النبوي الشريف ، والسيرة النبوية .

ومن اعتمد منهم ذلك مثل « هيوبرت غريم » فإنه أخذ بالصحيح منها والضعيف والموضوع وعجز عن التفريق بين ما صح من الحديث وغيره .

ومن أسباب خطئهم جهلهم بالعربية مما أعجز بعضهم أن يضع بعض الآيات تحت مواضيع معينة كما هو في محاولة « هيرشفيلد » .

ومن الأسباب التي أدت لضعف عملهم كذلك جهلهم بالأهداف التربوية التي من أجلها نزلت الآيات القرآنية .

كما أن من هذه الأسباب اعتمادهم على المرجوح من أقوال العلماء المسلمين وعلى المرفوض عند المحققين منهم .

ولو أن هؤلاء المستشرقين أفادوا مما قرره علماء المسلمين فاعتمدوا على صحيح الروايات ، ودرسوا القضايا القرآنية دارسة موضوعية مراعين في ذلك الأهداف التربوية التي من أجلها نزلت الآيات مع عدم تجزئة النصوص القرآنية لوصلوا إلى نتائج غاية في الدقة والإبداع والروعة[1] .

أما موقف العلماء المسلمين من ترتيب السور القرآنية كما هي عليه في المصحف الحالي فعلى ثلاثة آراء :

الرأي الأول :

وهو أرجحها أن ترتيب السور توقيفي تولاه النبي - ﷺ - كما أخبره به جبريل - عليه السلام - عن رب العزة جل جلاله وهو مذهب جمهور العلماء منهم أبو جعفر النحاس ، والكرماني ، وأبو بكر بن الأنباري ، والطيبي في أحد قوليه .

قال أبو بكر بن الأنباري : [أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم

(١) قضايا قرآنية - صـ ١٩١ (بتصرف) .

فرقه في بضع وعشرين سنة ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ولآية جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي - ﷺ - على موضع الآية والسورة . فاتساق الآيات والحروف كله عن النبي - ﷺ - فمن قدم سورة أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن الكريم][1] .

وقال الكرماني في البرهان : [ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وكان - ﷺ - يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين ..][2] .

وقال الطيبي : [أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح ، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ][3] .

واستدل هؤلاء بأدلة منها :

أ - إجماع الصحابة على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف في ذلك أحد منهم حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر .

ب - مما يدل على التوقيف أن الحواميم رتبت ولاء أي متتابعة وكذلك المفصل في حين المسبحات قد فرقت في القرآن . كما فصل بين طسم الشعراء ، وطسم القصص ، بطس النمل مع أنها أقصر منها . فلو كان الترتيب اجتهاديا لما حصل التفريق بين المتماثلات من هذه السور .

قال أبو جعفر النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله - ﷺ - لحديث واثلة « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال »[4] .

سئل أصحاب رسول الله - ﷺ - كيف تحزبون القرآن ! قالوا : نحزبه

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ٦٢ .
(٢) نفس المرجع ١ / ٦٢ .
(٣) نفس المرجع ١ / ٦٢ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٤ / ١٠٧ .

ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى نختم[1] .

فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الحالي كان على عهد رسول الله - ﷺ - .

الرأي الثاني :

إن الترتيب كان باجتهاد من الصحابة - رضوان الله عليهم - وعليه جماعة العلماء . منهم : أبو بكر السيوطي ، والإمام مالك بن أنس ، والقاضي أبو بكر الطيب في أرجح قوليه ، وأبو حسن أحمد بن فارس ، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة :

أ - اختلاف ترتيب مصاحف الصحابة قبل الجمع العثماني . فمصحف الإمام علي - رضي الله عنه - كان مرتبا على حسب أسباب النزول .

وترتيب مصحف عبد الله بن مسعود كان مبدوءاً بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأعراف .. إلخ .

أما ترتيب مصحف أبي فقد كان مبدوءا بالفاتحة ثم بالبقرة ، ثم النساء ثم آل عمران ، ثم الأنعام .. إلخ .

وأجاب أصحاب الرأي الأول عن هذه الآراء بما يلي :

١ - أن مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم جمعت إلى جانب القرآن بعض المسائل العلمية ، والتفسيرية ، فهي إلى كتب العلم أقرب من كونها مصاحف .

٢ - يقال : إن اختلافهم كان قبل العلم بالتوقيف ، فلما علموا ذلك رجعوا للترتيب العثماني ، ولم يعترضوا عليه .

---

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٤٢٨ حديث رقم ١٣٤٥ كتاب إقامة الصلاة .

ب - وقد حاول الإمام الزركشي ، والإمام مالك ، وأبو جعفر بن الزبير ، أن يجعلوا الخلاف بين الفريقين لفظيا[1] لأن القائل بالترتيب الاجتهادي رمز إليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته . لذا قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما يسمعونه من النبي - ﷺ - مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي ؟ أو بمجرد إسناد فعلي ؟ بحيث يبقى لهم مجال للنظر وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير . اهـ .

وقد صرح الإمام ابن تيمية بأن ترتيب السور مفوض إلى اجتهاد الصحابة[2] .

الرأي الثالث :

أن كثيرا من السور القرآنية علم ترتيبها بالتوقيف وبعضها كان ترتيبها باجتهاد من الصحابة وقد حدده بعضهم بسورتي الأنفال والتوبة .

قال ابن عطية : [.. وظاهر الآثار أن السبع الطوال ، والحواميم ، والمفصل كان مرتبا في زمن النبي - ﷺ - وكان في السور مالم يرتب فذاك هو الذي رتب وقت الكتب][3] .

وممن حددهما بالأنفال والتوبة أمثال الإمامين البيهقي والسيوطي ويدل على هذا الحديث الذي رواه أصحاب السنن منهم الإمام أبو داود في سننه » .. قال عثمان : وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة وكانت براءة من أخر ما نزل من القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها ، فمن هناك وضعتها في السبع الطوال ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم][4] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٦٢ ، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٢٥٧ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٣١ .

(٢) عنوان البيان في علوم القرآن - مخلوف صـ ٧٤ - ٧٥ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن - مقدمة ابن عطية صـ ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) سنن أبي داود ١ / ٢٠٩ كتاب الصلاة ، باب من جهر بها .

والذي ينشرح له الصدر ما انشرحت له صدور الجم الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح المحفوظ من القرآن الكريم ، وحاشا أن يهمل - ﷺ - أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته ، فلابد إما من التصريح بمواضع الآيات والسور ، وإما من الرمز إليهم بذلك ، وإجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الأساليب ، وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ، ولا يصدهم عن اتباع الحق لوم لائم ، ولا قول قائل أقوى دليل على أنهم وجدوا ما أفادهم علما ولم يدع عندهم خيالا ولا وهماً، وخاصة إذا علمنا أن دليل القول الثالث أنه توقيفي سوى الأنفال والتوبة فيه « يزيد الفارسي » وهو مجهول الحال مما دعا الإمام الترمذي وهو أحد رواة الحديث أن يحكم عليه أنه « حسن غريب » لا نعرفه إلا من حديث « عوف عن يزيد الفارسي » مما يضعف هذا الدليل وأنه دليل القول الثاني (أنه باجتهاد الصحابة) مردود من ثلاثة أوجه :

١ - أن المصاحف المذكورة كانت مرتبة قبل العرضة الأخيرة للقرآن الكريم وبعد العرضة الأخيرة التي استقر بها القرآن رتبت المصاحف وفقا لمقتضاها بأمر النبي - ﷺ - وقد عارض جبريل رسول الله - ﷺ - القرآن بعد تمامه على ما هو عليه اليوم في عام وفاته مرتين . فدل أنه كان مرتبا من الفاتحة إلى الناس .

٢ - الأدلة التي ذكرتها عن أهل المعرفة بهذا الشأن والتي تؤيد القول بتوقيف ترتيب سور القرآن الكريم كاملة .

٣ - أن « زيد بن ثابت » الذي أسند إليه الخليفة « عثمان بن عفان » رياسة اللجنة التي تولت كتابة المصاحف كان من كتاب الوحي ، وعلم ترتيب السور من رسول الله - ﷺ - .

ومما يؤيد صحة ما ذهبت إليه إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على

العمل الذي قام به « زيد بن ثابت » ورفاقه[1] ومن قال من الصحابة أن ترتيب سور القرآن اجتهاديا لم يعبث بترتيب آياته كما فعل المستشرقون . والذي ينظر فيما حاوله المستشرقون . بترتيبهم يجده عبثا في قدسية القرآن الكريم لم يسبقهم له أحد حيث وضعوا لترتيبهم مقاييسهم الغربية وكلها باءت بالفشل حيث لم يستطيعوا توزيع كل سور القرآن ومحتوياتها على منهج كل ترتيب وضعوه . والله خير حافظا لهذا الكتاب العظيم من عبث العابثين ، وحقد الحاقدين ليوم الدين .

(١) انظر تاريخ القرآن الكريم ، د / محمد سالم محيسن صـ ٦٤ - ٧٢ وكتاب عنوان البيان في علوم التبيان للشيخ محمد حسنين مخلوف صـ ٧٥ - ٧٦ .

الفصل الخامس

القراءات القرآنية وشبه المستشرقين حولها

المبحث الأول

سبب اختلاف القراءات القرآنية في نظر المستشرقين

أ - شبهات مرجعها الحرية الفردية في القراءاة في نظرهم .
ب - شبهات مرجعها الرسم والكتابة القرآنية .

المبحث الثاني

نولديكة ورسم المصحف

الفصل الخامس

القراءات القرآنية وشبه المستشرقين حولها

المبحث الأول :

سبب اختلاف القراءات القرآنية في نظر المستشرقين :

جاء في الموسوعة البريطانية (إن طبعة القرآن العربية لم تكن كاملة ، وذلك لوجود حروف ساكنة متعددة تثير كثيراً من البلبلة في الفهم ، كما لم يكن هناك طريقة بواسطتها تتبين أن حروف العلة من الممكن أن تميز بين معاني مختلفة ومتأصلة في مجموعة خاصة من الحروف الساكنة .

ولتكون الطبعة صحيحة لابد من حفظها في الصدور دون كتابتها ، إلا أن هذه الطريقة أثارت اختلافا نتيجة لتعدد القراءات ، إلا أنه أخيرا أدخلت تحسينات على الطبعة العربية حيث أدخلت إشارات لتميز الحروف المتشابهة في الشكل ، وحروف العلة الطويلة دلل عليها بالحرف (ألف) بدل (ا) ، و (واو) بدل (يو) و (يا) بدل (ي) كما أن إشارات حروف العلة وضعت فوق أو تحت الحرف حيث أعطت لونا خاصا لا علاقة له بلب القرآن)[1] .

حاول المستشرقون والمبشرون أن ينالوا من القرآن من خلال الطعن في القراءات القرآنية والرسم العثماني . والمؤسف جدا أن هذه الشبهات تلقفها أدعياء البحث العلمي من مستشرقين دافعهم الحقد على الإسلام والطعن فيه كما نرى هنا سير أصحاب الموسوعة البريطانية تبعا لأراء « جولد تسيهر » في القراءات كما وردت في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) .

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٢٢٠ .

قال « جولد تسيهر » في كتابه المذكور : [.. وتجاه هذه القراءات يسود الميل إلى التسامح .. وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط . بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية ، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدد إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلا ، أو لم تتحر الدقة في نقطة أو تحريكه][1] .

وقد سلك « جولد تسيهر » لهدفه مسالك متعددة :

١ - اعتماده على روايات ضعيفة شاذة لا تصح .

٢ - إرخاء العنان لقلمه وفكره ليستنتج ما شاء ويكتب ما شاء دون نظر إلى الأسس الصحيحة للرواية ، ولا إلى المنهج العلمي في بحثه .

٣ - عدم التمييز بين القراءة الصحيحة وغيرها[2] .

٤ - حاول أن يقرر في كتابه أن اختلاف القراءات يعود لأمرين تقريبا :

أ - الحرية الفردية الفكرية للصحابي جعله يضع ملاحظاته الموضوعية موضع التنفيذ .

ب - خصوصية الخط العربي وخطأ النساخ في كتابة المصحف .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٧ .

(٢) وقد رد على جولد تسيهر أكثر من عالم في كتابه القراءات في نظر المستشرقين والملحدين أمثال الشيخ عبد الفتاح القاضي ، والأستاذ شلبي في كتابه رسم المصحف العثماني .

مدخل للرد :

إن الاختلاف في الأحرف السبعة ليس اختلاف تضاد ، فلا يوجد حرف منها يناقض الحرف الآخر . فلا يوجد حرف يثبت عقيدة ، أو تشريعا ، أو مبدأ أخلاقيا ، وحرف آخر ينفيه .

وهذا الاختلاف في القراءات لا يخرج عن ثلاثة أحوال :

أ – أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى .

ومن هذا النوع ما يرجع الاختلاف فيه للغات .

مثال ذلك : كلمة (الصراط)[١] بالصاد ، أو بالسين[٢] .

وكلمة (البخل)[٣] بضم الباء وسكون الخاء ، أو بفتحهما[٤] .

ب – أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معا مع صحة المعنيين جميعا ، ولا يمكن الجمع بينهما ، ولكن ليس بين المعنيين تناقض وتعارض .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وانظر إلى العظام كيف ننشزها ..** ﴾[٥] .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (ننشرها) بالراءِ أي نحييها .

وقرأ الباقون : (ننشزها) بالزاي أي نرفعها ونضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم وتجتمع .

والمعنيان مع اختلافهما لا يتناقضان . بل يكمل بعضها بعضا . لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض حتى تجتمع ثم يحييها للجزاء .

---

(١) سورة الفاتحة آية (٦) .

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة صـ ٨٠ وكلها قراءات سبعية .

(٣) سورة النساء آية : (٣٧) .

(٤) حجة القراءات صـ ٢٠٣ .

(٥) سورة البقرة آية : (٢٥٩) .

قال ابن قتيبة : الإنشار : الإحياء . والإنشاز : التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما[1] .

جـ – أن يختلف المعنيان ولكن يمكن الجمع بينهما مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾[2] بفتح الراء في (يضار) وبضمها .

(فلا) على قراءة الفتح ناهية جازمة . و (يضار) مجزوم وحرك بالفتح لكونه مضعفا .

و (لا) على قراءة الضم نافية . و (يضار) فعل مضارع مرفوع و (لا) على قراءة تعطي معنى خاصا ، إلا أنه يمكن الجمع بين هذين المعنيين ، إذ المقصود منهما عدم إلحاق الضرر بالكاتب ولا الشهيد والأمثلة كثيرة .

قال ابن قتيبة –رحمه الله – :

(.. الاختلاف نوعان) : اختلاف تغاير ، واختلاف تضاد .

(فاختلاف التضاد) لا يجوز ، وليست واحدة بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ .

(واختلاف التغاير)[3] جائز .. فاختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تعارض وتضارب . فإن هذا لا يتصور أن يكون في كلام العقلاء من البشر فضلا عن أن يكون في كلام رب العالمين وإذا كان الأمر كذلك استحال على النص القرآني أن يعتوره قلق ، أو ينزل بساحته اضطراب[4] .

وهذه القراءات لم يتسامح بها كما زعم « جولد تسيهر »[5] ولم تكن

---

(١) انظر حجة القراءات صـ ١٤٤ ، وتأويل مشكل القرآن صـ ٤١ .

(٢) سورة البقرة (٢٨٢) .

(٣) تأويل مشكل القرآن صـ ٤٠ .

(٤) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ١٨ .

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧ .

عشوائية بل كانت بالتلقي ، وحسب قوانين ثابتة ، وقواعد منضبطة فقد عدها بعض العلماء ثلاث قواعد :

١ - أن تكون القراءة موافقة للعربية ولو بوجه .

٢ - أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا .

٣ - أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد[١] .

فمن خرجت من القراءات عن هذه القواعد الثلاث لا تعتبر مقبولة وترد .

أما عدم النقط والشكل فكان مراعيا فيه مصلحة القراءات ، ليحتمل الرسم أكثر من قراءة فتبقى القراءات حسب الرسم الموجود .

أما عمل عثمان - رضي الله عنه - فلم يكن قاصدا منه توحيد النص القرآني كما زعم « جولد تسيهر » خروجا من مشكلة تعدد القراءات[٢] .

بل كان جمعا للناس على حرف واحد مع إبقائه لما تواتر من قراءات فيه بسبب اختلاف الناس في قراءة القرآن ، وتفضيل كل قارئ قراءته على قراءة غيره . حتى بلغ الأمر تكفير الطلبة بعضهم بعضا للمخالفة في القراءة .

ومن هنا يظهر ضعف قول « جولد تسيهر » أن سبب الاختلاف في القراءة يرجع لأمرين :

الأمر الأول :

الحرية الفردية الفكرية لبعض العلماء أو المفسرين .. إلخ بالتصرف في القراءة بالتغيير والتبديل تبعا لبعض الملاحظات الموضوعية .

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين - لابن الجزري دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م صـ ١٥ .

(٢) مذهب التفسير الإسلامي صـ ٥ .

الأمر الثاني :

خصوصية الخط العربي ، أو خطأ النساخ .

أما هذه النقطة فسأرد عليها إن شاء الله في قسم الرسم والكتابة .

والآن ساتناول الرد على النقطة الأولى في سبب الخلاف كما يرى ذلك « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين إجمالا مكتفيا لكل قضية أساسية يثيرونها بمثال أو أكثر . حتى لا يخرج الموضوع عن غايته الأساسية .

المبحث الثاني :

أ - شبهات مرجعها الحرية الفردية في القراءة في نظر « جولد تسيهر » .

الأمر الأول :

أرجع « جولد تسيهر » سبب الخلاف في القراءات القرآنية للحرية الفردية لبعض العلماء والمفسرين وغيرهم تبعا لبعض الملاحظات الموضوعية منها :

المسألة الأولى :

١ - دفع شبهة دينية كتنزيه للذات أو لنبي من الأنبياء أو غيرهم ومثال ذلك :

أ - تنزيها للذات الإلهية فقد غير بعض العلماء القراءة كلمة (شهد) إلى (شهداء) في قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم** ﴾[1] .

حيث ذكر « جولد تسيهر » أن بعض العلماء لما رأى أن هذا المعنى غير مقبول حيث فيه شهادة الله لنفسه وذكره مع بعض المخلوقين كالملائكة وأولي العلم

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٨ .

على أنهم شاهدون معه غيروا القراءة إلى (شهداءُ الله)[1] خروجا من هذا الإشكال[2] .

الجواب :

١ - أن هذه القراءة التي ذكرها « جولد تسيهر » لم تثبت لذا فهي من القراءات الشاذة .

٢ - ويرد هذا الفهم أيضا قوله تعالى في سورة النساء ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون** ﴾[3] . لأنه لو صح ما قاله « جولد تسيهر » للزم أن يغير القراءة في هذه الآية الثابتة . لأن الشهادة مشتركة من قبل الله وملائكته لصدق ما نزل على محمد - ﷺ - .

٣ - مناقضة « جولد تسيهر » نفسه حيث قرر هنا أن تغيير القراءة كان لدافع تنزيهي في حين نقض هذا الكلام في صـ (٢٨) حيث قال : [ولما كان الحديث هنا عن الله فقد يمكن أن نرى من هذا أن رعاية اجتناب العبارات التي ربما بدت غير لائقة بمقام الألوهية لم تكن مقصودة دائما في اختلاف القراءات][4] .

ب - تنزيها للرسل - عليهم السلام - ومثاله قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾[5] .

قال «جولد تسيهر»: [والمعضلة هنا في الكلمات (وظنوا أنهم قد كذبوا)

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي جولد تسيهر صـ ٣٢ - ٣٣ .

(٢) هذه القراءة الشاذة أشار إليها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٢ / ٤٠٣ . والزمخشري في الكشاف ١ / ٤١٩ .

(٣) سورة النساء آية ١٦٦ .

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨ .

(٥) سورة يوسف آية : ١١٠ .

بالبناء للمعلوم ، أي صدر عنهم الكذب ، إذ لاشك أن هذه القراءة الأصلية .. بيد أن الأنبياء قد (كذبوا) أي صدر عنهم الكذب أمر لا يستطيع مؤمن صادق الإيمان أن يتحمله ويتقبله .. فقد قرأ بعضهم بدلا من كذبوا بالبناء للمعلوم ، (كذبوا) أو (كذبوا) بالتخفيف والتشديد على البناء للمجهول][1] وقد حاول أن يؤكد كلامه بقصة سعيد بن جبير وسؤال فتى من قريش له حول هذه الآية .

الجواب :

في هذه القراءة أفصح « جولد تسيهر » عن حقيقته العلمية حيث أخذ بالرواية الشاذة (كَذَبوا) بالبناء للمعلوم وقدمها على القراءات الصحيحة المتواترة مما يدل على عدم نزاهته العلمية ، ولا تجرده في البحث العلمي .

والملاحظ أن « جولد تسيهر » ابتدع لنفسه مصطلحا جديدا للقراءات حيث كان يطلق على ما يرجح منها في نظره بالقراءات (الأصلية) والتي لا ترجح (غير أصلية) وهذا المصطلح لم يصدر عن أحد من علماء القراءات وإنما كانوا يطلقون على القراءة التي تثبت بطرق التواتر (قراءة متواترة) ، والتي تنال ذيوعا واستفاضة وقبولا وصحة في السند (قراءة مشهورة) وغيرهما تعتبر (قراءة شاذة) وهذه لا تعتبر قرآنا .

والقراءة المتواترة في هذه القراءة بناؤها للمجهول بالتخفيف والتشديد .

فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائيُ الكوفيون (كذبوا) بالتخفيف أما الباقون فقد قرأوا (كذبوا) بالتشديد .

وهاتان القراءتان مع تواترهما إلا أن « جولد تسيهر » اعتبرهما قراءتين غير أصليتين .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٤١ – ٤٢ .

أما القراءة الثالثة وهي التي رجحها « جولد تسيهر » وأطلق عليها القراءة المتواترة (كذبوا)[1] فهي قراءة شاذة ولا تعد قرآنا ، ويحرم القراءة بها . ولا نوجهها لهذا السبب .

أما توجيه القراءتين المتواترتين :

فقراءة التخفيف (كذبوا) تعني أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرسل ، فالظن بمعنى الشك أو اليقين .

أما قراءة التشديد (كذبوا) فتعني أن الرسل تلقاهم قومهم بالتكذيب . والظن بمعنى اليقين .

والضمير (هم) في (أنهم) في الأولى تعود على المرسل إليهم وفي الثانية على الرسل[2] .

أما استدلال « جولد تسيهر » لتصويب القراءة الشاذة وترجيحها بقصة مسلم بن يسار مع سعيد بن جبير أنه سأله كيف تقرأ هذا الحرف فإني إذا أتيت عليه تمنيت ألا أقرأ هذه السورة . فلما أجابه فرح وقام وعانقه لأنه كان يظن أن فاعل التكذيب الرسل لا المشركون .

فمسلم بن يسار إذن كان سائلا لسعيد بن جبير[3] عن شبهة علقت في ذهنه لسوء فهمه لهذه الآية الكريمة وهي أن الله أخلف وعده لرسله وذلك بإعادة الضمير في (ظنوا) للرسل . فأجابه مزيلا شبهته أن المرسل إليهم هم الذين ظنوا أن الرسل كذبتهم . ففاعل الظن المشركون لا الرسل فلما زالت الشبهة قام مسلم ابن يسار وعانق سعيد بن جبير فلا دليل إذن « لجولد تسيهر » في هذه القصة ولا حجة لشبهته .

---

(١) نسب هذه القراءة الشاذة أبو حيان في تفسيره ٥ / ٣٥٥ لكل من ابن عباس ومجاهد والضحاك .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١٥ .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣ / ٥٥ .

وتأكد لنا أن القراءات الصحيحة المتواترة تكون معانيها دقيقة وواضحة كل الوضوح ولا تعارض بينها ولكن قد يصعب فهم سرها على أمثال هؤلاء المستشرقين لجهلهم بهذا العلم الدقيق .

جـ - تنزيها لنبي من الأنبياء - عليهم السلام - أو لأبنائهم أو أتباعهم مثالها قوله تعالى : ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾[1] .

قال « جولد تسيهر » : [إن بعضهم شك في أن النبي عمل عملا لم يخل من المؤاخذة تماما في بعض أمور يفسح المجال لأدنى افتراض ينسب إلى الرسول عملا بقراءة الفعل (يُغَل) مبنيا للمجهول ..] .

الجواب :

هاتان القراءتان متواترتان ثبت قراءتهما عن النبي - ﷺ - فقد قرأ بالبناء للمعلوم (يَغُل) ابن كثير وأبو عمرو وعاصم . وقرأ الباقون بالبناء للمجهول (يُغَل) ولفظة (الغل) تفيد الخيانة في خفاء .

قال بعض اللغويين هي مأخوذة من الغلل . وهو الماء الجاري في أصول الشجر والدوح .

قال أبو عمرو : تقول العرب : أغل الرجل يغل إغلالا : إذا خان ولم يؤد الأمانة ومنه قول النمر بن تولب :

جزى الله عني جمرة ابنة نوفل   جزاء مغل بالأمانة كاذب

أو تقول من (الغل) الذي هو الضغن . غل يغل بكسر الغين ويقولون في الغلول من الغنيمة غل يغل بضم الغين . والغلول في الآية في كلا القراءتين لاينسب للرسول - ﷺ - كما ظن ذكر « جولد تسيهر » بل لمن أخذ من الغنيمة من المسلمين خفاء قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير : فُقدت قطيفة حمراء

---

(١) سورة آل عمران : ١٦١ .

من المغانم يوم بدر. فقال بعض مع من كان مع النبي - ﷺ -: لعل رسول الله - ﷺ - أخذها فنزلت .

وروي أن المفقود سيف . وقيل في نزولها غير ذلك .

فمن قرأ (يَغل) بالبناء للمعلوم فحجته في ذلك ما جاء من هذه الصيغة في التنزيل وبالإسناد للفاعل كقوله تعالى : ﴿ **ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء** ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم** ﴾[2] .

فمعنى الآية على هذه القراءة : ما كان لنبي أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم وذلك لأن الغلول معصية . والنبي - ﷺ - معصوم من المعاصي فلا يمكن أن يقع في شيء منها .

أما المعنى على القراءة الثانية : يغل بالبناء للمجهول يكون : ما كان لنبي أن يخونه أصحابه في الغنائم يأخذهم منها خفية دون إذنه وقبل القسمة فتكون لنهي الناس عن الغلول في المغانم . وخص النبي - ﷺ - بالذكر وإن كان ذلك حراما مع غيره ؛ لأن المعصية بحضرة النبي أشنع لما يجب من تعظيمه وتوقيره كالمعصية بالمكان الشريف واليوم المعظم .

ومن هنا يظهر صحة هاتين القراءتين وسلامة معناهما على غير ما فهمه « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين .

د - تنزيها لأبناء الرسل أو أتباعهم . قوله تعالى في حق الحواريين : ﴿ **إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة ..** ﴾[3] .

---

(١) سورة يوسف : ٣٨ .

(٢) سورة التوبة : ١١٥ .

(٣) سورة المائدة : ١١٢ .

قال « جولد تسيهر » : [ومثل هذا السؤال لا يكون صدَر على لسان الحواريين لهذا قرأ بعضهم مع اقتصار للتركيب :

(هل تستطيع ربك) بمعنى هل تستطيع سؤال ربك أي أن تجعله يفعل ذلك بناء على سؤالك إياه][1] .

الجواب :

القراءتان سبعيتان متواترتان .

قرأ الكسائيّ من القراء السبعة (هل تستطيع ربَك) بالتاء خطابا لعيسى ونصب لفظ (ربك) وقد قرأ بها علي ومعاذ بن جبل ، وابن عباس ، وعائشة ، وابن جبير ، وجماعة .

والمعنى : هل تستطيع يا عيسى سؤال ربك أن ينزل علينا مائدة وقرأ الباقون : (هل يستطيعُ ربُك) بياء الغيبة ورفع لفظ (ربك) والمعنى : هل يطيع ربك فيجيب سؤالك بإنزال مائدة من السماء .

وليس سؤال الحواريين لعيسى – عليه السلام – سؤال شك بل سؤال اطمئنان وهذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع له ولكنه يريد هل يسهل عليك .

أو أن الأمر بغاية الوضوح لا يجوز لعاقل أن يشك فيه فالاستفهام يريد التقرير . فلا شك في الاستطاعة[2] . فهم عالمون باستطاعته علم دلالة وخبر ، فأرادوا بسؤاله علم معاينة كذلك كما قال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ **رب أرني كيف تحيي الموتى** ﴾[3] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٦ – ٣٧ .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ٤ / ٥٣ – ٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن – للقرطبي ٦ / ٣٦٥ . والكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٤٢٢ ، وانظر تفسير روح المعاني ٤ / ٥٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٠ .

فعلى هذا فالقراءتان متواترتان وواضحتان في معانيهما وليس في أحدهما أي شبهة بنسبة الشك للحواريين–عليهم السلام–[1] على ما زعم «جولد تسيهر».

المسألة الثانية :

٢ – إقحام بعض الزيادات من أجل مذهب فقهي قاصدين بذلك تحديدا أقرب لأمر تشريعي يبدو غامض التعبير في النص المشهور .

أ – مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة** ﴾[2] .

فزاد المجيزون لنكاح المتعة بعد قوله : (منهن) [إلى أجل مسمى] لتصبح القراءة : « فما استمتعتم به منهن [إلى أجل مسمى] فأتوهن أجورهن فريضة » تقوية لتأسيس جواز هذا النوع من عقد النكاح[3] .

الجواب :

هذه القراءة منسوبة إلى أبي وابن مسعود وابن عباس ولكنها قد نسخت ، وهي من آحاد التلاوة لم تبلغ التواتر . فهي إذن من قبيل القراءة التفسيرية .

ودليل نسخ هذه القراءة وتحريم زواج المتعة خلافا للشيعة الإمامية . ما رواه مسلم بسنده عن الربيع بن سبرة الجهني ، أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله – ﷺ – فقال : « يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء . وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة . فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا »[4] .

أما من نسب ذلك لابن عباس من إجازته له فذلك لسوء فهمه لفتواه .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣٥٦ .

(٢) سورة النساء آية (٢٤) .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢ / ١٠٢٥ كتاب النكاح – باب نكاح المتعة .

لأنه كان يفتي بجوازه للحاجة والضرورة فقط ولم يبحه مطلقا ، وكان إحلاله له مثل ما أحل الله من الميتة والدم ولحم الخنزير في ساعة الاضطرار ، وكان ذلك منه قبل بلوغه التحريم[1] .

وقد صار تحريمه أشبه بالإجماع إلا عن بعض الشيعة وهم الإمامية حيث أباحوه مخالفين في إباحته جمهور الأمة ومخالفين في ذلك قواعدهم حيث لا يصح في قواعدهم مخالفة علي – رضي الله عنه – وقد صح عنه نسخه وتحريمه لنكاح المتعة .

روى مسلم في صحيحه بسنده إلى علي –رضي الله عنه– أن رسول الله – ﷺ – « نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية »[2] .

والآية على نقيض ما ذكره « جولد تسيهر » نزلت في عقد النكاح الصحيح كما يدل عليه سياقها ، وترتبت عليها أحكام فقهية قررها الفقهاء ، فلا علاقة لها بنكاح المتعة المحرم[3] .

ب – والمثال الثاني : قوله تعالى في كفارة حنث يمين اللغو : ﴿ **إطعام عشرة مساكين .. أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾[4] .

زعم « جولد تسيهر » أن الأحناف أقحموا في النص كلمة (متتابعات) لتأييد رأيهم الفقهي القائل باشتراط التتابع في صيام الكفارة[5] ثم نسب « جولد تسيهر » هذه القراءة لأبي وابن مسعود – رضي الله عنهما – .

---

(١) انظر فقه السنة – السيد سابق ٢ / ٤٢ .
(٢) صحيح مسلم ٢ / ١٠٢٧ كتاب النكاح – باب نكاح المتعة .
(٣) حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣ بقلم الدكتور عبد الحليم النجار .
(٤) سورة المائدة آية : (٨٩) .
(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ .

الجواب :

هذا من غرائب آراء « جولد تسيهر » حيث نص أن هذه الزيادة مما أقحمه الأحناف لتأييد رأيهم الفقهي ، ولبيان ضعف وجهة نظر من تساهل من أصحاب المدارس الأخرى . والمعروف أن هذه القراءة كانت قبل وجود المدارس الفقهية سواء الحنفية أو غيرها .

ومما يؤكد سبقها للمدارس ما ذكره « جولد تسيهر » نفسه أنها قراءة أبي وابن مسعود - رضي الله عنهما - .

ولكن نقول إذا كان سند هذه القراءة صحيحا فتكون مما استأنس به الأحناف لدعم رأيهم الفقهي لاهم اخترعوها كما زعم « جولد تسيهر » وهذه القراءة لم تصل حد التواتر بل هي تمثل رأي عبد الله بن مسعود الذي بنى الأحناف مدرستهم على أسسه في الأحكام الفقهية .

أما إذا لم يصح سند هذه الرواية لابن مسعود فقد كفينا الرد عليها إلا أن يوجه ذلك بما ذكرنا من أن زياداته كانت تفسيرا لا قرآنا[1] .

كل هذا يبطل ظنون وتخيلات « جولد تسيهر » .

المسألة الثالثة :

٣ - تغيير بعض القراءات مراعاة لبعض القواعد النحوية .

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم** ﴾[2] حيث ضعف « جولد تسيهر » قراءة ابن عامر (زين) مؤيدا قوله بما نقل عن الزمخشري وغيره بتضعيف هذه القراءة للفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول ؛ للتشتيت في التركيب . ناسبا الجهل

---

(١) حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

للزمخشري في معرفة أن هذه القراءة متواترة قرأها النبي - ﷺ - على جبريل - عليه السلام - .

الجواب :

هاتان القراءاتان متواترتان ، صح قراءة رسول الله - ﷺ - لهما على جبريل -عليه السلام- كما صح تلقي الصحابة - رضوان الله عليهم - لهما عنه - ﷺ - فقراءة الجمهور : أهل الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة (زين) بفتح الزاي والياء .

ولم يخالف قراءة الجمهور إلا ابن عامر الذي قرأ (زين) بضم الزاي وكسر الياء . وقراءة ابن عامر على ما لم يسم فاعله (قتل) بالرفع على أنه مفعول لزين (أولادهم) بالنصب أعمل فيه القتل ، (شركائهم) بالخفض على إضافة القتل إليهم لأنهم الفاعلون ، فأضاف الفعل إلى فاعله على ما يجب في الأصل لكنه فرق بين المضاف والمضاف إليه فقدم المفعول وتركه منصوبا على حاله ، إذ كان متأخراً في المعنى ، وأخر المضاف وتركه مخفوضا على حاله إذ كان متقدما بعد القتل .

وقد نسب بعضهم الضعف لهذه القراءة بسبب التفريق بين المضاف والمضاف إليه . ولكنهم جوزوه في الشعر فقط ، وعدوا إجازته في القرآن بعيدا .

وقد نقل الإمام « ابن الجزري » رأي جمهور نحاة البصرة في ذلك على أن التفريق بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز إلا في ضرورة الشعر .

أما أهل الكوفة فيجوزون التفريق بين المضاف والمضاف إليه على الإطلاق . وقد ذكروا أن الفصل بينهما فقاعدة صحيحة ، ولكنها قليلة الاستعمال وعليها شواهد عدة[1] .

---

(١) خزانة الأدب - للبغدادي ٢ / ٢٥١ فما بعدها وانظر حاشية حجة القراءات صـ ٢٧٣ ، بقلم سعيد الأفغاني .

فمن هذه القاعدة تكلم الزمخشري في هذه القراءة . والذي حمله على ذلك كما قال « ابن الجزري » إنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء . ولو قرأ بجر (الأولاد والشركاء) لكان الشركاء هم المؤودون لأنهم شركاء في النسب والمواريث أو لأنهم قسيموا أنفسهم وأبعاض منها وجد في ذلك مندوحة .

وعلق ابن الجزري على قول الزمخشري قائلا : « والحق في غير ما قاله الزمخشري . ونعوذ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل ؟! بل الصواب جواز مثل هذا الفصل بين المصدر وفاعله والمضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع لذاته اختيارا ، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر . ويكفي على ذلك دليلا هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر . كيف وقارئها ابن عامر من كبار التابعين الذين أخذوا القراءة عن الصحابة كعثمان بن عفان وأبي الدرداء - رضي الله عنهما - وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب ، فكلامه حجة ، وقوله دليل لأنه كان قبل أن يوجد اللحن ويتكلم به ، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وروى وسمع ورأى إذ كانت كذلك في المصحف العثماني المجمع على اتباعه . وقارئها لم يكن خاملا ولا غير متبع ولا في طرف من الأطراف ليس عنده من ينكر عليه إذا خرج عن الصواب فقد كان في دمشق التي هي إذ ذاك دار الخلافة وفيها الملك والمأتي إليها والناس يقصدونها من كل أقطار الأرض في زمن خليفة هو أعدل الخلفاء وأفضلهم بعد الصحابة الإمام « عمر بن عبد العزيز » - رضي الله عنه - أحد المجتهدين المتبعين الأتقياء العدول .

وهذا الإمام القارىء أعني ابن عامر مقلدا في هذا الزمن الصالح قضاء دمشق ومشيختها وإمامة جامعها الأعظم الجامع الأموي . ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان يجلس في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة و لم يبلغنا عن أحد من السلف - رضي الله عنهم - على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئا من قراءته ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف ، ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية

وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر ولا زال الأمر كذلك إلى صدر الخمسمائة من الهجرة .

وأول من نعلمه أنكر هذه القراءة وغيرها من القراءات الصحيحة وركب هذا المحذور « ابن جرير الطبري » بعد الثلاثمائة ، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال « السخاوي » : « قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي : إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر » .

ولله در إمام النحاة أبي عبد الله بن مالك - رحمه الله - حيث قال في كافيته الشافية :

وحجتي قراءة ابن عامر ‏ ‏ ‏ ‏ فكم لها من عاضد وناصر

وهذا الفصل الذي ورد في هذه القراءة منقول من كلام العرب ، من فصيح كلامهم جيد من جهة المعنى أيضا ، فقد ورد في أشعارهم كثيرا حيث أنشد من ذلك سيبويه والأخفش وأبو عبيد وثعلب وغيرهم ما لا ينكر مما يخرج به كتابنا عن المقصود . وقد صح من كلام رسول الله - ﷺ - « فهل أنتم تاركوا لي صاحبي » ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله مع ما فيه من الضمير المعنوي ففصل المصدر بخلوه من الضمير أولى بالجواز .

وقرىء : ﴿ **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** ﴾[1] .

وأما قوته من جهة المعنى فقد ذكر « ابن مالك » ذلك في ثلاثة أوجه :

أحدها : كون الفاصل فضلة فإنه لذلك صالح لعدم الاعتداد به .

الثاني : أنه غير أجنبي معنى لأنه معمول للمضاف هو والمصدر .

الثالث : أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف إليه مقدم التقديم . لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثل هذا الفصل

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٧ .

لاقتضى القياس استعماله ؛ لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيرا فاستحق الفصل بغير أجنبي أن يكون له مزية فيحكم بجوازه مطلقا . وإذا كانوا قد فصلوا بين المضافين بالجملة في قول بعض العرب « هو غلام - إن شاء الله - أخيك ، فالفصل بالمفرد أسهل .. » .

أما قراءة الجمهور : (زين) بفتح الزاي والياء على ما يسمى فاعله ، ونصبوا (قتل) بـ(زين) وخفضوا (الأولاد) لإضافة (قتل) إليهم ، حيث أضافوه للمفعول . ورفعوا (شركاؤهم) بفعلهم التزيين فهو الأصل ، والمصدر يضاف إلى المفعول به أو إلى الفاعل ، لأنه هو أحدثه ولأنه لا يستغنى عنه ، ويستغني عن المفعول ، وإنما جاز أن يضاف إلى المفعول كما جاز أن يقوم المفعول مقام الفاعل . ولا يحسن أن يرتفع (الشركاء) بالقتل لأن فعل (زين) يبقى بغير فاعل . و (الشركاء) ليسوا قاتلين إنما هم مزينون ، والقاتلون هم المشركون حيث زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم[1] .

فعلى هذا يظهر لنا صحة القراءتين : أما طعن « جولد تسيهر » بالقراءة السبعية ومن قبله « الزمخشري » ليس بحجة على ثبوت قراءة صحيحة أو عدم ثبوتها فالقراءة عندنا سنة متبعة إن ثبتت لا حجة لأحد لإبطالها عقلا أو لغة أو غير ذلك فالقراءة الصحيحة حجة على اللغة وغيرها لا العكس .

المسألة الرابعة :

٤ - التناقض في القراءة لتحقيق إحدى العلاقات التاريخية :

استشهد « جولد تسيهر » لهذه القاعدة بقوله تعالى في سورة الروم : ﴿ **غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ حيث قال : [وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماما ، ويوضع مكانه ما هو نقيضه . ويقدم مطلع سورة الروم ذكرا لإحدى العلاقات التاريخية

---

(١) النشر في القراءات العشر - لابن الجزري ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

المعاصرة .. ثم قال : ونرى أن في القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايرا بعيدا . فالمنتصرون في القراءة المشهورة هم المنهزمون في القراءة المخالفة . والفعل المبني للفاعل في الأولى مبني للمفعول في الثانية ، وإذا فهما قراءاتان وتأويلان لجملة واحدة من كلام الله متعارضان إلى أبعد مدى ..] .

الجواب :

هذه الآية فيها قراءتان :

الأولى : « غلبت .. سيغلبون » وهذه القراءة متواترة .

أما القراءة الثانية « غلبت .. سيغلبون » فهي قراءة شاذة وهذه القراءة منسوبة للإمام علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – .

فمعنى القراءة المتواترة أن الروم الذين هزمهم الفرس موعودون بالنصر في مرة أخرى على أعدائهم .

أما معنى القراءة الشاذة : أن الروم الذين انتصروا على بعض القبائل العربية على الحدود السورية ، سيهزمهم المسلمون في بضع سنين . فالمعنى في كلا القراءتين واضح لا لبس فيه ولا تناقض بينهما كما فهم « جولد تسيهر » .

أما الصواب فهو القراءة المتواترة والذي يؤيدها سبب نزولها الذي رواه الإمام الواحدي في كتاب (أسباب النزول) عن ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله– ﷺ – فيقولون : الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبهم المجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم . فكيف غلب المجوس وهم ليسوا أهل كتاب فسنغلبكم كما غلب فارس الروم فأنزل الله ﴿ **الم غلبت الروم ..** ﴾[(١)][(٢)] .

---

(١) سورة الروم : ١ – ٣ .

(٢) أسباب النزول ، الواحدي ٢ / ٣٥ .

والإخبار في الآية على سبيل القطع واليقين وإخبار الواثق لأنه وحي إلهي كريم يعكس ما ظنه « جولد تسيهر » أنه رجاء وأمل أن يتم ذلك ؛ لذا حدد الفترة التي سيتم فيها النصر - في بضع سنين - وعدم تحديد سنة بعينها مع علمه بذلك لأن الناس منهم من يحسب بالشمس ، ومنهم من يحسب بالقمر ، ومنهم من يكمل الكسور ، ومنهم من يلغيها ، فكان مقتضى الحكمة التعبير باللفظ الصادق على كل تقدير . ليكون أقطع للشبهة وأبعد عن كل جدل ومكابرة .

فحينئذ تكون الآية من الإخبار بالمستقبل المغيب الخاص علمه بالله تعالى ، وتكون من البراهين الدالة على صدق نبوة سيدنا محمد - ﷺ - وصدق المنزل عليه[1] .

بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يسمى (شهريراز) فسار إلى الروم ، بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم ، وخرب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ، وقد كان قيصر بعث رجلا يدعى « يحنس » فالتقى مع « شهريراز » بأذرعات وبصرى ، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب ، فغلب فارس الروم ، وبلغ ذلك النبي - ﷺ - وأصحابه بمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي - ﷺ - يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح كفار مكة وشمتوا ، فلقوا أصحاب النبي - ﷺ - فقالوا : إنكم أهل الكتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الم . **غلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ إلى آخر الآيات . فخرج أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا - ﷺ - فقام إليه أبي بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : أنت أكذب ياعدو الله أناحيك عشر قلائص مني وعشر

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ١١٣ - ١١٧ .

قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبي - ﷺ - فأخبره . فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال : لعلك ندمت فقال : لا فقال : أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال : قد فعلت . فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين وهذا كان من قمارهم الأول .. » .

بهذا التوضيح يظهر بطلان زعم « جولد تسيهر » أن القرآن الكريم فيه تناقض وتعارض مراعاة لإحدى العلاقات التاريخية .

المسألة الخامسة :

٥ - زيادات دخلت القراءات كتكملات مفسرة دفعا للاضطراب ، أو لإزالة غامض ، أو لإزالة شبهة دينية ، أو تحديد مسألة فقهية .. إلخ . وقد جعل عمدة هذه الزيادات الصحابيان الجليلان عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - وقد ذكرت بعض هذه الزيادات في النقطة الأولى والثانية وقد علق « جولد تسيهر » على هذه المسألة قائلا : [وليس بواضح حقا ما قصد من هذه الزيادات : هل قصد أصحابها من ذلك إلى تصحيح حقيقي للنص ، أو إلى إضافة تعليقات موضحة فقط لا تغير النص في شيء .. بل موضحة لنص الوحي][١] .

الجواب :

إن مكانة هذين الصحابيين تمنع جهلهما بشيء من هذه القراءات وخاصة أنهما ممن تلقيا من رسول الله - ﷺ - القراءة وحث الرسول - ﷺ - الناس بتلقي القرآن عنهما قال - ﷺ - : « تعلموا القرآن من أربعة : عبد الله بن

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٦ وما بعدها .

مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[1] .

فمكانتهما العلمية ، وشهادة رسول الله - ﷺ - تنزههما عن تغيير نص قرآني ، وما كان منهما أنهما كانا كبقية الصحابة - رضوان الله عليهم - يحتفظون بنسخ خاصة بهم فيها القرآن المتواتر ، والآحادي ، والزيادة التفسيرية الموضحة للنص ، وهذه الزيادة في القراءة أشبه ما تكون بالمدرج في الحديث .

ومن هذه الأمثلة التي ذكرها « جولد تسيهر » كالقراءة التي نسبها لابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ **وامرأته قائمة** ﴾[2] [وهو قاعد][3] .

وهذه وأمثالها من باب الزيادة التفسيرية ، وهو مفهوم من النص ضمنا وهو ليس قرآنا بل من آحادي التلاوة .

فهذه الأمثلة لا تصلح حجة لـ« جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين لاتهام الصحابة - رضوان الله عليهم - بتغيير النص القرآني تشهيا ، أو لحريتهم الفكرية أو لجرأتهم المعهودة .

وإنما الأمر مرده لتلقي الصحابة القراءة عن رسول الله - ﷺ - والزيادات منهم كانت كناحية تفسيرية ، أو ضبطا لحكم فقهي ، أو مسألة علمية جعلوا كل هذا نصا قرآنيا جديدا تلاعبت أيدي الصحابة بالنص الأصلي حتى صار هكذا .

---

(١) خرجه الإمام البخاري في صحيحه جـ ٤ / ٢٨٨ باب مناقب الأنصار ، مناقب أبي بن كعب ١٦ بلفظ (خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ ابن جبل ، وأبي بن كعب) .

(٢) سورة هود : (٧١) .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٢ .

المسألة السادسة :

٦ - تغيير في القراءة قصد منها حسم قضية جاءت في النص القرآني غير حاسمة ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[١] حيث غير الصحابي الجليل منطوق النص بتغيير « مع » إلى « من »[٢] .

الجواب :

القراءة المتواترة جاءت بـ « مع » أما القراءة الثانية بـ « من » فهي قراءة شاذة ، وهي منسوبة لابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهما -[٣] .

فمعنى القراءة المتواترة : اتقوا الله في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وكونوا مع الصادقين في نواياهم ، المخلصين في أعمالهم لربهم سبحانه لتكونوا مع الصادقين في الجنة .

أما القراءة الثانية فمعناها كونوا مع الصادقين في حديثكم كما كان يتأولها هذان الصحابيان .

و « من » أعم من « مع » فعبر بـ« مع » ليظهر فضيلة الصدق ، ومن كان من قوم فهو معهم في المعنى المأمور به ولا ينعكس ذلك . فالإنسان إذا اجتهد بأخلاق الصادقين يصبح الإنسان من الصادقين ثم يصبح مع الصادقين . فهذه القراءة إذن قراءة آحاد لم تثبت قرآنيتها فهي شاذة ولكنها تفسد معنى تفسيريا لا غير . والمرجع في القراءات كلها النقل والرواية لا أشخاص من قالها .

المسألة السابعة :

٧ - تغيير القراءة بلفظ مرادف يحمل نفس المعنى للفظ صحيح .

---

(١) سورة التوبة : (١١٩) .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٤٥ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط جـ٥ / ١١١ .

وقد نقل « جولد تسيهر » لهذا مثالا وهو قوله تعالى : ﴿ **نفس عن نفس** ﴾[1] حيث قرأ أبو السرار[2] الغنوي « نسمة عن نسمة »[3] .

الجواب :

هذه القراءة من شواذ القراءات ، لم تثبت قرآنيتها . وقارئها أبو السرار الغنوي من الذين لا يؤخذ لهم في القرآن برأي ولا يُعد قولهم فقها .

المسألة الثامنة :

٨ – تغير بعض القراءات أدى التغيير لمسخ القراءة .

واستشهد « جولد تسيهر » لذلك بقوله تعالى : « يطاف عليهم بكأس من معين . صفراء لذة للشاربين »[4] .

حيث قرأ ابن مسعود بدلا من « بيضاء » « صفراء » واعتبر « جولد تسيهر » هذا التغيير مسخا للقراءة[5] .

الجواب :

ذكر هذه القراءة الشاذة الآلوسي في تفسيره[6] ونسبها لعبد الله بن مسعود . ولكن الأمر ليس كما تصور « جولد تسيهر » أن قراءة عبد الله مسخت القراءة الأصلية . بل إن قراءة الجمهور « بيضاء » جاءت وصفا إما للكأس الذي يصب فيه خمر الجنة . أو وصف لخمر الجنة قبل عصرها ووصفها بالبياض جاء

---

(١) سورة البقرة : (٤٨) .

(٢) أبو السرار الغنوي : قال عنه الدكتور عبد الحليم النجار كان أبو السرار الغنوي كرؤبة وغيره من أجلاف العرب ومتأخريهم الذين لا يؤخذ لهم في القرآن برأي ولا يعد قولهم فقها . انظر حاشية مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٧ بقلم الدكتور عبد الحليم النجار .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٦ – ٢٧ .

(٤) سورة الصافات آية : (٤٥ – ٤٦) .

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٩ .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ١٢ / ٨٧ .

على لسان الحسن – رضي الله عنه – « إن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن » .

أما قراءة عبد الله « صفراء » فهي وصف لخمر الدنيا بعد المزج وإلا فهي قبله حمراء .

وجاء وصفها بالصفار بقول أبي نواس :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها   لو مسها حجرُ مسته سراءُ

وجاء وصفها قبل المزج « بالحمار » بقول الشاعر :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده   آتت في ثيابي نرجس وشقائق
حكت وجنة المحبوب صرفا فسلطوا   عليها مزاجا فاكتست لون عاشق[1]

فمن هنا يظهر أن الوصفين جاءا للخمر أحدهما قبل مزجها والآخر بعده فقراءة الجمهور « بيضاء » جاءت لأحدهما ، والوصف الثاني « صفراء » جاء للوصف الثاني منهما .

فلا مسخ للقراءة . والذي يؤخذ به من القراءتين قراءة الجمهور وهي السبعية المتواترة . ولأن القراءة تؤخذ بالرواية لا بالاجتهاد .

أما قراءة ابن مسعود فهي لم تثبت فهي تعتبر آحادية التلاوة « تفسيرية للنص » فلا تعد قرآنا .

بهذا الرد يظهر لنا جليا سوء نوايا « جولد تسيهر » في أقواله في القراءات ، كما يظهر انجرار أصحاب الموسوعة البريطانية خلفه حيث تبنوا أقواله في هذا الأمر الخطير .

والأمر الذي ناقشته كون الاختلاف في القراءات ناتج عن اجتهاد من الصحابة لجرأتهم وحريتهم الفكرية في الخروج عن النص فوضحت أن القراءة « سنة متبعة » لا يجوز فيها الاجتهاد والتشهي وإنما مدارها على النقل والرواية الصحيحة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٧٨ ، وروح المعاني ١٢ / ٨٧ .

كما وضحت أن القراءات الصحيحة لا يكون بينها أي تناقض أو تدافع يحيل المعنى ويرده .

وقد تبين أن أقوال « جولد تسيهر » كانت إما لجهل أو تجن لتحقيق غرض في نفسه .

وقد جعلت ردي عليه مجملا موزعا أقواله لقضايا عامة وزع عليها القراءات القرآنية مكتفيا بمثال أو أكثر لإبطال هذه القواعد التي انطلق منها للشكيك في قراءات القرآن الكريم وبقية الأمثلة متشابهة وموزعة تحت هذه القواعد لا تخرج عنها .

وقد أكثر « جولد تسيهر » من ضرب الأمثلة بالقراءات الشاذة ، كما أورد بعض القراءات المتواترة إلا أنه صرفها عن المعنى المتبادر الصحيح إلى بعض الوجوه البعيدة في دلالتها وفي النماذج التي أوردتها غناء عن تتبع كل ما أورده .

ولله الحمد والمنة ..

المسألة التاسعة :

موقف المستشرقين من القراءة بالمعنى .

زعم « بلاشير » و « جولد تسيهر » وغيرهما على جواز قراءة القرآن بالمعنى ، وأنه لا يهم مطابقته لحرفية اللفظ .

واستدل « جولد تسيهر » على زعمه بما نسبه لعثمان - رضي الله عنه - من قراءة آية آل عمران « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1] * ويستعينون الله على ما أصابهم » وبما نسبه لابن مسعود بقراءته « اهدنا الصراط المستقيم»[2] «ارشدنا الصراط المستقيم» مغيرا

(١) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٢) سورة الفاتحة : ٦ .

الكلمة بمرادفها ، واستدل بقول ابن مسعود - رضي الله عنه - كذلك : لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤا كما علمتم فهو كقولكم : هلم وتعال .

ونسب لعبد الله بن المبارك أنه كان لا يرد على أحد حرفا إذا قرأ مخالفا للقراءة المشهورة .

واستدل « جولد تسيهر » بتعدد القراءات على حرية القراءة للنص بالمعنى ممثلا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾[1] بضم الفاء وفتحها . وقد علق على فرية القراءة بالمعنى « بلاشير » قائلا : [خلال الفترة التي تبدأ من مبايعة « علي » - رضي الله عنه - عام ٣٥ هـ حتى مبايعة الخليفة الأموي الخامس « عبد الملك » عام ٦٥ هـ كانت جميع الاتجاهات تتواجه ، فالمصحف العثماني قد نشر نفوذه في كل البلاد إذ كان مؤيدا بنفوذ من شاركوا في عمله ..

فبالنسبة إلى بعض المؤمنين لم يكن نص القرآن بحرفه هو المهم وإنما روحه . وهذه النظرية (القراءة بالمعنى) تعد من أخطر النظريات لأنها تكل تحديد النص إلى هوى كل إنسان وفهمه][2] .

ومن المؤسف أن الدكتور « مصطفى مندور » قد انساق لهذا الرأي فخصص له فصلا في رسالته العلمية المقدمة لكلية الآداب - باريس بعنوان « الشواذ » حيث قال : [هنالك على الأخص نقطة وقع عليها اتفاق كثيرين هي أن القرآن ربما قرىء بأوجه كثيرة ، ولكن الأساس هو أن يُحتَرم المعنى ..] .

وقد استدل بقول عمر بن الخطاب « والقرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا ، أو عذابا مغفرة » وبقول ابن مسعود القريب منه : « لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤا كما علمتم فهو كقولكم هلم وتعال » .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٢) تاريخ القرآن - عبد الصبور شاهين صـ ٨٤ ،٨٥ .

ثم استدل بقصة كاتب الوحي عبد الله بن أبي السرح واستدل بعدها بقصص وأخبار استقاها من (كتاب الأغاني) كلها من باب النوادر .

واستدل ببعض القراءات التي مرجعها الاختلاف اللهجي الناتج عن الرسم العثماني[1] .

الجواب :

تخيل كثير من المستشرقين أن للصحابة والتابعين القدرة على التدخل في النص القرآني ، من أن يجعلوه أكثر وضوحا ، أو من أجل أن يقيموا خطأه في الشكل أو الصيغة ، أو من أجل أن يضمنوه بعض الاتجاهات العقائدية أو اللاهوتية . على حد تعبير المستشرقين بزعمهم .

فالباعث لهم في عملهم هذا في نظر هؤلاء المستشرقين غموض النص أو استعماله غير الأفصح في الشكل أو الصيغة ، أو استغلال القرآن لمصالحهم وأهدافهم الدينية . وهذا كله يدل على جهل هؤلاء المستشرقين بحقيقة القراءات القرآنية . لأنهم كانوا يستشهدون بالروايات الشاذة أحيانا وأحيانا يستشهدون بما صح منها ولكنها لم تصل إلى حد التواتر ، أو يستشهدون بما تواتر منها ولكنهم يحملون المعنى على غير ما تحتمله القراءة . وخير دليل على ما أقول ما استشهد به المتبنون لهذه الفرية من أدلة ، كآية سورة آل عمران السابقة الذكر « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[2] * ويستعينون الله على ما أصابهم » المنسوبة لعثمان – رضي الله عنه – وهذه القراءة هي قراءة آحاد لا يعتد بها ولا تعتبر قرآنا لعدم استيفائها شرط التواتر ويؤكد ردها إحراق عثمان – رضي الله عنه – المنسوبة له هذه القراءة لكل مصحف احتوى أمثال هذه القراءات .

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٣ – ٩٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

قال « أبو حيان » معلقا على هذه القراءة : « ولم تثبت هذه الزيادة في سواد المصحف فلا تكون قرآنا وفيها إشارة إلى ما يصيب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من الأذى كما قال تعالى : ﴿ **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك** ﴾[1] .

ومثلها قراءة « أرشدنا » في الفاتحة عن ابن مسعود . وقراءة « أنفَسكم » بفتح الفاء .

وقد حمل العلماء هذه القراءات على أنها قراءات تفسيرية . وذلك لأنها أحاد وخالفت سواد المصحف أراد الصحابي من ذكرها توضيح معنى النص بمرادفه في اللفظ أو توضيح المقصود منه من حيث المعنى .

وقراءة الآحاد لا تعتبر قرآنا حتى لو نسبت لمحمد أو آل بيته - عليهم السلام - كقراءة « أنفسكم » فكونها قراءة آحاد لا يجوز الأخذ بها لعدم توافر شروط الرواية الصحيحة لها .

وكل ما استشهدوا به في هذا الموطن من قراءات تحمل على أنها تفسيرية. قال أبو حيان عند قوله تعالى : ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها** ﴾ قال : « هذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه ، فينبغي أن تجعل تفسيرا . وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف .. »[2] .

وكما ينبغي أن يعلم أن مخالفة المروي للقرآن المتواتر ، أو لما اشتهر من السنة الصحيحة ، أو لإجماع العلماء مما يقلل الثقة بالرواية ويجعلها في عداد الروايات الواهية التي لا يحتج بها[3] .

أما استناد بعضهم بجواز القراءة بالمعنى اعتمادا على نزول القرآن بأحرف سبعة باطل .

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣ / ٢١ .

(٢) البحر المحيط ١ / ١٦١ .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم - بتصرف صـ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

نحن لا نشك ولا ننفي أن القرآن نزل على سبعة أحرف توسعة على العرب الذين ما كانت ألسنتهم تلين بغير حرفها . وقد جمع عثمان – رضي الله عنه – الناس على حرف واحد ألا وهو حرف قريش فلا يجوز أن يعد اليوم قرآنا سواه .

والأحرف السبعة لم تكن تتبع هوى الصحابة بحيث يقرأون كيف ما يشاءون كما صور ذلك « بلاشير » بل كانت في حدود المسموع المتلقى عن رسول الله – ﷺ – وهذا هو ما أجمع عليه العلماء المحققون(١) . لذا كانت إجابته – ﷺ – لكل من عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم عقب سماعه منهما سورة الفرقان على إثر خلاف نشب بينهما لاختلافهما في الحرف « هكذا أنزل »(٢) .

أما قصة عبد الله بن أبي السرح الذي ارتد ثم رجع للإسلام وتغييره فواصل الآيات مثل : ﴿غفور رحيم﴾ بـ ﴿سميع بصير﴾ فقد توسعت في الحديث عنه في موضع آخر من الرسالة(٣) وذكرت أن تغيير الفواصل لا يجوز بإجماع المسلمين ، لأنه يذهب إعجاز القرآن .

قال الأستاذ أبو شهبة – رحمه الله تعالى – : « وإن لنا لوقفة عند هذا الرأي الأخير ، المجوز لتبديل فواصل الآي بعضها ببعض مما هو من صفات الرب ، فإن هذا خلاف الإجماع ، ويؤدي إلى ذهاب الإعجاز ، فإن من إعجاز القرآن هذا التناسب والترابط القوي بين الآية وخاتمتها ، فلو جاز إبدال خاتمة بأخرى لعاد بالخلل على إعجاز القرآن » .

قال القاضي عياض : نقلا عن المازري : « وقول من قال المراد خواتيم الآي فيجعل مكان « غفور رحيم » « سميع بصير » فاسد أيضا للإجماع على منع تغيير القرآن للناس »(٤) .

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٠٧ .

(٢) نفس المرجع ٢١٠ وانظر الحديث في مسند الإمام أحمد ١ / ٤٠ .

(٣) انظر صـ ٣٢٠ من الرسالة .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٠١ .

أما دعواه أن بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى لسماعه قراءة القراء فوجدها قريبة كقول أحدنا : « هلم وتعال » فهذا مردود على المستشرقين .

قال القاضي أحمد بن عمر الحموي : « أما ما نقل عن الصحابة بأنهم يجيزون القراءة بالمعنى دون اللفظ كالذي نسب لابن مسعود لا يصح[1] .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - « وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه وإنما قال : نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة وإنما هو كقول أحدكم : أقبل ، وهلم ، وتعال ، فاقرءوا كما علمتم أو كما قال »[2] .

فلا شك أن معنى القراءات الصحيحة في الآية الواحدة متقاربة ومنسجمة ولا تناقض بينها . ومما يؤكد أن مقصوده الاتباع في القراءة والتلقي لا الاجتهاد والتشهي قوله : « فاقرءوا كما علمتم » وهذا كله يبطل دعوى هؤلاء المستشرقين .

وقد ذكر الإمام البغوي في شرح السنة أن ما خالف المصحف العثماني يعد منسوخا قال - رحمه الله -: المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله - ﷺ - فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه ، وأذهب ماسوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع من القرآن الكريم ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم[3] .

أما استدلاله بموقف عبد الله بن المبارك - رحمه الله - أنه كان لا يرد على أحد حرفا ، فلا دليل لهم فيه لجواز أن من كان يقرأ عليه كان يعتمد على قراءة صحيحة الرواية ، لذا فلا يجوز منه أن يرده عن قراءته السبعية بل يصحح لمن

(١) القواعد والإشارات في أصول القراءات - أحمد بن عمر الحموي طبعة دار القلم دمشق صـ ٢٨ .
(٢) مجموع الفتاوي ١٣ / ٣٩٧ .
(٣) فتح الباري ٩ / ٣٠ .

يخطىء في القراءة السبعية لا غير .

وهناك أمور لابد من ذكرها تؤكد ما نقول به وهو عدم جواز قراءة القرآن بالمعنى .

١ - أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يحرصون أن يرووا حديث النبي - ﷺ - بلفظ ولا يجيزون قراءته بمعناه حتى إن أنس بن مالك - رضي الله عنه - كان إذا حدث عن النبي - ﷺ - يقول : « أو كما قال » محترزا بذلك . خوفا من أدائه على غير لفظه فإذا كان هذا موقفهم من الحديث النبوي الشريف فمن باب أولى القرآن الكريم[١] .

٢ - كان من الأدلة التي اعتمدوها في دعم أقوالهم بعض القصص التي تقال للتندر بها لإضحاك السامع ، ورجالها مجهولون وهي مأخوذة من بعض الكتب غير الموثقة والتي لا تصلح أن تكون دليلا لمثل هذه القضايا القرآنية الخطيرة أمثال كتاب الأغاني للأصفهاني ، وكتاب الحيوان للجاحظ . والأولى أن تكون رواياتهم وأدلتهم مأخوذة من كتب معتمدة لأن المسألة متعلقة بكتاب الله - عز وجل - الذي توفرت له كل وسائل الثبوت واليقين والتحوط العلمي[٢] .

هكذا نرى تهافت دعوى هؤلاء المستشرقين ببطلان أدلتهم وسقوطها وإقامة الأدلة القوية على عدم جواز قراءة القرآن بالمعنى ولزوم قراءته بالنص كما أنزل ، لأن القراءة « سنة متبعة » .

٣ - ومما حاول أن يستند إليه « جولد تسيهر » من شواهد ليستدل منها أن القراءة تجوز بما يريده الصحابي وعلى حسب اختياره ما نقل عن ابن شنبوذ ، وأبي بكر العطار الذين حاول « جولد تسيهر » إبرازهم في أكثر من موضع وذلك لأنهم اهتموا بالقراءات الشاذة .

---

(١) نكت الانتصار لنقل القرآن - الباقلاني صـ ٣٢٩ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن صـ ٢١٠ .

مع أن هؤلاء قوبلوا بالإنكار الشديد من جمهور المسلمين ، وأقيمت عليهم الحجة ببطلان مذهبهم ، واستتيبوا فرجعوا عن مذهبهم وكتب محضر بتوبتهم .
فالأصل في الحرية في القراءة أن تكون مقيدة بالأثر والرواية ، وصحة النقل ، وبالاعتماد على المشافهة فللقارىء أن يختار ما يشاء من القراءات في حدود المقبول المتواتر منها، وليس له تغيير شيء منها . بل عليه التقيد بما نقل منها عن رسول الله – ﷺ –[1] .

الأمر الثاني :

الاختلاف الناجم عن طبيعة الخط العربي :

زعم « بلاشير » و « جولد تسيهر » و « نولديكة » و « آرثر جيفري » وأصحاب الموسوعة البريطانية وغيرهم أن سبب الاختلاف في كثير من القراءات يعود إلى خصوصية الخط العربي الذي كان مجردا من الشكل والنقط والذي كتب به المصحف العثماني[2] .

الجواب :

أرجع هؤلاء المستشرقون سبب الاختلاف في القراءة لسببين رئيسيين :

الأول : تجرد المصحف من النقط .

الثاني : عدم وجود الحركات النحوية ، وفقدان الشكل في الخط العربي .

ماذا يقصد هؤلاء المستشرقون برسم المصحف ؟ .

أرادوا برسم المصحف القواعد التي ارتضاها الخليفة عثمان – رضي الله

---

(١) انظر كتاب القراءات – للقاضي صـ ١٧٩ – ١٨٢ .

(٢) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٠٨ ، تاريخ القرآن – عبد الصبور شاهين صـ ٢١٠ وما بعدها ، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٢٢٠ .
المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٦٦ ، ومقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود صـ ٧ بقلم (آرثر جيفري) .

عنه – ومن كان معه من الصحابة في كتابة القرآن الكريم ، ورسم حروفه في المصاحف التي وجهها للآفاق ، وفي المصحف الإمام الذي احتفظ به لنفسه .

وعلم الرسم علم اهتم به علماء الإسلام قديما وحديثا . حيث ألف فيه بعضهم عدة مؤلفات : فمن القدماء الإمام أبو عمر والداني ، والمراكشي ، ومن المحدثين محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ، ومحمد خلف الحسيني ، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي وغيرهم .

وقد اختلف في جواز كتابته برسمنا الحالي .

أما شبهتهم السابقة فيردها عدة أمور :

١ – أن المستشرقين قد بنوا شبهاتهم على إغفال الحقيقة التاريخية التي تؤيدها النقول المتواترة التي لا يتطرق إليها أي شك وهو أن القرآن الكريم تلقاه رسول الله – ﷺ – من أمين الوحي جبريل – عليه السلام – وعلمه بدوره لصحابته الكرام – رضوان الله عليهم – فحفظوه في صدورهم . فمن هنا يظهر أن القراءة كانت سابقة لكتابة القرآن الكريم .

٢ – أننا نجد حرفا في القرآن الكريم يتكرر برسم واحد لا يختلف في السور ، التي ورد فيها ، ومع ذلك نجد القراء يختلفون في قراءته في بعض المواضع ، ويتفقون في قراءته في مواضع أخرى .

مثال ذلك :

اتفقوا في قراءة ﴿ **مالك الملك** ﴾[١] و ﴿ **ملك الناس** ﴾[٢] في حين اختلفوا في قراءة ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾[٣] فقرأ بعضهم بالألف وقرأ آخرون بدون الألف في حين أن مثيلتها « مالك » و « ملك » السابقتين في المصحف واحد

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦ .

(٢) سورة الناس : ٢ .

(٣) سورة الفاتحة : ٣ .

غير مختلف[1] .

٣ - نجد في المصحف ﴿ إنما أنا رسول ربك لأهب لك ﴾[2] فرسم كلمة « لأهب » بالهمزة في كل المصاحف وقد قرأ بها كل القراء إلا ورشا وأبا عمرو خالفا. وقرىء « ليهب » بالياء لاعتمادهم في ذلك على النقل وثبوت الرواية . وحتى لو خالفا رسم المصاحف[3] لأن القراءة سنة متبعة لا تأثير للرسم عليها .

٤ - نجد أن بعض القراء يقرءون على قارىء واحد ورسم مصحفهم واحد ومع هذا فبعضهم يكثر في الإمالة ، وبعضهم يقل بها كراويي عاصم : أبي بكر ، وحفص ، وراويي نافع : قالون ، وورش[4] .

حتى أن حفصا لم يمل من جميع القرآن إلا قوله تعالى ﴿ مجريها ﴾[5] من سورة هود[6] .

٥ - نجد أن بعض الكلمات رسمها واحد وقراءة القراء لها مختلفة مثال ذلك : كلمة ﴿ يحزن ﴾[7] في القرآن الكريم فأبو جعفر قرأها (يُحزِن) بضم الياء وكسر الزاي في الأنبياء فقط . مع أنه فتح الياء وضم الزاي في باقي القرآن . أما نافع فإنه قرأها (يُحزِن) بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن إلا في الأنبياء فإنه فتح فيها الياء وضم الزاي[8] .

وفي هذا دليل واضح كذلك أن الاختلاف راجع للتلقي والنقل لا للرسم لأنه واحد .

---

(١) انظر حجة القراءات صـ ٧٧ .
(٢) سورة مريم : ١٩ .
(٣) رسم المصحف العثماني - شلبي - طبعة دار الشروق صـ ٣٣ - ٣٤ .
(٤) رسم المصحف صـ ٤٤ .
(٥) سورة هود : ٤١ .
(٦) انظر رسم المصحف صـ ٤٤ - ٤٥ .
(٧) سورة الأحزاب : ٥١ .
(٨) نفس المرجع صـ ٤٥ .

٦ - كما أن عثمان - رضي الله عنه - لما كتب المصاحف ، لم يكتف بإرسالها وحدها . بل أرسل مع كل مصحف مقرئا يعلم الناس القراءة كما تلقاها من الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . ولم يكتف بالمرسوم فيها مما يدل أن التلقي والنقل هو الأساس ولا يكفي الرسم[١] .

ويكفي أن هذا الكتاب أوكل حفظه لله سبحانه وتعالى ولم يملك أحد فيه أي تغيير ولا تبديل حتى رسول الله - ﷺ - قال تعالى : ﴿ .. **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاىء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلَيَّ . إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾[٢] فمن باب أولى أن لا يملكه الصحابة أو التابعون أو القراء من بعده . والذي يريد المزيد من هذه الأدلة فعليه بكتاب الأستاذ شلبي (رسم المصحف العثماني) .

فهذه الأدلة تظهر بطلان مزاعم القائلين بهذا الرأي ويظهر صحة الروايات القرآنية الثابتة بطريق التواتر ، ويعتبر كل قراءة منها قرآنا يثبت فيه الإعجاز . ولا يقبل منها الشاذ ولا الضعيف الواهي الذي اختل فيه ركن من أركان القراءة الصحيحة وهي :

١ - موافقة العربية ولو بوجه .

٢ - موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية .

٣ - صحة السند .[٣]

والآن بقي أن أرد على بعض الأمثلة التي دلل بها هؤلاء المستشرقون على أقوالهم لأبين خطأها وأوجهها التوجيه الأقوم .

فمن الأمثلة التي استدل بها هؤلاء على أن سبب الاختلاف عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط .

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين صـ ٤٨ .

(٢) سورة يونس : ١٥ .

(٣) منجد المقرئين صـ ١٥ - ١٧ .

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ **ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم . قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون** ﴾[1] والرسم يحتمل في « تستكبرون » قراءة أخرى هي « تستكثرون » لذا جاء فيها القراءاتان .

والمثال الثاني :

قوله تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾[2] بالمثناة التحتية ، وقرأ حماد الراوية « أباه » بالباء الموحدة[3] .

وهاتان القراءتان اللتان استشهد بهما « جولد تسيهر » من شواذ القراءات ومنكرها ، فلا حجة إذن فيهما مع أن كلتا القراءتين يحتملهما الرسم ، والثانية سائغة المعنى ، ومروية عن الحسن وحماد الراوية ، وابن السميقع وأبي نهيك وأبي معاذ القارىء[4] ولكنها رُفضت واعتبرت شاذة لعدم ثبوتها عن رسول الله - ﷺ - لأن القراءة سنة متبعة لا على ما يحتمله الرسم[5] .

كما استدل بقراءتين أخريين[6] ليدلل على صحة زعمه .

أولهما :

قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته** ﴾[7] وقرأ بعضهم بدلا من « بشراً » بالباء « نشرا » بالنون .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٨ .
(٢) سورة التوبة : ١١٤ .
(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩ .
(٤) انظر تفسير البحر المحيط ٥ / ١٠٥ .
(٥) انظر كتاب القراءات في نظر المشركين والملحدين صـ ٩٩ - ١٠٠ .
(٦) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩ - ١٠ .
(٧) سورة الأعراف : ٥٧ .

وثانيهما :

قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا** ﴾[1] حيث أشار « جولد تسيهر » أن بعض الثقات قرأ بـ« فتثبتوا » وهاتان القراءتان متواترتان صح وثبت نقلهما عن رسول الله - ﷺ - فسبب الاختلاف فيهما إذن ليس احتمال الرسم للقراءات بل بسبب ثبوت ذلك عن رسول الله - ﷺ - وتعليمه صحابته وجوه القراءة .

فالآية الأولى قرأ بـ« نُشُرا » بالنون المضمومة وبالشين المضمومة الإمام نافع وابن كثير . وقرأ ابن عامر وأبو عمرو « نُشْرا » بضم النون وسكون الشين . وقرأ حمزة والكسائي « نَشْرا » بفتح النون وسكون الشين . وقرأ عاصم « بُشْرا » بالباء المضمومة والشين الساكنة[2] فهذه القراءات جميعها متواترة صحيحة المعنى ويسهل توجيهها مع العربية .

أما الآية الثانية فقد قرأ حمزة والكسائي بالثاء « فتثبتوا » من التثبيت في هذا الموضع ، وفي سورة الحجرات كذلك وقرأ الباقون « فتبينوا » بالياء ، من التبيين[3] .

فهذه القراءات كما قلت صحيحة متواترة ثابتة في النقل والرواية عن رسول الله - ﷺ - وهو سبب الاختلاف فيها لا احتمال الرسم كما زعموا .

الخلاصة :

ظهر من خلال ردنا على القراءات السابقة أن كلام هؤلاء المستشرقين لا يستند إلى دليل علمي ولا نظرة مجردة من الحقد والهوى والسطحية .

---

(١) سورة النساء : ٩٤ .

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات - مكي ١ / ٤٦٥ .

(٣) نفس المرجع ١ / ٣٩٤ .

لأنه كما بينت أن الاختلاف في القراءات سببه النقل والرواية والتلقي والمشافهة ، لا احتمال الرسم لها فقط ، كما أنه لا مجال للرأي والاختيار فيها . وأن هذه القراءات نشأت قبل كتابة القرآن الكريم وجمعه ، وقبل عمل عثمان - رضي الله عنه - لمصحفه ، وهو ما ينسبون الاختلاف لرسمه فالاختلاف إذن لم ينشأ عن إغفال المصاحف من نقط الحروف وشكلها ، ولا من هيئتها ورسمها ، ولكنه يعود لما تلقاه رسولنا - ﷺ - من أمين الوحي جبريل - عليه السلام - فعلمه بدوره لصحابته - رضوان الله عليهم - .

المبحث الثالث :

نولديكة ورسم المصحف :

أ - اعتبر « نولديكة » أن اختلاف المصاحف في رسم بعض الكلمات يعتبر نوعا من الخطأ . وذلك كرسم التاء في بعض المصاحف مفتوحة ورسمها في آخر مربوطة وكإثبات الألف في بعضها وحذفها في آخر . وزيادة الواو في كلمة في مصحف وحذفها من مصحف آخر . وإثبات التنوين كسرتين في مصحف ، وكتابتها نونا في آخر .. وهكذا[1] .

الجواب :

إن مرجع الشبهة عند « نولديكة » عدم إدراكه لقواعد الرسم العثماني ولا لأسرارها فاختلاف حال الكلمة في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها . وأن فيها فوائد بلاغية ، ولغوية ونحوية . وقد ألف الإمام أبو العباس أحمد الأزدي الشهير بابن البناء المراكشي كتابه أسرار الرسم العثماني والذي سماه القسطلاني (الدليل من مرسوم التنزيل)[2] والأصل في المكتوب أن يكون موافقا للمنطوق من غير زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه ،

---

(١) تاريخ القرآن - الجزء الثالث - الفصل الأول .

(٢) انظر رسم المصحف غانم قدودي صـ ٢٢٣ .

والفصل والوصل . وقد خالف المصحف الإمام في بعض الحروف لحكم وأسرار لا يدركها إلا العالمون .

وينحصر أمر الرسم في ست قواعد :

١ - قاعدة الحذف :

وذلك مثل حذف الألف من ياء النداء في ﴿ **يأيها الناس** ﴾[١] وتحذف الياء مثلا من كل منقوص منون رفعا وجرا مثل : ﴿ **غير باغ ولا عاد** ﴾[٢] . وتحذف الواو كذلك ومثال ذلك : إذا وقعت مع واو أخرى نحو ﴿ **لايستوُن** ﴾[٣] .. إلخ[٤] .

٢ - قاعدة الزيادة :

وذلك مثل زيادة الألف بعد آخر اسم مجموع أو ما في حكمه مثلا ﴿ **يلاقوا** ﴾[٥] و ﴿ **مائة** ﴾[٦] .

وتزداد الياء في نحو ﴿ **نبإى المرسلين** ﴾ وغيرها .

وتزداد الواو في نحو « أولوا » وغيرها[٧] .

٣ - قاعدة الهمز :

فالهمزة الساكنة فالأصل فيها أن تكتب بحرف حركة ما قبلها أولا ، أو وسطا ، أو آخرا نحو : ﴿ **ائذن لي** ﴾ .

---

(١) سورة البقرة : ٢١ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٣ .

(٣) سورة التوبة : ١٩ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤١ - ٣٤٢ ، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني صـ ٢٠ وما بعدها .

(٥) سورة الزخرف : ٨٣ .

(٦) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٢ ، والمقنع صـ ٥٩ وما بعدها .

أما الهمزة المتحركة فإن كانت من أول الكلمة أو اتصل بها حرف زائد كتبت بالألف مطلقا أي سواء كان فتحا أو ضما ، أو كسرا ، نحو : ﴿ **أيوب** ﴾ و ﴿ **إذا** ﴾ .

وإن كانت الهمزة وسطا فإنها تكتب بحرف من جنس حركتها نحو : ﴿ **سأل** ﴾ سورة المعارج آية (١) .

﴿ **سئل** ﴾ سورة البقرة آية (١١٨) ﴿ **نقرؤه** ﴾ سورة الإسراء آية (٩٣) ، وغير ذلك من الأمثلة[١] .

٤ - قاعدة البدل :

كتبت في الرسم الألف واوا للتفخيم أو التهويل أو التقطيع في مثل : ﴿ **الصلوٰة** ﴾ سورة البقرة آية ٣ .

وكتبت ياء في كل ألف منقلبة عنها نحو ﴿ **يتوفيٰكم** ﴾ سورة الأنعام آية (٦٠) في اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا ، بقي ساكنا ، أم تحرك . إلخ[٢] .

٥ - قاعدة الفصل والوصل :

وردت بعض الألفاظ في رسم المصحف تارة موصولة وتارة مفصولة ، وورد بعضها في الرسم على حالة واحدة وذلك مثل : « أن » بفتح الهمزة حيث توصل بكلمة « لا » إذا وقعت بعدها ويستثنى من ذلك عشرة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ **أن لا تعبدوا إلا الله** ﴾ سورة هود آية (٢٦) وكلمة (من) توصل بكلمة (من) مطلقا[٣] .. إلخ .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٣ ، والمقنع صـ ٦٥ وما بعدها .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٣ - ٣٤٤ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٤ .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٥ والمقنع صـ ٧٣ وما بعدها .

٦ - قاعدة ما فيه قراءتان :

خلاصتها أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما ، غير القراءات الشاذة ومثال ذلك : ﴿ **فلك** ﴾ سورة البقرة (١٦٤) و ﴿ **يخدعون** ﴾ سورة البقرة[١] .

وهذه القواعد لم تكن بشكل عشوائيٍّ بل كانت لحكم وأسرار خفيت على « نولديكة » وغيره من المستشرقين حتى أن جمهور العلماء اعتبروا التقيد بهذا الرسم أمرا واجبا وقد ألف في هذه المسألة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي كتابا سماه (إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان - رضي الله عنه -) .

قال في حكم هذه المسألة : « اعلم أن رسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة . بل بإجماع سائر المجتهدين .. فهو أمر إجماعي كما طفحت به الدفاتر حتى صار من المتواتر وإن خفي ذلك على بعض أبناء الزمان في البلاد المشرقية .. »[٢] .

وسأذكر بعض الفوائد لهذا الرسم العثماني .

١ - الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الإمكان ، بحيث تكتب الكلمة بصورة تحتمل هذه القراءات ، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به[٣] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٤٥ ، ومناهل العرفان ١ / ٣٦٥ .

(٢) إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان طبعة مكتبة المعرفة سورية ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م صـ ١٢ .

(٣) مناهل العرفان ١ / ٣٦٦ .

٢ – إثبات اتصال السند للقرآن الكريم برسول الله – ﷺ – وحمل الناس على تلقيه من صدور الثقات ، ولا يتكلوا على الرسم العثماني وحده فلا يقرؤه أحد إلا بروايته بسند متصل .. ففواتح السور هيئة النطق بها يختلف عما رسمت به[١] .

٣ – الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياءاً ، والضمة واواً نحو : ﴿ وإيتاي ذي القربى ﴾[٢] .

أو الدلالة على أصل الحرف ككتابة الصلاة بالواو بدلا من الألف[٣] .

٤ – الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في قوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأييد ﴾[٤] للإيماء إلى قدرة الله سبحانه[٥] .

٥ – إفادة بعض المعاني المختلفة لطريقة الإخفاء فيها وذلك نحو قطع كلمة « أم » في قوله تعالى : ﴿ أم من يكون عليهم وكيلا ﴾[٦] ووصلها في قوله تعالى : ﴿ أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾[٧] فقطع الأولى للدلالة على أن « أم » المنقطعة بمعنى : (بل) أما وصل الثانية للدلالة على أنها المتصلة[٨] .

وهكذا نجد أن هذه القواعد كانت لأسرار وفوائد جهلها « نولديكة » وأمثاله من المستشرقين واعتبروا أن هذا من باب الاختلاف بين النسخ القرآنية وأن الرسم كان السبب في اختلاف كثير من القراءات .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن صـ ٣٥٢ . ومناهل العرفان ١ / ٣٦٦ .
(٢) سورة النحل ٩٠ .
(٣) مناهل العرفان ١ / ٣٦٨ .
(٤) سورة الذاريات : ٤٧ .
(٥) مناهل العرفان ١ / ٣٦٧ .
(٦) سورة النساء : ١٠٩ .
(٧) سورة الملك : ٢٢ .
(٨) مناهل العرفان ١ / ٣٦٧ .

ب - الأخطاء الناتجة عن خطأ النساخ في رسم المصحف - في زعم نولديكة - :

الشبهة الأولى :

زعم « نولديكة » أن بعض القراءات كان سبب الاختلاف فيها يعود لخطأ النساخ أثناء نسخهم للمصحف العثماني ، أو لأنه لحن وترك في القرآن لأن العرب ستقيمه بألسنتها ، وأكد هذا بذكر بعض الروايات المنسوبة لبعض الصحابة - كعثمان وابن عباس وعائشة - رضوان الله عليهم -[1] .

والآن سأعرض للأدلة التي اعتمد عليها لشبهته للرد عليها :

١ - زعم أن المسلمين الأوائل وجدوا في المصحف العثماني أخطاء بدليل أن عثمان - رضي الله عنه - لما وجد بعض هذه الأخطاء قال للجنة : (لا تغيروها لأن العرب ستصححها بألسنتها . ولو كان الكاتب من ثقيف والمستكتب من هذيل لما وجدت فيه هذه الأشكال) (التعابير)[2] .

الجواب :

هذا الحديث جاء بروايتين ضعيفتي الإسناد مضطربتي المتن تذهب الثقة بهما وتردهما .

أما الرواية الأولى فهي من طريق عكرمة عن عثمان - رضي الله عنه - والرواية الثانية من طريق يحيى بن يعمر عن عثمان - رضي الله عنه - وكلاهما لم يسمعا من عثمان - رضي الله عنه - شيئا ولم يرياه .

وهذا الحديث قد رده أكثر من عالم منهم أبو القاسم الشاطبي ، والجعبري ، وأبو عمرو الداني الذي قال في المقنع معلقا عليه : « هذا الخبر عندنا لا تقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل من جهتين :

---

(١) تاريخ القرآن - نولديكة ٣ / ٢ وما بعدها .

(٢) تاريخ القرآن - نولديكة ٣ / ٢ وما بعدها .

إحداهما :

أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئا ولا رأياه .

وأيضا :

فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان - رضي الله عنه - لما فيه من الطعن عليه مع محله في الدين ومكانه في الإسلام ، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة ، واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظرا لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأً يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لاشك أنه لايدرك مداه ، ولا يبلغ غايته كمن شاهده . هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحل لأحد أن يعتقده »[١] .

وعلق على هذا الخبر الباقلاني قائلا : « الحديث عن عثمان إنما رواه قتادة مرسلا ، ولعل من أرسله ممن لا يقبل خبره ولا يلتفت إليه ، ولو كان الخبر صحيحا وسلم من الاضطراب الذي هو ثابت فيه لم يجب القطع به والعمل عليه .

والرواية المسندة من قتادة في هذا عن نصر بن عاصم عن عبد الله بن فطيمة عن يحيى بن يعمر قال : قال عثمان : في القرآن لحن تقيمه العرب بألسنتها وهو غاية في الاضطراب والضعف .

وابن فطيمة هذا مجهول ، خامل الذكر ، لا يقبل خبره[٢] .

والمعروف أن عثمان - رضي الله عنه - كان يشرف بنفسه على جمع المصحف ، ويزيل أي خطأً حتى لو كان في الرسم فقد روى عبد الرحمن بن هاني مولى عثمان - رضي الله عنه - قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون

---

(١) المقنع للداني صـ ١١٥ - ١١٦ .

(٢) نكت الانتصار لنقل القرآن صـ ١٢٧ .

المصاحف فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها « لم يتسن »[1] وفيها « لا تبديل للخلق » وفيها « فأمهل الكافرين »[2] فدعا بدواة فمحا أحد اللامين وكتب « لخلق الله » ومحا « فأمهل » وكتب ﴿ **فمهل** ﴾[3] وكتب ﴿ **لم يتسنه** ﴾ فألحق فيها الهاء .

قال ابن الأنباري معلقا على هذا العمل من عثمان - رضي الله عنه - : فكيف يدعي عليه أنه رأى فسادا فأمضاه ؟ وهو يقف على ما يكتب ويرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه فيحكم بالحق ، ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده[4] .

أبعد كل هذا يبقى زعم « لنولديكة » وغيره ببقاء لحن وخطأ في القرآن وبمعرفة عثمان وأنه أبقاه لتقيمه العرب بألسنتها ! إن هذا لشيء عجاب .

أما وعلى فرض صحة الأثر فيمكن أن نؤوله بما يتفق مع حرص عثمان على سلامة المصاحف أن المقصود بلفظ « لحنا » على معناها في اللغة فيكون المعنى أن في رسم القرآن وكتابته في المصحف وجها في القراءة لا تلين به ألسنتهم جميعا إلا بالمرانة ، وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه[5] .

أما توجيه قوله : « لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » لو صح الأثر .

قال أبو عمرو الداني : [معناه : أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصورة المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك إذ كانت قريش ومن ولي نسخ المصاحف من غيرها قد استعملوا ذلك في كثير من الكتابة ، وسلكوا فيها تلك الطريقة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) سورة الروم : ٣٠ .

(٣) سورة الطارق : ١٧ .

(٤) مناهل العرفان ١ / ٣٨٠ .

(٥) المدخل في دراسة القرآن الكريم صـ ٣٦٩ .

ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتها يستعملان ذلك فلو أنهما وليتا أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه إذ ذلك المعهود عندهما والذي جرى عليه استعمالهما . هذا تأويل قول عثمان عندي لو ثبتت وجاء مجيء الحجة وبالله التوفيق][1] .

إذن فلا حجة « لنولديكة » لزعمه القرآن فيه أخطاء بحجة ما نسبه من أثر لعثمان بن عفان – رضي الله عنه – .

الشبهة الثانية :

زعم « نولديكة » أن عائشة – رضي الله عنها – في معرض تعليقها على كتابة بعض الآيات التي فيها أخطاء لغوية نسبت ذلك للكتاب بقولها : « هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتابة »[2] وضرب على ذلك أمثلة منها :

١ – الصابرون بدلا من الصابرين[3] .

٢ – والمقيمين بدلا من والمقيمون[4] .

٣ – والصابئون بدلا من والصابئين[5] .

٤ – إن هذان لساحران بدلا من إن هذين لساحران[6] .

هذه الشبهات مرجعها جهل هؤلاء المستشرقين بلغات العرب ومذاهبهم في الخطاب ، وأساليبهم في البيان .

---

(١) انظر المقنع – للداني صـ ١١٦ – ١١٧ .
(٢) تاريخ القرآن – نولديكة ٣ / ٢ .
(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٤) سورة النساء : ١٦٢ .
(٥) سورة المائدة : ٦٩ .
(٦) سورة طه : ٦٣ .

وقد جاء القرآن بلغات العرب وإن كانت اللغة القرشية هي السائدة فيه وسواء كانت من الفصيح أو الأفصح . والسر في ذلك أن الله سبحانه شاء أن يكون القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر وجامعة العرب الكبرى بكافة فئاتهم ، ومرجعهم الأوثق في معرفة أساليب العرب في البيان ، ومذاهبهم في التعبير فكان الأليق والأوفق أن يأتي مشتملا على المقبول السهل منها غير المستهجن والمستثقل ، ليجد العرب فيه ما يرضي أذواقهم وملكاتهم[1] ، والآن سأتناول الرد على ما نسب للسيدة عائشة - رضي الله عنها - .

١ - قوله : والصابرين بدلا من « والصابرون » وهي في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ..** ﴾[2] .

بالنسبة لقراءة النصب « والصابرين » هي المتواترة والثابتة عن رسول الله - ﷺ - أما قراءة الرفع « والصابرون » فهي قراءة الحسن والأعمش ويعقوب .

توجيه القراءتين :

فبالنسبة لقراءة الرفع غير السبعية فهي معطوفة على « الموفون » أما قراءة النصب فهي منصوبة على المدح والقطع إلى الرفع .

والنصب في صفات المدح والذم ، والترحم ، وعطف الصفات بعضها على بعض مذكورة في علم النحو[3] كقول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الأمور ... بذات الصليل وذات اللجم

فنصب « ليث الكتيبة » « وذا الرأي » على المدح . والاسم قبلهما مخفوض

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٨٣ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٣) تفسير البحر المحيط ٢ / ٧ .

لأنه من صفة واحدة[1] .

وكقول الخرنق بن قيس :

لا يبعدنّ قومي الذين هم سم العداوة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

ونصب « النازلين » على المدح بين مرفوعات .

وقد عقد لهذا النوع سيبويه في كتابه (كتاب سيبويه)[2] فصلا تحت عنوان « باب ما ينتصب على التعظيم والمدح » .

قال الفارسي : [إذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالحسن أن تخالف بإعرابها ، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف ، والإبلاغ في القول . فإذا خولف بإعرابه الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند الاختلاف يصير كأنه نوع من الكلام ، وضروب من البيان ، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجها واحدا ، أو جملة واحدة][3] .

كان لإظهار ميزة الصبر في الشدائد وفي مواطن القتال على سائر الأعمال ولبيان مكانة الصبر من البر وتغيير الأسلوب أفضل من الناحية النفسية ؛ لأنه يجذب الانتباه ويوقظ الشعور ، ويحمل العقول على التساؤل والبحث ، فتتمكن المعاني في النفس أفضل تمكن[4] .

أما الآية الثانية :

وهي قوله : ﴿ **والمقيمين** ﴾ بدلا من « والمقيمون » وهي قوله تعالى

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣ / ٣٥٣ .
(٢) انظر كتاب سيبويه ١ / ٢٠٢ طبعة عالم الكتب .
(٣) تفسير البحر المحيط ٢ / ٧ - ٨ .
(٤) الكشاف - الزمخشري ١ / ٣٣١ .

﴿ .. لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك . والمقيمين الصلاة ، والمؤتون الزكاة .. ﴾[1] .

وهذه الكلمة كذلك قرئت بالنصب « والمقيمين » وهي قراءة الجمهور . أما قراءة الرفع « والمقيمون » فهي قراءة ابن جبير ، وعمرو بن عبيد ، والجحدري وعيسى بن عمر ، ومالك بن دينار ، وعصمة عن الأعمش ، ويونس ، وهارون عن أبي عمرو[2] .

وهو كذلك في مصحف ابن مسعود وأبي في قول .

توجيه القراءتين :

قراءة الرفع « والمقيمون » نسقا على الأول .

أما قراءة النصب ﴿ **والمقيمين** ﴾ منصوبا على القطع المفيد للمدح والتعظيم وفي هذا بيان لفضل الصلاة ومنزلتها من شرائع الدين .

وقد سبق الإشارة في الرد السابق على هذا النوع من الأسلوب في العربية .

وقد علق الإمام أبو حيان على هذه الفرية المنسوبة للسيدة عائشة – رضي الله عنها – تحت هذه الآية فقال : [.. وذكر عن عائشة وأبان بن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ كاتب المصحف ولا يصح عنهما ، ذلك لأنهما عربيان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر في لسان العرب وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره وعلى القطع خرج سيبويه ذلك][3] .

وقال الزمخشري : [« والمقيمين » نصب على المدح لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع قد ذكر سيبويه عليه أمثلة وشواهد ولا يلتفت على ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف . وربما التفت إليه من ينظر في الكتاب ولم

---

(١) سورة النساء : ١٦٢ .

(٢) تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٩٥ ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر صـ ١٩٦ .

(٣) تفسير البحر المحيط ٣ / ٣٩٥ – ٣٩٦ .

يعرف مذاهب العرب وما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان ، وخفي على السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام ، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يوفوه من يلحق بهم][1] .

وفي هذا بلاغ لإبطال مزاعم « نولديكة » وبيانَ جهله بالأساليب العربية ، وفنون كلامهم .

الآية الثالثة :

قوله : « والصابئون » بدلا من « والصابئين » من قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر** .. ﴾[2] الآية .

الجواب :

ذكر في كلمة « الصابئون » قراءتان بالواو وبالياء . قرأ بالياء « والصابئين » عثمان وأبي وعائشة وابن جبير والجحدري ونسبها الزمخشري لابن كثير[3] ولم أجد أحداً سواه نسبها له وهي قراءة ابن محيصن[4] .

وقرأ بالرفع « والصابئون » الحسن والزهري ، وهي قراءة القراء السبعة وعليه مصاحف الأمصار والجمهور[5] .

وفي توجيه قراءة الرفع وجوه أقواها ما ذهب إليه سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء ، وهو منوي به التأخير ونظيره إن زيدا وعمرو قائم . والتقدير إن زيدا قائم وعمرو قائم فحذف خبر عمرو لدلالة خبر إن عليه والنية

---

(١) الكشاف ١ / ٥٨٢ .

(٢) سورة المائدة : ٦٩ .

(٣) الكشاف ١ / ٦٣٢ - ٦٣٣ .

(٤) إتحاف فضلاء البشر صـ ٢٠٢ .

(٥) تفسير البحر المحيط ٣ / ٥٣١ .

بقوله وعمرو التأخير ويكون عمرو قائم بخبره هذا المقدر معطوفا على الجملة من إن زيدا قائم وكلاهما لا موضع له من الإعراب .

وهناك وجوه أخرى ذكرها أبو حيان في تفسيره[1] ومن الشواهد على هذه القراءة قول الشاعر :

نحن بما عندنـــــا وأنت بما عنـدك راض والـرأي مختلـف[2]

فحذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه وتقديره نحن بما عندنا راضون أما قراءة الياء فهي عطفا على لفظ اسم إن قبل[3] .

فمن هنا يظهر صواب قراءة الرفع وأنها السبعية المتواترة التي صح نقلها عن رسول الله - ﷺ - .

أما قراءة النصب فهي قراءة آحاد لم تتوافر فيها شروط القراءة المتواترة فلا تعد قرآنا . ورسمها بالياء في المصاحف التي لا يجوز الرجوع إليها ولا الاعتماد عليها لمخالفتها للمصحف الإمام . ولم يثبت ما زعمه « نولديكة » أن عائشة - رضي الله عنها - اعتبرت الرسم بالواو من خطأ الكتاب . فهي من جملة افتراءات هؤلاء المستشرقين .

الآية الرابعة :

قوله : « إن هذان لساحران » بدلا من « إن هذين لساحران » وهي من قوله تعالى : ﴿ **قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى** ﴾[4] .

هذه الآية جاء فيها قراءات متعددة :

---

(١) تفسير البحر المحيط ١ / ٥٣١ .

(٢) تفسير أبي السعود ٣ / ٦٢ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر صـ ٢٠٢ .

(٤) سورة طه : ٦٣ .

قرأ ابن كثير وحفص « قالوا إنْ » بتخفيف إن .

وشددها الباقون . « إنَّ » .

وقرأ أبو عمرو « هذين » بالياء . وقرأ الباقون بالألف (هٰذان)[1] وشدد ابن كثير النون فيها « هذانّ » .

فمن قرأ بالياء حجته أن تثنية المنصوب والمجرور بالياء من لغة فصحاء العرب ، وهي اللغة المستعملة ، لكنه خالف الخط فضعف لذلك .

ومن قرأ بالألف حجتهم أنها مكتوبة كذلك في المصحف الإمام ، وأجرى « هذان » في النصب بألف على لغة لبني الحارث بن كعب يلفظون بالمثنى بألف على كل حال ، وأنشد النحويون في ذلك قول الشاعر « هوير الحارثي » :

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

فأتى بالألف في موضع الخفض .

وقد قيل : إن « هذا » لما لم يظهر فيه الإعراب في الواحد والجمع أجريت التثنية على ذلك ، فأتى بالألف على كل وجه من الإعراب كما كان في الواحد والجمع . وقيل غير ذلك[2] .

كما أن رسم الآية « إن هذين لسحران » يحتمل هذه القراءات كلها و لم يثبت دعواه من نسبة عائشة - رضي الله عنها - الخطأ لرسم المصحف من الكتبة . وإذا رجحت عائشة - رضي الله عنها - قراءة من هذه القراءات فتكون قد تبنت إحدى القراءات المتواترة . وهذا لا يقدح في القراءات المتواترة الأخرى .

فبهذا يظهر زيف دعوى « نولديكة » وأن لا دليل عليها .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ / ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٩٩ - ١٠٠ .

الشبهة الثالثة :

حاول « نولديكة » أن يثبت دعواه أن هناك أخطاء من كتاب المصاحف في المصحف ببعض الأدلة . زاعما أن سبب قبولها لدى المسلمين يعود لسذاجتهم في تقديس هذا القرآن الكريم . زاعما أن النبي – ﷺ – نسب بعض الأخطاء في القرآن الكريم للكتاب وأن هذا بدوره أدى لوجود القراءات القرآنية ودخول التحريف للقرآن الكريم .

والأمثلة التي ذكرها « نولديكة » ونسبها لابن عباس – رضي الله عنه – وهي :

١ – « تستأنسوا » بدلا من « تستأذنوا » .

٢ – « ييئس » بدلا من « يتبين » .

٣ – « وقضى » بدلا من « ووصى » .

٤ – « مثل نوره كمشكاة » بدلا من « مثل نور المؤمن كمشكاة »[1] .

الجواب:

المعروف أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كان اهتمامهم بالقرآن عظيما حتى أثنى عليهم الله – عز وجل لمعرفتهم به نتيجة هذا الاهتمام وكانوا يحرصون أن يتلقوه من رسول الله – ﷺ – مباشرة ، أو ممن تلقاه منه إن تعذر لهم الأول . ولم يسمحوا لأنفسهم أن يلحنوا بشيء منه ، وقصة خلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم – رضي الله عنهما – مشهورة لمّا ظن عمر – رضي الله عنه – أن هشاما أخطأ في تلاوته لسورة الفرقان لقراءته بحرف غير حرفه . وعثمان – رضي الله عنه – لم يترك في المصحف حروفا رسمت فيها خطأ حتى إنه أمسك الدواة وأصلحها ، والشواهد على هذا كثيرة وسبق الإشارة لها[2] وقبل كل هذا

---

(١) تاريخ القرآن – نولديكة ٣ / ٢ – ٤ .

(٢) انظر صـ ٣٩٩ من الرسالة .

حفظ الله – سبحانه وتعالى – هذا الكتاب حتى إنه جعل جبريل – عليه السلام – يدارسه للرسول – ﷺ – مرة في كل عام . وقد ثبت مدارسته له في آخر سنة من حياته مرتين . كل هذا ليبقى هذا القرآن خاليا من الزلل والخطأ ، ويقرأ غضا طريا كيوم نزوله أول مرة فأين دعوى السذاجة المزعومة عند الصحابة ؟ وأين ما نسبه « نولديكة » لرسول الله – ﷺ – من ادعاء أنه نسب بعض الأخطاء للكتبة ، أو ما نسبه لبعض الصحابة – رضوان الله عليهم – .

والآن سأناقش الأمثلة التي استدل بها « نولديكة » لإظهار عوارها .

المثال الأول :

« تستأنسوا » والصواب « تستأذنوا » من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون** ﴾[1] .

نسب « نولديكة » هذا المثال لابن عباس – رضي الله عنه – وأنه أخطأ قراءة « تستأنسوا » وصوّب « تستأذنوا » وهذه الدعوى بحد ذاتها افتراء على ابن عباس – رضي الله عنه – قال أبو حيان : [ومن روى عن ابن عباس أن قولة « تستأنسوا » خطأ من الكاتب أو وهم من الكاتب وأنه قرأ « تستأذنوا » فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين وابن عباس بريء من هذا القول][2] .

وقال الخازن – رحمه الله – : [وفي هذه الرواية نظر ، لأن القرآن ثبت بالتواتر][3] .

وقد صح الإجماع والقراءة المتواترة الصحيحة بـ« حتى تستأنسوا » لذا لا يجوز خلافها ، وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه وأخذوه بالتلقي قول لا يصح .

---

(١) سورة النور : ٢٧ .

(٢) تفسير البحر المحيط ٦ / ٤٤٥ .

(٣) تفسير الخازن ٥ / ٦٦ .

قال الأستاذ أبو شهبة : وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ابن جرير في تفسيره ، ولا يخلو إسناده من مدلس أو مضعف .

ورواه الحاكم وصححه وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وتصحيح الحاكم غير معتبر عند أئمة الحديث إذا انفرد ؛ لأنه متساهل في الحديث .

وحتى لو سلمنا للحاكم فإن مخالفة الرواية للمقطوع الثابت من رواية المصحف يردها وتعتبر شاذة . ووجودها في مصحف أبي وابن مسعود لا يشفع بقرآنيتها ، لأنها مصاحف خاصة .

ويؤيد عدم صحة الرواية عن ابن عباس ما رواه ابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه وغيرهم عن ابن عباس أنه فسر « تستأنسوا » بتستأذنوا وقوله : ومن يملك الإذن من أصحابها[1] .

ويرد ما نسب لابن عباس - رضي الله عنهما - أن ابن عباس كان قد تلقى القراءة عن زيد بن ثابت وهو عمدة الذين جمعوا القرآن في المصاحف بأمر عثمان - رضي الله عنه - والقراءة المتواترة على قراءته وما نسب لابن عباس وأبي ابن كعب بقراءة « حتى تستأذنوا » فمحمول على أنها قراءة تفسير وتوضيح . كما أن قراءة « تستأنسوا » متمكنة في باب الإعجاز من القراءة المزعومة « تستأذنوا » . فالاستئذان ينصرف إلى الاستئذان بالقول أما الاستئناس فيشمل القول وغيره من الأفعال التي تؤذن بالقدوم كالتسبيح والتحميد والتنحنح وما شابه ذلك . كما أن الاستئناس يقصد به الأنس وإزالة الوحشة وعدم إيلام المستأذن عليه . بعكس لفظ الاستئذان فقد يكون مصحوبا بالخشونة والإيحاش والإيلام[2] .

---

(١) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧١ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧٢ .

بهذا يظهر لنا بطلان ما نسب لابن عباس - رضي الله عنهما - وثبوت قراءة « حتى تستأنسوا » والله تعالى أعلم .

٢ - ييئس بدلاً من يتبين :

قال « نولديكة » روي عن ابن عباس أنه قرأ « أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » فقيل له : إنها في المصحف ﴿ **أفلم ييئس الذين آمنوا** .. ﴾[1] الآية فقال : أظن الكاتب كتبها وهو ناعس[2] .

الجواب :

هذا القول لا يصح نسبته لابن عباس - رضي الله عنه - وإنما الذي هو ثابت في حقه تفسيره لها بـ« أفلم يتبين » .

ويؤكد هذا ما علق عليه الإمام أبو حيان على هذه الرواية قائلا : [وأما قول من قال : إنما كتبه الكاتب وهو ناعس فسوى أسنان السين فقول زنديق ملحد][3] .

وابن عباس وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يفسرون كلمة « أفلم ييئس » أفلم يتبين . لذا فهي قراءة تفسيرية .

قال الزمخشري : [إن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا أفلم يتبين وهو تفسير « أفلم ييئس » .

أما زعمه أن الكاتب كتبها وهو ناعس فهو مما لا يعقل ولا يصدق على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكيف يخفى مثل هذا . حتى يبقى ثابتا بين دفتي المصحف الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمن عليهم لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ،

---

(١) سورة الرعد الآية ٣١ .

(٢) تاريخ القرآن لنولديكة ٣ / ٢ - ٤ .

(٣) تفسير أبي حيان ٥ / ٣٩٣ .

خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء ، هذه والله فرية ما فيها مرية][1] .

ويؤكد بطلان هذه الفرية أن نافع بن الأزرق في مسائله لابن عباس سأله عن هذه الآية حيث قال له : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ **أفلم ييئس الذين آمنوا** ﴾ قال ابن عباس معناه : أفلم يعلم بلغة بني مالك . قال نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال ابن عباس : نعم . أما سمعت مالك بن عوف يقول :

لقد يئس الأقوام أني أنا ابنه   وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا[2]

كما أن أبا عمرو البصري كان يقرأ بقراءة زيد بن ثابت من طريق سعيد ابن جبير ومجاهد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس . والمعروف أن ابن عباس تلقى القراءة عن زيد بن ثابت - رضي الله عنهما-[3] .

فلا يعقل أن يقرأ ابن عباس بخلاف قراءة زيد . لذا فلا تحمل قراءته إلا أن تكون تفسيرية . ولو صحت لكانت قراءة آحاد لا يحكم بقرآنيتها ولا تقف أمام القراءة المتواترة السبعية الصحيحة .

ففي هذا رد كاف على « نولديكة » في بطلان ما نسبه للصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - .

٣ - « وقضى » بدلا من « ووصى » :

من قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ..** ﴾[4] الآية .

حيث زعم « نولديكة » أن هذا الخطأ ناتج عن سيلان الحبر الزائد من

---

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١ (بتصرف) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٢١ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٨٩ ، ٣٠٥ ، ٥١٥ ، ٢ / ٤١ .

(٤) سورة الإسراء : ٢٣ .

الكاتب على الورقة .

الجواب :

هذا القول من أغرب الأقوال التي أتى بها « نولديكة » لإثبات التحريف في كتاب الله سبحانه بسبب خطأ الكتّاب . وهذا القول يناقضه الواقع والروايات التاريخية التي حفظ بها هذا القرآن العظيم ، وما بذل منَ أجله من جهد وتدقيق وتحقيق مما فاق أي كتاب آخر .

كيف لا وهو كتاب رب العالمين - سبحانه - .

لاشك أن هذه الآية جاء فيها عدة قراءات بين قراءات متواترة وقراءات آحاد .

فقد قرأ الجمهور : « وقضى » فعلا ماضيا من القضاء وهو ما رسم به المصحف العثماني ، وعليه بقية مصاحف الأمصار ليومنا هذا .

وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل « وقضاء ربك » مصدر قضى . وهذا مرفوع على الابتداء وخبره « أن لا تعبدوا » ، وذكر أنه كان مرسوما « ووصى » من التوصية في مصاحف بعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس - رضي الله عنهما - وبعض التابعين كسعيد بن جبير والنخعي ، وميمون بن مهران[1] رحمهم الله .

وهذه القراءات سوى قراءة الجمهور قراءات آحاد لمخالفتها للقراءة المتواترة ، وسواد المصحف الإمام .

كما أن بعض العلماء قد ضعفها كالإمام ابن الأنباري - رحمه الله - حيث قال : [إن هذه الروايات ضعيفة ، والضعيف لا يحتج به ، ولا يؤخذ به في دون هذا فما بالك في شيء يتعلق بالقرآن الكريم][2] .

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط ٦ / ٢٥ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٣٧٥ .

والجدير بالذكر أن المستفيض من القراءة عن عبد الله بن عباس وعبد الله ابن مسعود - رضي الله عنهما - القراءة بـ « وقضى » وهذا ما ثبت من سند بعض القراء السبعة لهما كأبي عمرو البصري - رحمه الله تعالى - .

كما أن ابن عباس كان يفسر « وقضى » بـ « أمر » وهذا التفسير كذلك منسوب للحسن البصري وقتادة .

مما يؤكد ثبوت قراءته بـ « وقضى » وضعف ما نسب له بقراءته « ووصى » وافتراء ما زعم أنه زيادة في سيلان الحبر على ورقة الكاتب .

إن هذا إلا اختلاق . لأن المعروف أن الأصل في حفظ هذا القرآن في الصدور قبل تفريغه في السطور .

٤ - « مثل نوره كمشكاة » بدلا من « مثل نور المؤمن كمشكاة » :

وهي في قوله تعالى : **﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح .. ﴾**[١] الآية .

وقد زعم « نولديكة » أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قد اعتبر هذا خطأ عهدته على الكاتب . لأن الله أكبر من أن يقارن بنور المصباح .

الجواب :

قراءة الجمهور **﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة .. ﴾** وقرأ أبي بن كعب « مثل نور المؤمن » قراءة تفسيرية وهو قول سعيد بن جبير والضحاك كذلك[٢] .

ولم يثبت ولا من طريق واحد نسبة هذه القراءة لابن عباس - رضي الله عنهما -..

---

(١) سورة النور : ٣٥ .

(٢) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٣٦ .

أما الشبهة التي انقدحت في ذهن « نولديكة » ظنه أن الله ذاته – سبحانه – هو النور كما في ظاهر الآية « الله نور » والآية لا تدل على هذا وفهمه لها كان على غير الوجه الصحيح . لأن هذه الآية مثل قولك : زيد كرم وجود . ثم تقول كقولك ينعش الناس بكرمه وجوده . فعلى هذا فمعنى الآية أن الله ذو نور السموات والأرض . ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **وجعل الظلمات والنور** ﴾[1] حيث صرحت الآية بأن ماهية النور مجعولة لله تعالى ؛ لذا يستحيل أن يكون الإله بذاته نورا فيكون توجيه الآية على أمور :

١ – أن النور هنا الهداية . فقوله : « الله نور السموات والأرض » أي هادي أهل السموات والأرض وجاعل لهم ما به يهتدون لطريقه سبحانه قال تعالى : ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا** ﴾[2] وهذا القول هو قول ابن عباس والأكثرين – رضي الله عنهم – .

٢ – مدبر السموات والأرض .

أي بحكمته البالغة ، وبحجة نيرة . وهو اختيار الأصم والزجاج .

٣ – ناظم السموات والأرض على الترتيب الأحسن فإنه قد يعبر بالنور على النظام .

٤ – منور السموات والأرض وهو مروي عن أبي بن كعب والحسن وأبي العالية .

والأقرب والأرجح هو الأول لأن قوله في آخر الآية « يهدي الله لنوره من يشاء » يدل على أن المراد بالنور الهداية إلى العلم والعمل[3] .

ولأنه سبحانه ذكر قبل هذه الآية ﴿ **ولقد أنزلنا إليكم آيات**

---

(١) سورة الأنعام : ١ .

(٢) سورة الأنعام : ١٢٢ .

(٣) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٢٤ – ٢٢٥ .

مبينات ﴾[1] فإذا كان المراد بقوله « مثل نوره » أي مثل هداه وبيانه كان ذلك مطابقا لما قبله ، كما أن تفسيرنا لقوله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ بأنه هادي أهل السموات والأرض ، فإذا فسرنا قوله : « مثل نوره » بأن المراد مثل هداه كان مطابقا لما قبله كذلك[2] .

هذا يرجح أن ما نسب لابن عباس - رضي الله عنهما - محض افتراء والشبهة التي ذكرها « نولديكة » غير واردة وثبت أن القراءة المتواترة صحيحة ، معناها واضح لا لبس فيه .

أما قراءة أبي فهي قراءة آحاد لا تثبت قرآنا لمخالفتها الصحيح المتواتر .

الخلاصة :

بعد هذا التوضيح والبيان لما ذكره « نولديكة » من أدلة مفتراة منسوبة لبعض الصحابة ليثبت أن الرسم كان سببا من أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية وأن القرآن دخله التحريف لأخطاء الكتّاب فيه ، مما يرفع عنه الحصانة الإلهية ، والتقديس الموجود له في قلوب المسلمين فظهر لنا أن كل ما ذكر محض افتراء ، ليس له أدنى درجات الصحة وينقصه الدقة في النقل ، والأمانة في التوجيه ، كما أنه ظهر منه نوايا هذا المستشرق الذي ما أراد من أقواله إلا الطعن في القرآن الكريم ركيزة الإسلام الأولى والأخيرة والذي يؤسف له أن هذه الأقوال كانت من أستاذ كبير يعتبر من أساطين الغرب وعمدتهم في الدراسات الإسلامية وخاصة كتابه (تاريخ القرآن) الذي وضع أصوله في رسالة علمية في باريس . ولنا مع كتابه وقفات في غير هذا الموضع من الرسالة إن شاء الله تعالى .

جعلنا الله من الذابين عن كتابه ، والمبطلين لمزاعم أعدائه ، والكاشفين القناع عن وجوه أمثال هذا المستشرق ومن يتسترون تحت راية العلم ورسالته . ويتمسحون به .

---

(١) سورة النور : ٣٤ .

(٢) انظر التفسير الكبير ٢٣ / ٢٣٦ .

فبهذا الفصل نكون قد رددنا على أغلب شبهات المستشرقين في موضوع القراءات القرآنية ورسم المصحف العثماني .

ولله الحمد والمنة ..

الفصل السادس

الأسلوب القرآني وشبه المستشرقين حوله

المبحث الأول

أسلوب القرآن المكي والمدني

المبحث الثاني

طول الآيات وقصرها وعددها وشبههم حول هذا المبحث

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية

المبحث الرابع

أسلوب القصة في القرآن الكريم

المبحث الخامس

التعريب

الفصل السادس

الأسلوب القرآني وشبه المستشرقين حوله

المبحث الأول :

أسلوب المكي والمدني :

الشبهة الأولى :

قالت الموسوعة البريطانية : [.. إن أسلوب الوحي المحمدي جاء نثرا مقفى ، أو ما يسميه العرب بالسجع ، وقد استعمل هذا الأسلوب سابقا من قبل الكهنة ، ومن قبل المنجمين .

فالسور الأولى تتصف آياتها بالقصر وبقوتها الشعرية وبتعبيرها الحيوي . أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة ، مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولغتها ، ومما تسبب عنها اختلاف في ترقيم الآيات][١] .

الجواب :

هذه العبارات تناولت عدة قضايا :

١ - الأسلوب المكي والمدني .

٢ - صلة هذا الأسلوب بأسلوب الكهان والمنجمين .

٣ - الآيات طولا وقصرا .

أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد تكلمت عنها بتوسع[٢] خلال ردي على

---

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٤٢ .

(٢) انظر صـ ٢٨٢ من الرسالة .

شبهات ظاهرة الوحي (الشبهة السادسة) تنظر هناك .

وسأقصر ردي هنا على النقطتين الأولى والثالثة .

أقول وبالله التوفيق ..

أولا : الأسلوب المكي والمدني :

التفرقة بين الأسلوب المكي والمدني أمر كانت له أبعاده ومقدماته ونتائجه ، وهي قضية طالما تعرض لها رجال التبشير والاستشراق على السواء ورددها تلامذتهم كثيرا .

إن الغاية من تقسيم القرآن إلى أسلوبين – عند المستشرقين والمبشرين – إثبات أن هذا القرآن كان خاضعا للبيئات المختلفة فهو في مكة كان ذا أسلوب شعري يتفق مع لغة القوم وثقافتهم العربية المحدودة ، ولكنه في البيئة المدنية كان متأثرا بأهل الكتاب الذين كانوا هناك من اليهود والذين كان لهم من الثقافة ما لم يكن لهؤلاء ، وعلى هذا فالقرآن كان يخضع لأمزجة مختلفة ، وثقافات متغايرة ، فليس نسقا واحدا ، فآياته في مكة قصيرة ذات أسلوب وإيحاء قوي ، ولكنها في المدينة كانت طويلة ذات أسلوب معقد . وهذه فرية من جملة أكاذيبهم التي لا تقوم على دليل[1] .

إن القرآن المكي جاء ليعالج موضوع العقيدة بشكل رئيسي ، وما يتصل بها من أخلاق فاضلة لذا سخر لذلك كل شيء حتى القصص القرآني . أما القرآن المدني فكان تركيزه على إيجاد نظام شامل لكل متطلبات الحياة . واختلاف الموضوع قد ينتج عنه تنوع في الأسلوب من حيثية معينة ولكنه يحافظ على الجودة وحسن الصياغة .

فطبيعة الموضوع نفسه تقتضي شيئا من التغير في العرض فالأسلوب فيهما إذاً يمتاز بجودة النظم ، وروعة الأسلوب ، وعلو الشأن وبديع الصنع ، والتناهي

---

(١) انظر قضايا قرآنية صـ ٤٣ (بتصرف) .

في البلاغة .. إلخ[1] .

الشبهة الثانية :

زعم بعض المستشرقين [أن أسلوب السور المكية يؤدي إلى تقطيع الفكرة ، واقتضاب المعاني[2] . ووصف أصحاب الموسوعة البريطانية السور المدنية بأنها تتناول مواضيع مختلفة تتحدث عنها مواضع مختلفة من السورة، وكان القرآن يعطي للقارىء انطباعا بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية ، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات بآيات مثل ﴿ **إن الله عليم** ﴾ ﴿ **إن الله خبير** ﴾ ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وإن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها وإنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية][3] .

الجواب :

هذه الفقرات تحتاج مني لوقفتين رئيسيتين مع الأسلوب القرآني .

١ – أسلوب القرآن وخصائصه الأدبية .

٢ – الفاصلة القرآنية .

القضية الأولى :

أسلوب القرآن وخصائصه الأدبية :

القرآن الكريم نزل في أمة كانت بضاعتها المفضلة الكلام حتى أقامت له أسواقا أدبية يتبارى فيها الأدباء والخطباء والشعراء ويدركون كل هذا بفطرتهم السليمة ، وعقولهم الألمعية الذكية ، وبأذواقهم الرفيعة . ومع كفرهم بالقرآن العظيم إلا أنه كان له على نفوسهم تأثير وهيمنة وسلطان . ولما خشوا من تأثيره عليهم وهم يرونه يسلب اللبيب قلبه ، ويأخذ عليه مجامع نفسه وعقله قال بعضهم

---

(١) انظر قضايا قرآنية صـ ٤٤ (بتصرف) .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٤ .

(٣) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٧٤ .

لبعض ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾[1] .

ولله در الأستاذ محمد دراز إذ يقول واصفا هذا الأمر [أما ما يبدو أنه فوق طاقة البشر حقا في الأسلوب القرآني ، فهو أنه لا يخضع للقوانين النفسية التي بمقتضاها نرى العقل والعاطفة لا يعملان إلا بالتبادل وبنسب عكسية . بحيث يؤدي ظهور إحدى القوتين إلى اختفاء الأخرى ففي القرآن لا نرى إلا تعاونا دائما في جميع الموضوعات التي يتناولها بين هاتين النزعتين المتنافرتين .

وبالإضافة إلى الموسيقى الخالدة التي تعلو الأسلوب المتنوع نرى أن الكلمات ذاتها بمعناها المجازي سواء أكانت وصفا أو استدلالا أو عن قاعدة في القانون أو في الأخلاق – تسعى بقوة وتجمع في نفس الوقت بين التعليم والإقناع والتأثير ، وتمنح القلب والعقل نصيبه المنشود ، وعلاوة على ذلك فإن هذا الكلام الرباني وهو يؤثر على هذا النحو ، في قوانا المختلفة ، يحتفظ دائما وفي أي موضع بهيبة مدهشة وبجلالة قوية لا تتأرجح ولا تضطرب ...

فالعربي الأصيل الذي تسري في دمه غريزة اللغة ، ليس في حاجة إلى هذا التحليل لكي يقدر بنفسه طابع النص القرآني الفريد . وما يستفاد من هذه الدراسة البطيئة المنطقية ، يدركه هو بفطنته وفطرته فهو يشعر بالقرآن وكأنه آتٍ من السماء ينفذ إلى القلوب ، ويبهر الأبصار . ولقد أدرك الكفار هذا التأثير في عهد الرسول – ﷺ – واختلفوا في التماس التفسير والتعليل له ، إذ وجدوه ظاهرة غريبة إلى درجة أن أطلقوا عليه « سحرا » وحتى في عصرنا الحاضر ورغم بعد الزمن واختلاط الأجناس ، وانحراف فطرة اللغة نجد العرب على اختلاف دياناتهم يعترفون بالسمو والجلال والهيبة التي ينفرد بها النص القرآني بالنسبة للأدب العربي بوجه عام ، وبالنسبة لأحاديث الرسول – ﷺ – المعروفة ببلاغتها الرفيعة[2] .

والقرآن المكي والمدني على حد سواء في متانة الأسلوب ، وترابط المعاني

---

(١) سورة فصلت آية : ٢٦ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١١٧ .

وأداء المعنى الكثير في اللفظ القليل دون تقليل يخل أو تطويل يمل .

والقرآن الكريم كما هو معجز في حقائقه العلمية والتاريخية هو معجز في أسلوبه وبيانه الذي يظهر في حسن ترتيب السورة وإحكام نسقها .

وهذا أمر فطن له علماء أفذاذ منذ القدم ، لذلك كانت لهم عناية في كشف اللثام عن متانة الترابط ، وإحكام الصلة بين أجزاء كل سورة من سور القرآن العظيم . من هؤلاء : العالم الجليل « البقاعي » في كتابه النفيس (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) والأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) الذي حلل فيه سورة البقرة مع طولها وأظهر الاتساق بين أجزائها ، وما فيها من وحدة موضوعية .

وشيخي الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إعجاز القرآن) حيث درس فيه عدة سور من القرآن الكريم منها المدني ومنها المكي بنفس الطريقة[1] حيث أظهر ما يربط السور القرآنية من نظام بديع ومعان مترابطة وافية ، ووحدة تامة بين أجزاء السورة الواحدة مع تعدد موضوعاتها كما أن كثيرا من كتب البلاغة والتفسير قد اهتمت بهذا الجانب .

أما المستشرقون فإن فاتهم هذا الإدراك ، وهذا الحس فلبعدهم عن العربية ، ولجهلهم بها وبأساليبها ، وحكمهم عليها كان حكما فطيرا خاليا من التأمل والتروي وقد حاولوا تعليل هذه القضية بعلل غير مقبولة منها : أنه يعود لسذاجة الأسلوب وركاكته ، أو لركاكة المعنى ، أو لخطأ من الصحابة – رضوان الله عليهم – بأنهم لم يحسنوا ترتيب الموضوعات في السورة الواحدة بل جمعوها بطريقة عشوائية . كل هذه الأقوال تتبدد عندما يعلم هؤلاء أن سورة كالبقرة نزلت نجوما في عشر سنين ، ومع هذا فهي لوحة فنية تأخذ بالألباب بجمالها ، وروعة أسلوبها ، وترابط أفكارها ، وتمام معانيها ، ووحدة موضوعاتها مع تعدادها وكان الأولى أن يظهر الضعف والإطناب الممل ورداءة الذوق على حد تعبير « دوزي »

---

(١) ذكر ذلك في كتاب قضايا قرآنية صـ ٨٠ .

(أن القرآن كتاب ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل ، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد)[1] .

هذا الكلام الملقى جزافا يرفضه عقل الطفل قبل الرجل السوي لأنه الكتاب الذي لا تمله الأسماع ، ولا تعافه النفوس ولا يخلق عن كثرة الرد لأنها تجد فيه متعتها وأنسها وسلوة أحزانها ، وإشباع فكرها ، وصقل ذوقها ، وقوامة أخلاقها ، وكمال حاجتها من الشرائع والقوانين .

الشبهة الثالثة :

زعم بعضهم أن القرآن المكي تأثر بالأوساط التي نزل فيها من حيث التأدب في اللفظ وعدمه . فالمكي تجد فيه الألفاظ النابية أما المدني فتجد فيه رفعة في العبارة وبعدا عن هذه الألفاظ[2] .

إيحاءً منهم بالتأثر بالأدب اليهودي في المدينة – على حد زعمهم – .

الجواب :

هذه الأوصاف التي يطلقها المستشرقون على القرآن الكريم عارية عن الصحة . أما إن قصدوا بها الوعد والوعيد والتقريع والتهديد للكفار في بعض الآيات ، أو صفحا وعفوا في غيرها فهذا النوع من الآيات لا يسمى سبابا ولا شتما بل هو لون من ألوان الأسلوب العربي . والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم وأفانين الكلام عندهم .

وهذا النوع من الأسلوب ليس في السور المكية فقط – على حد زعمهم – بل هو موجود كذلك في السور المدنية قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب**

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية – د / محمد حمدى زقزوق صـ ٩٤ ، وقضايا قرآنية صـ ٧٤ – ٧٨ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢٠٦ ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٦ .

أليم ﴾[1] .

أما الأسلوب الرفيع البعيد عن البذاءة - على حد تعبيرهم - ويقصدون به العفو والصفح وأنه غير موجود في السور المكية فهي مجرد دعوى وآيات العفو والصفح كما هي في السور المدنية فهي في السور المكية ومثال ذلك ما جاء في سورة الأعراف **﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾**[2] وقوله تعالى في سورة فصلت : **﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ﴾**[3] الآية .

فمن هنا يظهر أن مسلك القرآن الكريم في كل هذه الألوان من الأساليب من وعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، وعفو وصفح وتهديد ، راجع لمقتضى المقام وهذا هو الأسلوب الحكيم .

ويرحم الله القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما ... فليقس أحيانا على من يرحم

والقائل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى[4]

وهناك أمر لابد من التنبيه عليه وهو أن نزول القرآن بمثل هذا النوع من الأسلوب كان من باب المشاكلة لأقوال المشاركين المعاندين مثال ذلك : نزول سورة المسد كان سبب نزولها أن رسول الله - ﷺ - صعد ذات يوم على الصفا فنادى يا صباحاه . فاجتمعت إليه قريش . قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني . قالوا : بلى قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٤ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٩

(٣) سورة فصلت آية : ٣٤ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٣٦ - ٢٣٨ .

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب .. ﴾[1] إلى آخرها[2] .

كما أن من الأسباب الداعية للإكثار من هذا الأسلوب في السور المكية كان بسبب موقف القرشيين من الأوثان والموروثات القديمة وهو التمسك بها والحرص عليها وترك الحق من أجلها مع ذكائهم وشدة فطنتهم فجاءت الآيات المكية قصيرة مؤثرة ، لاذعة لمشاعرهم ، هازة لوجدانهم ، ليستفيقوا من سباتهم ، وتشعر أحاسيسهم فيزول التبلد عنها . من أجل كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها كان هذا التنوع في الأسلوب . لا تأثراً بأسلوب الأدب اليهودي كما يزعمون ؛ لأن اليهودية أعجز من أن تأتي بمثل هذا الأسلوب القرآني البديع الرفيع : وردي على هذه الفرية سيكون بتوسع تحت اليهودية كمصدر في باب المصادر[3] .

الشبهة الرابعة :

وصف أصحاب الموسوعة البريطانية أسلوب القرآن بأنه دراماتيكي[4] . أما بعض المستشرقين فقد وصفوا القسم المكي منه بالهروب من المناقشة وبالخلو من المنطق والبراهين والهدوء والإقناع[5] .

الجواب :

يقصد أصحاب الموسوعة بأسلوب دراماتيكي أي أن القرآن الكريم كما يعرض وجهة نظر الخصوم واعتراضاتهم ، ثم يرد عليهم بحجج قوية مناوئة لهم وهذا بحد ذاته يناقض الرأي الثاني الذي وصف القرآن المكي بأنه يتسم بالهروب أما الخصوم وعدم إقامة الحجج عليهم. وهذا الأمر ينقضه أي مسلم يقرأ القرآن ويتمعن فيه . فالقرآن الكريم كان يعرض لقضايا معينة يريد تثبيتها كالتوحيد ،

---

(١) سورة المسد .

(٢) انظر إرشاد الساري لشرح البخاري ٧ / ٤٣٧ ، وأسباب النزول للواحدي صـ ١٤٧ طبعة عبد الحميد حنفي - حاشية على تفسير الجلالين .

(٣) انظر صـ ٢٣٧ من الرسالة .

(٤) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٥٥ .

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤١ .

والرسالة ، واليوم الآخر وبعض الهدايات والأخلاق الفاضلة . وقد سخر لهذه القضايا عدة أساليب منها أسلوب القصة أو المحاورة ، أو التقرير ، أو التقريع ، أو الترغيب ، أو الترهيب . قد عرضها مع الأدلة التي تثبتها وتؤكدها وكانت هذه الأدلة منتزعة إما من النفس ، أو الكون ، أو المشاهدات ، أو غير ذلك . قال تعالى : **﴿ وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾**[1] .

ولقد بلغ القرآن الكريم الذروة في تقرير حجج خصومه بكل دقة وأمانة ، وردها بأبلغ رد وأحكمه وأوفاه وهذا الأمر بعرضه ورده لا يملك منها رسول الله – ﷺ – شيئا لأنه كتاب نزل عليه من الله سبحانه قال تعالى : **﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ﴾**[2] وقال سبحانه : **﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾**[3] .

والقرآن المدني والمكي على حد سواء يعرض أدلته بهدوء وإقناع بالِغَين . وما دامت التهمة موجهة للقرآن المكي من قبل المستشرقين فسأعرض آيات من السور المكية فيها الحجة على ما يزعمون .

فهذه سورة النمل مكية عرضت لموقف المشركين من اليوم الآخر وتقيم الأدلة بأسلوب هادىء مقنع على ضرورة الإيمان بالله والانقياد لهذا الإله العظيم . قال تعالى : **﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾**[4] وضرب لهم مثلا في موقفهم من القرآن بموقف قوم موسى من الحق **﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾**[5] .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٢٠ – ٢١ .

(٢) سورة يونس آية : ١٦ .

(٣) سورة القصص آية : ٨٦ .

(٤) سورة النمل آية : ٤ .

(٥) سورة النمل آية ١٤ .

ومن أجل إقناعهم بخطأ موقفهم من القرآن والإيمان أنزل لهم هذه الآيات : ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءآلله خير أم ما يشركون . أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون** ... ﴾[1] إلى آخر الآيات .

ولتنظر سورة الأنعام ، والأنبياء ، ويس ، والغاشية ، فكلها عرضت الأمر بأسلوب بديع هادىء مقنع للكافرين .

أبعد هذا الأسلوب الهادىء أسلوب ؟! وبعد هذه الأدلة المقنعة أدلة ؟!...

أما استشهادهم على قولهم بسورة الكافرين فلا حجة لهم فيها لأن هذه السورة نزلت تيئيسا للكافرين ومفاصلة لهم من عبادة رسول الله - ﷺ - لمعبوداتهم عندما طلبوا منه أن يعبد معبوداتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزل قوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد .. لكم دينكم ولي دين** ﴾[2] .

في هذا بلاغ وبه الحجة الكافية على هؤلاء المستشرقين المزيفين للحق الحائدين عنه . والله غالب على أمره .

الشبهة الخامسة :

زعموا أن السور المكية خالية من التشريعات والقوانين التفصيلية لضعف الثقافة عند المكيين بعكس السور المدنية فقد ذكرت هذه القضايا تأثرا بالثقافة اليهودية[3] .

---

(١) سورة النمل آية ٥٩ - ٦١ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤٣ .

الجواب :

قبل الإسلام تمكنت في نفوس العرب شعائر الجاهلية ، ومازجت أرجاسها عقولهم ، وكان العسير اجتثاثها من نفوسهم دفعة واحدة .

فاقتضت الحكمة الإلهية التدرج بهم شيئا فشيئا على مراحل عدة ، وصور متعددة .

وخلاصة الأمر : أن القرآن الكريم وجد قوما في مكة ينكرون أصول العقائد والإيمان فكان أول ما نزل منه يعالج هذا الأمر ، فدعا لتوحيد الله سبحانه وإفراده في الطاعة والعبادة ، وتحذيره من عبادة الأوثان والشرك بالله سبحانه وساق لذلك القصص والشواهد لتثبيت هذه العقيدة الإسلامية بنقائها وصفائها . فلما رسخت العقيدة في النفوس ، وأصبح أصحابها قادرين على تنفيذ أوامر الله سبحانه . خاصة بترك العادات الموروثة كشرب الخمر ، والربا ، والزنا ، وغير ذلك عند هذا الحد نزلت الآيات المتعلقة بأصول الشريعة كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والأخلاق الفاضلة ، والآداب الحميدة ، وذم سيء الأخلاق ، حتى إذا ارتفعت النفوس شيئا فشيئا ، وملكت قوة التقبل والامتثال ، تعاقبت التفاصيل في الشرائع والأحكام الإسلامية .

حتى إذا جاء دور التشريعات الإسلامية العامة كالحدود والقصاص والعلاقات الدولية وكان لابد لها من سلطة تنفيذية تنفذ الشريعة الإسلامية جاء دور المجتمع المدني ، والقرآن المدني نزل لتنفيذ هذه المرحلة .

فجاءت التشريعات المدنية مسهبة ومستقلة عن أي تأثير بل طبيعة المرحلة هي التي اقتضت ذلك . ولكن بحكم وجود اليهود في المدينة حيث كان لهم تشريعاتهم الخاصة بهم وأسلوبهم الخاص في التعامل مع الناس وقفت الشريعة الإسلامية لتظهر شخصيتها في هذا المقام وتبين موقفها من أخلاق اليهود وأسلوبهم المعوج في التعامل .

لذا ظن المستشرقون أن التشريعات الإسلامية في المدينة كانت بتأثير من اليهود وهذا مجانب للصواب فالشريعة الإسلامية وقرآنها متميزان في العهدين المكي والمدني على السواء ،[1] ومنشأهما ربانيان دون التأثر بأحد .

وخير ما نذكره من الشواهد على ما ذكرت حديث السيدة عائشة - رضي الله عنها - « إنما نزل أول ما نزل منه - أي القرآن الكريم - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر . لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، ولو نزل : لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبدا »[2] .

الشبهة السادسة :

زعموا أن الوسط المكي الساذج أثر على أسلوب القرآن المكي فأكثر من القسم بالمخلوقات الجامدة بما يناسب البيئات الساذجة المتأخرة[3] .

الجواب :

يحاول المستشرقون دائما وصف أهل مكة بالسذاجة والتأخر ليصوروا المجتمع المدني مجتمعا متقدما وذلك لمخالطته اليهود الذين يحاولون أن يصفوا أنفسهم أو يوصفوا من قبل أتباعهم أنهم أهل التقدم ، والذكاء والدهاء وأهل الاصطفاء . من الله سبحانه مع أنهم على غير هذا وبشهادة التاريخ والواقع ، وبوصف القرآن لهم . ووصف أهل مكة بالسذاجة خلاف الواقع فأهل مكة كانوا أذكى عقولا ، وأرهف حسا ، وأوفى ذوقا ، من أهل المدينة . والقرآن الكريم قد بين كثيرا من مناقشاتهم العقلية وقد خرج منهم القائد للجيوش والحاكم للشعوب ، والعالم بكل فن .

---

(١) خصائص القرآن الكريم - د / فهد الرومي - صـ ٧٨ .
(٢) صحيح البخاري ٦ / ١٠١ ، كتاب فضائل القرآن باب ٦ تأليف القرآن .
(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم صـ ٢٤٥ .

والقرآن الكريم قد أقسم بالمحسوسات والمعقولات والأحياء فأقسم سبحانه بالشمس والملائكة والنفس ، وبحياة الرسول - ﷺ - وبذاته سبحانه .. إلخ وقسمه كان كلون من ألوان الخطاب كان دارجاً بين المخاطبين والقرآن الكريم نزل بأسلوبهم وعلى طريقة الخطاب عندهم .

فالحال والمقام اقتضى القسم بهما . ثم إن القسم بهذه الأشياء ليس لتعظيمها - كما يظن المستشرقون - إنما لتنبيههم إلى ما تشتمل عليه من إحكام في الخلق والصنعة ، وما تنطوي عليه من أسرار وعجائب وما تذكر به من نعم وآلاء على المخلوقين . فيؤدي النظر فيها والتمعن للإيمان بخالقها ومنشئها سبحانه ، والإذعان والانقياد لشرعه وتعاليمه حسب ما جاء به رسوله - ﷺ - .

ولأهمية هذا الموضوع فقد خصه بعض العلماء بالتأليف كابن القيم في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) وغيره[1] .

المبحث الثاني :

طول الآيات وقصرها وعدها :

شبههم حول هذا المبحث :

الشبهة الأولى :

ذكرت دائرة المعارف البريطانية في هذا الشأن (أن السور الأولى تتصف آياتها بالقصر ، وبقوتها الشعرية ، وبتعبيرها الحيوي ، أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولغتها ، بحيث إنه أصبح من الصعب التمييز أين تنتهي الآية ، مما تسبب عنه اختلاف في ترقيم الآيات)[2] .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن صـ ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٥٠ .

الجواب :

إن مما يؤسف أن تجد مراجع علمية كالموسوعة البريطانية تكتب أمورا إسلامية ، وقضايا قرآنية دون تمحيص ودقة علمية مما يجعلها تأتي بكل غريب ونشاز .

فقضية قصر الآيات وطولها أمر توقيفي لا اجتهادي عينه المصطفى - ﷺ - وكان مراعيا فيه لمقتضى حال المخاطبين وليس لتأثره بالبيئة المكية أو المدنية . وكان مراعيا كذلك أفانين الكلام عند العرب في كلا البيئتين ، حيث كان عندهم أسلوب الإطناب والإيجاز ، فجاءت الآيات على الأسلوبين سواء في مكة أو في المدينة ، وأهل مكة لم يكونوا شعراء فقط بل كانوا كذلك أدباء بلغاء لا يقلون في الإبداع عن كونهم شعراء أفذاذ ، لأن الكلام بضاعتهم في كل نواحيه ، وقد اشتهر منهم في مكة أدباء أصحاب نثر بديع كما اشتهر فيهم شعراء مبدعون .

وهناك أمر هام وهو أن السور المكية لم تكن كلها ذات آيات قصيرة ، وكذلك لم تكن المدنية كلها ذات آيات طويلة كما يظن المستشرقون . فمن السور المكية من آياتها طوال وهي كثيرة العدد أكثر من بعض السور المدنية كما هو الحال في سورة الأنعام ، وغيرها .

ومن السور المدنية قصيرة الآيات ، قليلة العدد كسورتي النصر والإنسان ، وغير ذلك كثير .

إذن فمسألة القصر والطول أمر رباني ومسألة توقيفية روعي فيها مقتضي حال المخاطبين على غير ما يتصوره المستشرقون[١] .

كما أن الإتيان بالمعاني العظيمة في الأسلوب الموجز يعتبر أبلغ مما لو جاء بها في الأسلوب المسهب قال السخاوي : [.. والقرآن الكريم على أيهما جاء فهو

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٢٠٩ .

على قرى واحد ، لا تعثر فيه على اختلاف ، ولا أنت لتقصير واجد ، فلا يشك في صحة نزوله من عند الله - عز وجل - ذو بصيرة ، ولا قدرة لأحد من البشر أن يأتي بمثله في أحكام معانيه ، وانتظام ألفاظه ، وبديع منهاجه وأسلوبه ..][1] .

والقرشيون في مكة كانوا في الذؤابة من قبائل العرب ، ذكاءً وألمعية ، وفصاحة ، وبلاغة ، وشرفا ، وشجاعة ، لذا خاطبهم القرآن الكريم بالقصير من سوره وآياته ، ولا يقدح في مزايا المكيين هذه أنهم كانوا أميين لم يستنيروا بثقافة المدنيين ، فللثقافة والاستنارة ميدان ، وللذكاء والتمهر في البيان ميدان آخر . وأما أهل المدينة لم يكونوا على استنارتهم ليبلغوا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا ، وكان منهم أهل كتاب درجوا على ألا يستفيدوا إلا بالتطويل ولا يقنعوا إلا ببسط الكلام ، لذا جاء القرآن المدني طويلا في آياته وسوره . لذا كان كلا الأسلوبين مراعى فيه حال المخاطبين ، وهذا هو عين البلاغة والإبداع ، وتأدية للمهمة التي نزل بها القرآن ألا وهي البلاغ لا كما يتصور المستشرقون ويتخيلون .

فالخلاصة :

أن القوم في مكة كانوا في سبات عميق وغفلة من أمر تدبر ما في السموات والأرض ، أبطرهم المال والجاه .

فجاءت الآيات المكية في صدر الدعوة كالصعق الكهربائي لإعادة التفكير واليقظة إليهم .

لذا جاء الأسلوب يهز العواطف والمشاعر هزا عنيفا لافتا النظر إلى ما يحيط به من بديع النظام الكوني .

أما في المرحلة المدنية فقد كانت تشريعات الدول من المعاملات والاتفاقات الدولية في حالة السلم والحرب وآداب الأسرة وتنظيم سائر شؤون الحياة هو

---

(١) جمال القرآن وكمال الإقراء صـ .

الغالب . والمجتمع مجتمع إسلامي عميق الشعور والتفكير في خالق الكون وشرائعه مذهب المتقصي لمثل الأسلوب السابق .

أما القضية الثانية :

قضية عد الآي وعلاقتها بطول الآيات وقصرها فهو تصور خاطىء منهم ، ولا يدل على نضوج علمي بقدر ما يتبع الهوى والتشهي وقصد الإساءة للقرآن الكريم . أما عد الآيات فهو أمر توقيفي لا اجتهاد فيه ، مرجعه رسول الله - ﷺ - الذي بينه لصحابته خلال تلاوته للآيات القرآنية أمامهم .

وقد كان رسول الله - ﷺ - يبين عدد آيات بعض السور أو تعيين عدد آيات مقطع من سورة معينة مثال ذلك : سورة الملك وتعيين عدد آياتها بالثلاثين ، روى أبو داود في سننه بسنده لأبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « سورة من القرآن ثلاثون آية[1] تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ **تبارك الذي بيده الملك** ﴾[2] .

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : سألت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فقال : قال رسول الله - ﷺ - « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[4] »[5] هذا يؤكد أن آيات القرآن الكريم

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ١١٩ كتاب الصلاة باب في عد الآي .

(٢) سورة الملك : ١ .

(٣) سنن أبي داود ٢ / ١١٨ كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن .

(٤) المقنطرين : أي أعطي قنطارا من الأجور ، وجاء في الحديث : أن القنطار ألف ومائتا أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤ / ١١٣ .

(٥) انظر سنن أبي داود ٢ / ٥٥ .

كانت معروفة العدد . وأن ذلك كان بتحديد رسول الله - ﷺ - له ، وليس السبب الرئيسي في الخلاف كون الآيات المدنية نثراً معقدا يصعب معرفة نهاياتها لذا صعب عدها على حد تعبيرهم . وإنما هو ناشيء من وقوف النبي - ﷺ - أحيانا على بعض الكلمات في آية من الآيات ، فكان يعدها بعضهم رأس آية . فكان لا يقف عندها في قراءة أخرى فلا يعدونها رأس آية لذا كان يقع الخلاف في عدد آيات بعض السور .

والقرآن الكريم كان أخذه بالتلقي لذا كان الصحابي يقرأ كما سمع رسول الله - ﷺ - يقرأ ، ويقف مكان وقوفه . وكان الخلاف غير مقتصر على السور المدنية بل كان كذلك في السور المكية على حد سواء . وسأضرب مثالا على ذلك من سورتين واحدة مدنية والأخرى مكية وكلاهما فيه خلاف لأدلل على أن المستشرقين يلقون كلاما غير دقيق لإثبات فكرة في أذهانهم غير مراعين احترام البحث العلمي .

فالسورة الأولى سورة آل عمران التي بلغت مواطن الخلاف فيها سبعة مواضع .

١ - اختلافهم في ﴿ الم ﴾ [١] حيث عدها بعضهم آية وبعضهم لم يعدها كذلك . كما جاء في سورة البقرة .

٢ - قوله سبحانه : ﴿ **وأنزل التوراة والإنجيل** ﴾[٢] حيث عدها الأكثرون آية ولكن بعضهم وهو الشامي لم يجعلها آية ولكنه جعلها جزءاً من آية .

٣ - قوله : ﴿ **وأنزل الفرقان** ﴾[٣] عدها غير الكوفي آية ولكن الكوفي جعلها جزءا من آية .

---

(١) سورة آل عمران آية : (١) .

(٢) سورة آل عمران آية : (٣) .

(٣) سورة آل عمران آية : (٤) .

٤ - قوله عن المسيح ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾[١] فلقد انفرد الكوفي في عد هذه آية ، وذهب غيره أن هذه جزء من آية .

٥ - قوله : ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل ﴾[٢] فلقد عدها بعضهم آية مثل البصري ، وذهب الأكثرون إلى أنها ليست آية مستقلة .

٦ - قوله سبحانه : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾[٣] عدها بعضهم رأس آية ، وذهب آخرون إلى أن الآية تنتهي عند قوله ﴿ عليم ﴾ .

٧ - قوله سبحانه : ﴿ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ﴾[٤] عدّها بعضهم آية ، وذهب الأكثرون إلى أن الآية تنتهي عند قوله سبحانه : ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ .

أما السورة المكية التي اخترتها سورة الماعون فلقد عد بعضهم قوله سبحانه : ﴿ الذين هم يراءون ﴾[٥] آية ﴿ ويمنعون الماعون ﴾[٦] آية ثانية . وذهب الأكثرون إلى أنهما آية واحدة وليستا بآيتين[٧] . والأمثلة غير هذين المثالين كثيرة .

المبحث الثالث :

الفاصلة القرآنية :

زعم المستشرقون كما في دائرة المعارف البريطانية أن القرآن الكريم ألف

---

(١) سورة آل عمران آية : (٤٨) .
(٢) سورة آل عمران آية : (٤٩) .
(٣) سورة آل عمران آية : (٩٢) .
(٤) سورة آل عمران آية : (٩٦) .
(٥) سورة الماعون آية : (٦) .
(٦) سورة الماعون آية : (٧) .
(٧) قضايا قرآنية صـ ٥٤ .

بطريقة عشوائية والذي يدل على ذلك ويؤكد صحته ختم آياته بفواصل وضعت لغير حكمة ولا فائدة وإنما وضعت لتتميم السجع والقافية للآيات[1] .

الجواب :

الفواصل : حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب . وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها وهو قلب توجبه الحكمة في الدلالة[2] .

وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها .

والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة كقوله تعالى : **﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾**[3] .

والآخر على الحروف المتقاربة فكالميم من النون كقوله تعالى : **﴿ الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ﴾**[4] وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة . لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة .

وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة . وإنما حسن الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي فلو بطل أحد الشيئين خرج عن ذلك المنهاج ، وبطل ذلك الحسن الذي في الأسماع ، ونقصت رتبته في الأفهام .

والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر[5] .

---

(١) انظر قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٨٢ .

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني صـ ٨٩ .

(٣) سورة طه (١ - ٣) .

(٤) سورة الفاتحة (٢ - ٣) .

(٥) ثلاث رسائل صـ ٩٠ - ٩١ .

وما ذكرته من نفي السجع في القرآن الكريم هو رأي مجموعة من العلماء كالرماني مثلا ولكن من أجازه في القرآن احتج أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم ، وعادتهم .

وحمل قول الرماني ومن تابعه أنه جنب القرآن لفظ السجع تنزيها له عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم .

وقد نقل يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز موقف العلماء من التسجيع حيث قال : التسجيع فيه مذهبان :

المذهب الأول :

وهذا هو الذي عول عليه علماء أهل البيان ، والحجة على ذلك هي أن كتاب الله تعالى والسنة النبوية وكلام أمير المؤمنين مملوء منه .

والمذهب الثاني :

استكراهه ، وهذا شيء حكاه ابن الأثير ولم أعرف قائله ، ولا وجدته فيما طالعت من كتب البلاغة[1] .

فالفاصلة القرآنية إذن هي النهايات التي ختمت بها الآيات وهي تعادل القافية في الشعر . قال الجاحظ : [سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل .

سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا .. وآخرها فاصلة كقافية][2] .

ونظام الفاصلة القرآنية فريد متميز خاضع لنظام رباني دقيق ، فهي متسقة ومتناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي تتحدث فيه ، وغرضها الذي جاءت من أجله ، وهي دليل وبرهان صادق أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) نفس المرجع صـ ١٧٦ .

(٢) لمحات في علوم القرآن – محمد الصباغ المكتب الإسلامي صـ ٤٤ .

وأهل العربية يحسون جمال الفاصلة القرآنية بفطرتهم وذوقهم السليم ، فقد ذكر الجاحظ في البيان والتبين قصصا تؤكد هذا فقد روى قائلا [حدّثوا أن رجلا في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قرأ « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم »[1] فقال أعرابي لا يكون ، وفي رواية أخرى أنه قال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم ، لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه][2] .

هكذا تعليق أعرابي عرف الفاصلة بفطرته وطبعه وسليقته وسجيته ولم يتخرج من جامعات هؤلاء المستشرقين الذين يزعمون أن القرآن مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية مستدلين على صحة دعواهم بالفواصل القرآنية وأن بعضها لا حاجة لها ، ولا علاقة لها بما قبلها ، وإنما وضعت لتتميم السجع والقافية – على حسب زعمهم – ونحن لاننكر أن بعض النهايات قد ختمت بما ختمت به الأخرى كقوله تعالى : **﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾**[3] .

ولكن أمثال هذه الفواصل خاضعة لنظام دقيق ، حيث إن كل فاصلة قرآنية جاءت متسقة ، متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها ، وسياقها الذي تتحدث فيه ، وغرضها الذي جاءت من أجله كما ذكرت وليس هذا من باب العبث والعشوائية .

والفاصلة القرآنية من حيث إدراك سر الختم بها على أنواع :

فمنها سهلة الفهم ، ولا تحتاج لجهد كبير ، وعناء كثير ، ومثال ذلك قوله تعالى : **﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾**[4] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٩ .
(٢) قضايا قرآنية صـ ٨٠– ٨١ .
(٣) سورة النحل : (٩٦ – ٩٧) .
(٤) سورة القصص : (٧٦) .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾[1] .

وهناك نوع آخر من الفواصل القرآنية بحاجة إلى نوع من الفكر ، وسيجد الفكر فيه ضالته وكلا النوعين من مظاهر الإعجاز وآيات البيان ، ومثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله . إن الله عليم بذات الصدور . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾[2] .

فلما تحدثت الآية الأولى عن الميثاق الذي أخذه الله عليهم ، وهو أن يتقوه ويعبدوه ، وتلك قضية خاصة بكل فرد ، ترجع إلى ما في قلبه وإلى باطنه ، ولذا ختمت ﴿ **إن الله عليم بذات الصدور** ﴾[3] .

أما الآية الثانية فقد أمر الله سبحانه فيها المؤمنين بالعدل مع أعدائهم وتلك قضية ظاهرة يطلع عليها الناس ، ولذا ختمت بقوله : ﴿ **خبير بما تعملون** ﴾[4] .

وسأنقض شبههم على بعض الآيات فقد زعم بعض المستشرقين أن الفاصلة القرآنية : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أو ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ لا علاقة بينها وبين ما قبلها ، وأنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية[4] .

فلا يوجد منصف وعاقل يدعي أن هذه الفاصلة غير متصلة بما قبلها ، أو أن أي فاصلة يمكن أن تصلح بدل هذه الفاصلة . فالله سبحانه يخاطب المؤمنين وقد كتب عليهم القتال والجهاد ويبين أن أمر المستقبل لا يدركونه هم ، فربما يكرهون شيئا يكون فيه خيرهم ، وربما يحبون شيئا تكون نهايته شرا لهم ووبالا

---

(١) سورة القصص : (٧٧) .

(٢) سورة المائدة : (٧ – ٨) .

(٣) قضايا قرآنية صـ ٨٧ .

(٤) قضايا قرآنية صـ ٧٤ .

عليهم . إن الله وحده هو الذي يعلم ذلك ، فأي فاصلة تصلح لهذه الآية غير التي ختمت بها ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

فلم تكن عبثا ولا أمرا عشوائيا لا صلة لها بما قبلها كما زعم المستشرقون . بل جاءت متسقة منسجمة مع موضوع الآية وسياقها مما يدل على إعجاز هذا القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد .

أما قوله تعالى : ﴿ **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[1] .

لما قال أهل الكتاب إن إبراهيم – عليه السلام – كان يهوديا أو نصرانيا مع أن إبراهيم – عليه السلام – كان قبل وجود اليهودية والنصرانية . فكان ختمها بهذه الفاصلة في مكانه المناسب ﴿ **والله يعلم وأنتم لاتعلمون** ﴾ .

أما ختمها في قوله تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[2] فمن صنع الحكيم الخبير كيف لا وإنه لعجيب أن تنحرف الفطرة إلى هذا الحد ، فيتجه الناس بالعبادة إلى مالا يملك لهم رزقا ، وما هو بقادر في يوم من الأيام ، ولا في حال من الأحوال أن يقدم لهم ضرا أو نفعا . ويدعون الله الخالق الرازق ، الضار النافع ويتركون آلاءه . وهي بين أيديهم لا يملكون إنكارها ، ومع هذا فهم يجعلون لله الأشباه والأمثال ، فناسب جدا أن يذيل قوله تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ بقوله تعالى : ﴿ **إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[3] .

أما تذييلها بقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾[4] فتذييل

---

(١) سورة آل عمران : (٦٦) .

(٢) سورة النحل : (٧٤) .

(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٦٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٤) سورة النور : (١٩) .

هذه الآية بهذه الفاصلة لاشك أنه لحكمة بليغة لا يدركها هؤلاء المستشرقون .

قال أبو السعود[1] – رحمه الله – : [وجاء التذييل بقوله تعالى : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ ليبين سبحانه أنه يعلم جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وهي إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا] . وقوله ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي ما يعلمه تعالى . بل إنما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة لذا فابتلوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور . هذا إذا جعل العذاب الأليم في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظما له كما أطلق عليه الجمهور .

أما إذا بقي على إطلاقه فإنه يراد بالمحبة نفسها ، من غير أن يقارنها التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم . فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي أعني قوله تعالى : ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ تقديرا ليكون العذاب الأليم لهم وتعليلا له .

فهذه الآيات التي ختمت بهذه الفاصلة أحكمت إحكاما ووضعت في مكانها المناسب ، وكان ارتباطها بما قبلها ارتباطا وثيقا ، ولا تجد فاصلة أنسب منها في هذا المقام[2] .

ومن شبههم كذلك ما نسبه « سال » للقرآن من الخطأ مراعاة للروي وضرب على ذلك بعض الأمثلة منها قوله تعالى : ﴿ **سلام على إلِ ياسين** ﴾[3] وقوله : ﴿ **وطور سينين** ﴾[4] والوجه ﴿ **سيناء** ﴾[5] .. إلخ[6] .

---

(١) انظر تفسير أبو السعود ٦ / ١٦٤ .

(٢) انظر قضايا قرآنية صـ ٨٠ – ٨٦ .

(٣) سورة الصافات : ١٣٠ .

(٤) سورة التين : ٢ .

(٥) سورة المؤمنون : ٢٠ .

(٦) انظر أسرار عن القرآن صـ .

فهذه الأمثلة التي ذكرها « سال » تدل على جهله بالعربية وعدم فهمه للقرآن الكريم فـ« آلِ ياسين » بفتح الهمزة وكسر اللام مع المد وهي قراءة نافع وابن عامر ، والقراءة الثانية « إل ياسين » بإسكان اللام وكسر الهمزة ، وبغير مد وهي قراءة الباقين[1] .

و « ياسين » اسم أعجمي سرياني عربته العرب فقطعت همزته تارة ، ووصلتها تارة أخرى .

والأسماء الأعجمية تأتي على لفظين أو أكثر ، والأكثر على أن وجه الوصل أن أصله (ياس) دخلت عليه ال المعرفة كما دخلت على اليسع فمن أخذ بالابتداء كسر همزته ومن مده وفتح همزته بسبب رؤيته له في المصحف منفصلة من ياسين استدل على أن (ال) كلمة و (ياسين) كلمة أضيفت (ال) إلى (ياسين) وهو أبو إلياس النبي – عليه السلام – فسلم على أهله وأهل دينه ومن اتبعه مؤمنا به . وحذفت ياء النسب كراهة التضعيف .

أما حجة من كسر الهمزة ولم يمد لأنه جعله اسما واحدا جمعا منسوبا إلى (إلياس) النبي – عليه السلام – فيكون السلام واقعا على من نسب إليه نفسه – عليه السلام –[2] .

أما بالنسبة لـ ﴿ **طور سينين** ﴾[3] و ﴿ **طور سيناء** ﴾ كلمتان أعجميتان « سنين » من أصل حبشي و « سيناء » من أصل سرياني . فكلمة « سينين » أو « سيناء » كلاهما تطلقان على مكان حسن مبارك هو الجبل الذي فيه شجر مثمر . وهما المكان الذي حصل فيه كلام الرب سبحانه لموسى – عليه السلام – وهما قراءتان . فبالأولى « سنين » قرأ ابن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن . أما

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢ / ٢٢٧ .
(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٢٧ – ٢٣٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٧٣ وإتحاف فضلاء البشر صـ ٣٧٠ .
(٣) سورة التين : آية (٢) .

« سيناء » فقد قرأ بها عمر وزيد بن علي وأبو رجاء وهي لغة بكر وتميم[1] .

لذا فلا خطأ وقع في القرآن مراعاة للروي كما زعم « سال » بل القراءة بهما جائزة لأنهما مما درج على ألسنة العرب من غير العربية فعرب بالاستعمال فمن هنا يظهر سلامة القرآن من أي خطأ مزعوم كأقوال « سال » .

المبحث الرابع :

أسلوب القصة في القرآن :

جاء في الموسوعة البريطانية : [كما أن الآيات القصصية موجزة ومقتضبة إلا أن قصص الأنبياء والأشخاص المذكورين في التوراة ينوه عنها وكما أن السامعين والمخاطبين يعرفونها ، إلا أن الغاية من سرد القصص يعود إلى العبر التي تستفاد منها وليس لمجرد ذكر القصة وإذا دققنا النظر في بعض السور القليلة نجد أنها متشابهة جدا في أسلوبها ومضمونها][2] .

الجواب :

ما جاء في الموسوعة البريطانية منه الصواب ومنه الخطأ .

فالقصة في القرآن الكريم لها مكان ومكانة وهدف تربوي وأخلاقي أما من حيث المساحة التي أخذتها القصة القرآنية فهي تزيد عن ربع القرآن الكريم ليس كما زعم المستشرقون [أن الآيات القصصية موجزة ومقتضبة] .

أما مكانتها فعظيمة وذلك لأنها أحد طرق الدعوة إلى الله سبحانه وأسلوب لتثبيت المؤمنين وتخويف خصومهم بالمصير المحتوم للكافرين من خلال سرد قصصهم ليكون عبرة للمعتبرين .

والدارس للقصة القرآنية والمحلل لها من حيث عوامل التأثير فيها ومن حيث

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٦ / ٦ - ١٠ وتفسير البحر المحيط ٨ / ٤٩٠ .

(٢) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية صـ ٦٠ .

منهجها القصصي ، ومصادر المعرفة فيها ، ودورها في التوجيه والتربية وغرس الإيمان ، وتحليل عناصرها من حوار وأحداث وأشخاص كما يمكن الوقوف على ما فيها من إبداع فني يكشف عن أسرار إعجازها البياني ، وإقناع عقلي يلتزم بالجدة ويهدي إلى الحق وتأثير وجداني يغذي المشاعر ويسمو بالنفس .

وأسلوب القصة محبوب للنفس وهو أحد الأساليب العربية التي درج عليها أهل هذه اللغة . كما أن القصة من الآداب العالمية عبر التاريخ .

ولا زال الأسلوب القصصي يلعب دورا هاما في الآداب العالمية ويجد فيه أصحاب المباديء والأفكار الأسلوب الناجح في ترسيخ المفاهيم وتقريرها ، أو محاربة بعضها والتنفير منها حيث تمتزج العاطفة بالعقل والمتعة الذهنية بالخيال المجنح ، وتفعل القصة فعلها وتؤدي دورها التربوي على أحسن وجه .

والقصة القرآنية قد جاءت في كل أنواع الآيات القرآنية القصيرة والمتوسطة والطويلة حسب السورة والسياق التي تكون فيه ببراعة لا مثيل لها وكل موضع هي فيه كأنه قصة جديدة وبثوب جديد .

والقصة القرآنية امتازت على غيرها بأمور منها :

١ - أهم غرض ركزت عليه القصة القرآنية الغرض الديني المحض الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشوبه الأوهام ، وإنما يسلك سبيل الصواب ويرسخ في النفس الإنسانية دعامة الكيان الروحي ، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة مع عدم خضوعه لاتجاهات القصة الأدبية الحديثة . ومع هذا يلحظ بيان القصص القرآني السامي الذي يصب في قوالب الإعجاز .

٢ - تفردها بقصص لم تذكرها الكتب السابقة للقرآن الكريم . لأنها ربانية المصدر .

٣ - كما أن القصة القرآنية إذا اتفقت مع بعض الكتب السابقة ببعض القصص فإنها تتفرد بأمور يقف عندها أهل الكتب الأخرى مدهوشين .

٤ – كون القصة موجودة بين أمم قبل نزول القرآن الكريم لا يعني هذا استمداد القصة القرآنية لقصته منهم . لأن القصة غير القرآنية مليئة بالخرافة والخيال وعدم الواقعية . بعكس القصة القرآنية فهي مرجع تاريخي موثق يشهد لها العلم بأنواعه .

٥ – يظن بعض المستشرقين أن القصص القرآني متشابه من حيث الأسلوب والمضمون فهو نوع من التكرار . وهذا بحد ذاته خطأ سببه الجهل بالعربية وعدم فهم طبيعة هذا الدين وإلا فإننا لا نجد كلمة في جملة أو جملة في آية ، أو آية في سورة ، أو قصة في موضع يمكن أن تكون جاءت بدون معنى وهدف وبالتالي يمكن أن يغني عنها غيرها ، وهذا الأمر يعرفه العالمون بهذا الكتاب الكريم(١) .

٦ – استخدام القصة القرآنية سلاحاً نفسياً في الدعوة المحمدية إلى عقيدة التوحيد ، وفي إقناع المخالفين عن طريق الجدل والحوار بسمو هذه العقيدة ونبل أهدافها .

ولذا كانت القصة القرآنية من أمضى الوسائل التي استخدمت في العهد المكي .

٧ – من مميزات القصة القرآنية أنها ملتزمة وذلك من دعوتها للتوحيد وما تحث عليه من خلق قويم ، ونهيها عن الفساد والشرك ، وما تثبته من أدلة على صدق ما جاء به رسول الله – ﷺ –(٢) قال تعالى : ﴿ **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾(٣) .

٨ – ينفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز في عرض قصص الأنبياء والأمم السالفة ، ويتميز هذا الأسلوب بخصائص جلية تعطي للنسق القصصي روعة

---

(١) انظر كتاب قضايا قرآنية صـ ٦٠ – ٦٥ (بتصرف) .
(٢) سيكلوجية القصة في القرآن د / التهامي ، فقرة صـ ٨٥ .
(٣) سورة الأعراف : ١٧٦ .

ووضوحا ، وتكون لها آثارها العميقة في النفس[1] .

٩ – من خصائص أسلوب القصص القرآني انتقاء الألفاظ وحسن اختيارها ووضعها في موضعها وهو ما يسمى (إصابة المعنى)[2] .

١٠ – ومن خصائصه تخير الأسلوب المناسب للفكرة ، وتنويعه لنظام الفواصل والقوافي من حيث الطول والقصر وطريقة بنائها وتخير الحرف الذي تختم به بتنوع الموضوع الذي يعرضه[3] .

١١ – من أسلوب القصة القرآنية أنها تختار لقطات حية من الوقائع التاريخية ، ولا يثقلها بما هو تافه من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار ، ويستخدم أسلوبا يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون ، ويجعلها كأنها ماثلة[4]. انظر مثلا قصة لوط – عليه السلام –[5] .

١٢ – جاء القصص القرآني في أوائل الدعوة الإسلامية جله يمتاز بعرض أحداث القصة في منتهى الإيجاز وبالفواصل القصيرة ، والجرس اللفظي ، والاقتصار على ذكر من نزل عليه العذاب ، دون التعرض غالبا إلى أسماء أنبيائهم ، وما دار بينهم من حوار ؛ لأن الغرض الأول في هذه المرحلة يتمثل في تحذير مشركي مكة من العناد والتكذيب والإصرار على الباطل ، وتخويفهم أن يصيبهم ما أصاب من سبقهم من المكذبين . كقوله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ..** ﴾[6] .

وحين تطورت الدعوة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واحتد الخصام

---

(١) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية – محمود السيد صـ ٦٧ .
(٢) نفس المرجع صـ ٧٠ .
(٣) نفس المرجع صـ ٧٤ .
(٤) سيكلوجية القصة صـ ٨٧ .
(٥) سورة هود آية : ٧٧ – ٨٣ .
(٦) سورة الفجر ٦ – ٨ .

واشتد الصراع ، أخذ يبرز عنصر الحوار في موضوعات الدعوة كالوحدانية ورسالات الأنبياء والبعث فتظهر أسماء الرسل وهم يحاورون أقوامهم ، فتكثر الآيات من التبسط والتفصيل ، وتأتي آياتها أكثر طولا ، لأنها تتجه إلى إثارة التفكير والتأمل والتروية فيما جرى على الأمم من قبل . كقصة موسى وفرعون في سورة طه[1] .

١٣ - ومن سمات القصص القرآني أن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقدة .. لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ولا موزعة توزيعا يجعل لكل منها دورا يختل بانعدامه توازن القصة ، لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض ، وتتحكم في ترتيب الأحداث وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه .

فإن كان القصد الإنذار والترهيب مثلا برز عنصر الأحداث وإن كان القصد تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه رغم ما يلقون في سبيله من أهوال ، فيبرز عنصر الأشخاص تميزهم الأحداث التي ألمت بهم ، وما كانت لهم من عاقبة يطمئن إليها المجاهدون[2] .

١٤ - امتاز القرآن بما يطويه في قصصه من مراحل ، وما يعرض عنه من جزئيات ، وما يتركه من فجوات ، هو أخص ما يمتاز به منهجه القصصي الذي يختلف شكلاً ومضموناً عن منهج التوراة والإنجيل[3] .

١٥ - انتفاء الرمزية والتي تعني فيضا عن مشاعر ذاتية والأسطورة في القرآن الكريم التي تعني الخرافة لأنه كلمة الله[4] قال تعالى : **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾**[5] .

---

(١) سيكلوجية القصة صـ ٩٢ .
(٢) سيكلوجية القصة صـ ٩٣ - ٩٤ .
(٣) سيكلوجية القصة صـ ٩٩ .
(٤) نفس المرجع صـ ١٥٩ .
(٥) سورة فصلت : ٤٢ .

١٦ – ومما امتازت به القصة القرآنية التكرار في مواضع شتى التكرار الذي لا يتناول القصة كلها ، ولا بنفس الأسلوب كما ظن المستشرقون إنما كان تكرارا لبعض حلقاتها مركزا على موطن العبرة في ذلك وللعظة الدينية التي هي مقدمة الغاية القصصية الفنية ، أو السرد التاريخي وبأسلوب يختلف عنه في الأول وكأنه عرض جديد لم يسبق[1] ذكر القصة .

١٧ – ما تضمنته قصصه من أخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة وما تحدى به أهل الكتاب كان على ما ذكره أنبياؤهم وتضمنته كتبهم[2] .

أهم القضايا التي ركز عليها القصص القرآني واهتم بها :

١ – تعميق العقيدة في النفوس وتبصير العقول وإحياء القلوب بها ، فيسلك بذلك أحسن الطرق إمتاعا وإقناعا .

٢ – السمو بهذا الإنسان روحيا وخلقيا ونفسيا حتى يمتاز عن الحيوان الذي يشترك معه في بعض الصفات .

٣ – تركيزه على الرقي المادي وأسبابه ، وأسباب القوة بمقدار اعتنائه بالمعنويات .

٤ – عنايته الخاصة ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم والجماعات والأفراد وتفصيل ذلك تفصيلا عجيبا كالتركيز على الترف والطغيان ، والبطر والظلم ، والاستعباد الفكري ، والإرهاب والسخرية والرضا بالذل .. إلخ الذي بث في كل ثنايا القصص القرآني .

٥ – ارتباط التدين الحق بالحياة العملية وعدم انفصاله عنها .

٦ – تفصيله في أسباب السعادة الروحية التي بها تتم سعادة المؤمنين وعرض ذلك في القصص القرآني .

---

(١) التعبير الفني في القرآن د / بكري شيخ أمين صـ ٢١٩ .

(٢) روائع الإعجاز في القصص القرآني – محمود السيد حسن – صـ ٣٠ .

٧ – عرض كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون في هذا القصص القرآني[١] .

المبحث الخامس :

التعريب :

زعم « سال » : [أن القرآن الكريم ليس فصيحا وذلك لوجود لغات أخرى فيه مثل أسماء بعض الأنبياء وأسماء بعض الأشياء مثل إستبرق وغيرها مع أن الله قادر أن يخلق الألفاظ بالعربية][٢] .

الجواب :

القرآن الكريم نزل للبشرية جمعاء بكامل أجناسها ، وعلى اختلاف لغاتها بعكس الكتب السابقة فقد نزلت خاصة لأقوام بأعيانهم .

أما قضية الألفاظ التي ليست عربية في كتاب الله سبحانه فقد كان للعلماء قديما وحديثا فيها وقفات وعناية تامة ، فمنهم من رأى أن في القرآن كلمات هي في أصلها غير عربية كأسماء الأنبياء وأسماء بعض المسميات كسندس وإستبرق ونمارق وغيرها .

ولكن القرآن لم يستعملها كذلك ، لأن هذه الكلمات قبل نزول القرآن بأزمنة انتقلت إلى العرب فأجرى عليها العرب تعديلات تتفق مع قواعدهم ومقاييسهم اللغوية ، وأخضعوها لمنطقهم اللغوي وشذبوها وهذبوها وصبغوها بالصبغة العربية فأصبحت منسجمة في أوزانها ونطقها مع القواعد والمقاييس العربية . وهذه الكلمات قليلة بالطبع لا كما يصورها بعض المستشرقين أمثال « آرثر جيفري » الذي ألف كتابا سماه (الكلمات الأجنبية في القرآن) .

---

(١) القصص القرآني – إيحاؤه ونفحاته – د / فضل حسن عباس صـ ١٠ – ١١ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٨٠ .

وهؤلاء العلماء أصحاب هذا الرأي مجمعون أن هذه الكلمات لا تخرج القرآن في تراكيبه وأساليبه عن العربية . ولم تخرجه عن كونه بليغا فصيحا معجزا بل لا يستطيع أحد أن يستخدمها بأسلوب القرآن كما استخدمها القرآن الكريم[1] .

أما الرأي الثاني فهو يرى أن هذه الكلمات عربية في أصلها ونشأتها ، تواردت عليها اللغات ، والتشابه بينها لأن أمها واحدة وهي السامية ، ويؤيد هذا القول أن جرس الكلمات في العربية يختلف عنه في اللغات الأخرى ومن هؤلاء العلماء القائلين بهذا الرأي الإمام الشافعي وابن جرير الطبري ، وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس ، وابن عطية ، ومن أقوالهم في هذا الشأن :

قال أبو عبيدة : فمن زعم أن في القرآن غير العربية فقد أعظم القول . وقد نص على هذا القول الإمام الطبري في مقدمة تفسيره ودافع عنه بقوة .

أما بالنسبة للتشابه في الأعلام بين لغات العالم فلا تصلح دليلا للقائلين بوجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم .

كما أن هناك كلمات كثيرة ذكر بعضهم أن أصلها سرياني ، أو حبشي أو نبطي أو غير ذلك مع أن لها أصلا في الاشتقاق العربي .

من ذلك كلمة إبليس فهي مشتقة من مادة (بلس) بمعنى يأس وانقطع من الرجاء . قال تعالى : ﴿ **أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾[2] أي آيسون انقطع رجاؤهم .

وقد رد قول ابن جرير ابن عطية وقد وضح رأيه في هذه المسألة وكان رأيا يمتاز بالدقة والمنهج العلمي حيث قال : [والذي أقوله إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا

---

(١) قضايا قرآنية صـ ٩٥ - ٩٦ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن - للسيوطي ١ / ١٩٥ وما بعدها .
(٢) سورة الأنعام : ٤٤ .

تفهمها إلا من لسان آخر . فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش ، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب وسفر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة في اللغة فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمية ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي ما فلجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » إلى غير ذلك .

فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية من هذا الوجه .

وما ذهب إليه « الطبري » من أن اللغتين اتفقتا في لفظه فذلك بعيد بل أحدهما أصل والأخرى فرع في الأكثر ، لأنا لا ندفع أيضا جواز الاتفاق قليلا شاذا][1] .

والذي يرد مزاعم هؤلاء المستشرقين من أن العرب حافظوا على لغتهم بكل ما منحوا من براعة وقوة . وتتمثل هذه المحافظة بوسيلتين :

١ - بالمحافظة على العربية بحيث لا يتسرب لها ما هو بعيد عنها وأجنبي منها .

٢ - بالمحافظة عليها بالعناية بمفرداتها والرجوع بها لأصل اشتقاقها .

لذا لم يحتجوا بكلام إلا من سلم لسانه من اللحن والعجمة .

---

(١) المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية الأندلسي ١ / ٣٦ - ٣٧ .

وقد وضع العلماء ضوابط لمعرفة أصل أي لفظة ، وأصل اشتقاقها قال الأستاذ العقاد : [فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أهي من الألفاظ الأصلية أم من الدخيل عليها ؟ فلدينا هذا المقياس الحاضر نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة فلا يطول لنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن إليه .

قيل مثلا : إن كلمة « قلم » مأخوذة من « كلموس » اليونانية ، ولا يعزو الأستاذ في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق بل إلى الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين . ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم والتقليم من القلامة في اللغة العربية فنرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى فأصل مادة القاف والميم وما يتوسطها مطردة في الدلالة على الشق والقطع فمنها : قحم ، قرم ، قسم ، قصم ، قضم قطم ، وقلم وهي آخرها .

ونعود إلى الشيء الذي « يقلم » فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ويتخذونه أمام لفظ أصيل في لغة العرب لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية .

وهكذا ممكن معالجة كلمة (قرآن) التي زعموا أن أصلها سرياني فالقاف والراء والحرف المعتل يدل على الجمع كما يقول ابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة) . ومنه القرية وهي التي يجتمع الناس فيها والقرو : وهو الحوض الذي يتجمع فيه الماء وترده الإبل للشرب منه . والقرآن : من هذا القبيل يدل على الجمع حيث تتجمع فيه آيات القرآن الكريم .

الفصل السابع

شبهات المستشرقين حول إعجاز القرآن الكريم :

لما كان إعجاز القرآن الكريم أول دليل على مصدر القرآن الإلهي وبه ثبوت صدق رسالة النبي - ﷺ - لذا وجه المستشرقون له مَعاول هدمهم وتشكيكاتهم بالطعن في ربانية مصدره تارة وفي ترابطه وتناسقه وجمال أسلوبه وبلاغته وفصاحته تارة أخرى ، مرددين ماردده المشركون الأوائل ، ومضيفين لافتراءات أولئك ماأسعفهم به ذكاؤهم وعلمهم ، لذا تعددت أقوالهم وافتراءاتهم حول هذه القضية القرآنية الخطيرة .

وقد اختلف المستشرقون كذلك في القدر المعجز من القرآن الكريم واعتبر « سال » أن من يقول بإعجاز الكلمة والكلمتين منه نوع من الشطط ، وزعم أنه يترتب على هذا اعتبار أن ماجاء به على لسان آخرين هو معجز كما أنه اعتبر أن الإعجاز في سبك معانيه لا في لفظه[1] .

فبالنسبة للمقدار المعجز من القرآن الكريم قد سبق المستشرقين في هذا الاختلاف علماء مسلمون وكانوا على أقوال عدة :

١ - الجمهور اعتبر أن الإعجاز يتحقق بالسورة القرآنية طويلة كانت أو قصيرة . وقد اعتبروا أن هذا القدر هو الذي تؤيده الأدلة القرآنية ، وظاهر مراحل التحدي .

٢ - بعض المعتزلة قال : إن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن الكريم لا ببعضه . وهذا يعارض آيات التحدي بعشر سور أو بسورة واحدة .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .

٣ – ذهبت طائفة أن الإعجاز يتحقق بالقليل والكثير من القرآن الكريم دون التقيد بسورة ، مستدلين بظاهر قوله تعالى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾[١] مفسرين الحديث أنه أي كلام يفيد معنى سواء كان آية أو أكثر أو أقل[٢] .

فمن هنا يظهر لنا جليا أن « سال » قد تبنى رأيا مرجوحا وبنى عليه نتائج يريد تحقيقها ، فعبارته [أنه يترتب عليه أن ما ورد فيه من حكاية قول الآخرين معجز ضاهوا به فصاحة ما يزعم أنه قرآن][٣] .

يريد « سال » أن يؤكد أن في القرآن صنعة بشرية معتمدا على ما حكي على لسان بعض الناس أو المخلوقات في القرآن إخبارا من الله سبحانه وتعالى بما كان يحصل في هذه المواقف بين الرسل وأقوامهم أو غير ذلك من آيات فيما بعد . حيث يظهر لنا أن كل ما بين دفتي المصحف هو كلام رب العالمين . سواء كان على لسان شخص أو سواه .

أما اعتبار « سال » أن الإعجاز في سبك المعاني لا في الألفاظ[٤]. فهذا الرأي غير دقيق لأن كل شيء في القرآن معجز فهو معجز في بلاغته وفصاحته وفي جزالة ألفاظه ، وحسن معانيه وفي نظمه البديع ، باختياره الكلمة ووضعها في المكان الذي تقوم به بوظيفتها على أحسن وجه وأتمه .

لذا فإعجاز القرآن الكريم بلفظ القرآن ومعناه الذي منهما تظهر الصور البلاغية والبيانية البديعة التي تفرد بها القرآن الكريم .

قال عبد القاهر الجرجاني : [أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها ، ومجاري ألفاظها ومواقعها .. وبهرهم أنهم تأملوه .. فلم يجدوا في الجميع كلمة

---

(١) سورة الطور : (٣٤) .
(٢) مباحث في إعجاز القرآن الكريم د / مصطفى مسلم . دار المنارة – بيروت صـ ٣٥ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .
(٤) أسرار عن القرآن صـ ٥١ .

ينبو مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى وأخلق . بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما ، لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء ، موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول ..] إلخ[1] والألفاظ أوعية المعاني .. فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس ، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق[2] .

ولا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه وتتوخى ترتيب المعنى قبل ترتيب الألفاظ .

وإذا كنا ننكر على غير ذوي الاختصاص من أهل اللغة أن يخوضوا فيما لم يعرفوا من أسرار القرآن وبلاغته ، فلنحن أشد إنكارا على أولئك المستشرقين الذين عدموا الذوق العربي والحس اللغوي ، وإشراق الروح وصفاء النفس أن يقحموا أنفسهم في ميدان ليسوا من فرسانه وأهله ليخرجوا على الناس بآراء في قمة الغرابة في إعجاز القرآن الكريم وفي الأسلوب القرآني البديع[3] .

والآن سأعرض لمجمل شبههم التي ارتكزوا عليها في إبطال قضية إعجاز القرآن الكريم من خلال ما ذكر « سال » في هذه القضية في كتابه (أسرار عن القرآن) .

القضية الأولى :

زعم « سال » أن القرآن الكريم ليس آية في الفصاحة والبلاغة بسبب طريقة كتابته وجمعه والتي أدت لسقوط كثير من الآيات منه واضطراب نظام الكثير منها .

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ٣٩ .
(٢) نفس المرجع صـ ٥٢ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٣ – ٣٥ .

هذه الشبهة قد ناقشتها في فصل جمع القرآن الكريم وفصل القراءات القرآنية[1] .

القضية الثانية :

زعموا أن القرآن فيه كلام متعارض مما يدل على أنه ليس من عند الله – سبحانه – في شيء لأن الله لا يعارض نفسه ، ولا ينقض بعض كلامه بعضا ، ومصنف القرآن نفسه يقول عن كتابه أنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ونحن نجد فيه اختلافا كثيرا مما يدل أنه ليس من عند الله[2].
واستدل « سال » لذلك ببعض الأمثلة سأرد عليها بعد قليل – إن شاء الله – .

الجواب :

جاء القرآن الكريم معجزة لنبينا محمد – ﷺ – ليشهد على صدقه وصحة نبوته لذا اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة أمور دالة على صدق محمد – ﷺ – :

١ – فصاحته .

٢ – اشتماله على الإخبار عن الغيوب .

٣ – سلامته عن الاختلاف[3] .

قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾[4] .

فمن تدبر القرآن الكريم وجده سليما من الاختلاف ، لا منافاة ولا مناقضة بين شيء من آياته ومعانيه البتة . مع أنه كتاب كبير مشتمل على كثير من المعاني

---

(١) انظر كتاب دراسات حول القرآن الكريم ، د / إسماعيل الطحان ، طبعة مكتبة الفلاح صـ ٩٨ وما بعدها .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٣٥ .

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ١٠ / ٢٠٢ .

(٤) سورة النساء : (٨٢) .

على نفس الرتبة من الفصاحة لا فرق بين مكيه ومدنيه ، ولا آيات عقائده أو آيات تشريعاته .. إلخ .

فلما كان هذا القرآن نسجا واحدا في فصاحته ، وبلاغته ، ونظمه ، وكان كله بالغا حد الإعجاز علم أنه ليس إلا من عند قادر على مالا يقدر عليه غيره ، عالم بما لا يعلمه أحد سواه ، وهو الله سبحانه وتعالى[1] وعدم وقوف بعض الناس على هذا الجانب في كتاب الله – سبحانه – عائد لعجزهم وضعفهم وقصور علمهم لا لضعف في كتاب الله ، ولا تدافع وتناقض في آياته .

وعلى رأس هؤلاء الذين أعجزتهم فصاحته ، وغلبت أفهامهم بلاغته ، وأبهرهم حسن نظمه ومعانيه ، المبشرون والمستشرقون ، من أجل ذلك نسبوا له التناقض والتدافع والتعارض بين آياته ليدفعوا جانب الإعجاز فيه فبذلوا وسعهم في الاستدلال على زعمهم بأدلة لم يفهموا معانيها و لم يقدروا على الجمع بين آياتها وسأبين وجه الصواب فيها .

المثال الأول :

قال الله تعالى في سورة النحل عن القرآن : ﴿ **لسان عربي مبين** ﴾[2] . والمبين مالا يحتاج إلى تأويل .

فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران[3] أنه فيه آيات متشابهات وأنه لا يعلم تأويله إلا الله[4] .

الجواب :

الآيتان ليس بينهما تناقض فالآيات قسمان :

---

(١) الكشاف ١ / ٥٤٦ .

(٢) سورة النحل : (١٠٣) .

(٣) سورة آل عمران : (٧) وهي قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ﴾ الآية .

(٤) أسرار عن القرآن صـ ٣٥ – ٤٤ .

قسم محكم : وهو البين والواضح الذي لا يحتمل تأويلا وهذا يؤيده آية النحل السابقة .

وقسم متشابه : وهو الذي يحتمل أكثر من وجه وهذا الذي يخفى على كثير من الناس ولا يعلم تأويله إلا العالمون . ويؤيده آية آل عمران قال تعالى : **﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات .. ﴾**[1] فالحكمة اقتضت أن تكون آيات الكتاب قسمين ، قسم يفهمه عامة الناس ، وقسم لا يفهمه إلا العالمون .

والحكمة في تنزيل المتشابه من الآيات لإظهار فضل العلم والعلماء ومن أجل التنافس في تعلم كتاب الله - عز وجل - وابتلاء واختبارا لإيمان الناس **﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾**وأما العالمون المؤمنون به **﴿ يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾** .

قال الإمام الزمخشري : [فإن قلت فهلا كان القرآن كله محكما ؟ قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال . ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به . ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة ، والعلوم الجمة ، ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أنه لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف فيه إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ، ففكر وراجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيمانه][2] .

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .
(٢) الكشاف ١ / ٤١٢ - ٤١٣ .

كما أن الله – سبحانه وتعالى – بين أن في كتابه آيات يحتاج الناس لمن يبينها لهم كبيان رسول الله – ﷺ – لصحابته قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[1] .

وقد وضح ابن عباس – رضي الله عنه – هذا الأمر بقوله : [التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى][2] .

وكان يشكل بعض معاني القرآن الكريم على بعض الصحابة فيلتجئون لبعض علماء الصحابة لتوضيح ما غمض وأشكل عليهم فقد روى البخاري بسنده إلى سعيد أن رجلا قال لابن عباس إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ قال : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾[3] ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾[4] ... فقال ابن عباس : فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .. فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله[5] .

فمن هنا يظهر لنا بطلان شبهة « سال » بما استدل به من تناقض بين هاتين الآيتين .

المثال الثاني :

قال في سورة يونس خطابا لفرعون وقد اتبع بني إسرائيل بغيا حتى أدركه الغرق ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** ﴾[6] .

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .
(٢) تفسير الطبري – طبعة دار المعارف – مصر ١ / ٧٥ .
(٣) سورة المؤمنون : ١٠١ .
(٤) سورة الصافات : ٢٧ .
(٥) صحيح البخاري ٦ / ٣٥ – ٣٦ . كتاب التفسير .
(٦) سورة يونس : ٩٢ .

ويترتب على هذا الكلام أن الله نجى فرعون من الغرق فنقض ذلك بقوله في سورة الإسراء ﴿ **فأغرقناه ومن معه جميعا** ﴾[1] وبقوله في سورة القصص ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** ﴾[2].

فالآية تدل على نجاة فرعون من الغرق بعد ما أشرف عليه حتى يكون آية لمن خلفه من المصريين وهذا هو المعنى الذي أراده القرآن وإن كره المفسرون الذين فسروه أنه ألقى بدنه مجردا من الروح على نجوة ليكون آية لبني إسرائيل ..][3] .

الجواب :

هذه الآيات ليس بينها شيء من التناقض فآيتا سورة الإسراء والقصص صريحتان في موت فرعون غرقا ، أما الآية الثالثة التي وقع فيها اللّبس بالنسبة لـ « سال » فهي موافقة لما في الآيتين من المعنى فهذه الآية جاءت لتصور ما كان في نفوس بني إسرائيل لفرعون من مكانة ومهابة حتى إنهم تصوروا أنه لن يغرق لأنه رب – على حد زعمه – ولم يصدقوا غرقه حتى شاهدوه بأعينهم مقذوفا من البحر على مرتفع من الساحل فكان في ذلك أبلغ العبرة لنصرة الله لهم ، وتأييده للمؤمنين[4] .

فالآية إذن لا توافق فهم « سال » وتعسفه في تفسير النص فيكون معنى ﴿ **لتكون لمن خلفك** ﴾ أي علامة لمن وراءك من بني إسرائيل لأنه طرح على ممرهم من ناحية البحر .

وإذا كان النصارى يمرون بقصة غرق فرعون بصمت ، فإن التوراة قد أشارت لموته فقد جاء في سفر الخروج : [.. فإن ضل فرعون دخلت بمركباته

---

(١) سورة الإسراء : ١٠٣ .

(٢) سورة القصص : ٤٠ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٦ .

(٤) الكشاف ٢ / ٢٥٢ .

وفرسانه إلى البحر ، ورد الرب عليهم ماء البحر ، وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر][1] .

وجاء في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر : [.. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر . فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج قد هبطوا في الأعماق كحجر ..] .

وفي عبارة أخرى : [كالرصاص في مياه غامرة][2] .

فهذا يؤكد ما جاء في القرآن الكريم حيث أشارت التوراة لغرقهم وعلى رأسهم فرعون الذي كان على رأس جيشه ، كما أشارت أنهم ترسبوا في قاع البحر كالرصاص أو الحجارة التي تستقر في قاع البحر ولكن القرآن هو الذي انفرد بالإشارة لطفو جثة فرعون وإلقائه على ساحل البحر على نجوة من ممرهم لتتحقق الآية في ذلك وهو قدرة الله سبحانه وتفرده في ربوبيته وبطلان دعوى فرعون أنه « رب » .

وقد أكد العلم الحديث صدق ما ورد في القرآن الكريم حيث اكتشف علماء الآثار في أواخر القرن التاسع عشر جثث الفراعنة في وادي الملوك في « طيبا » في الضفة المقابلة للأقصر من النيل في مصر ومن بينها جثة فرعون الخروج واسمه « منفتاح » ابن رمسيس الثاني الذي هو فرعون الاضطهاد ، وقد احتفظ بجثة فرعون هذا في صالة المومياء الملكية في المتحف المصري في القاهرة[3] .

وقد قام الأستاذ « موريس بوكاي » مع مجموعة من الأطباء بفحص جثة فرعون فحصا تشريحيا قانونيا ليخرجوا بنتيجة مذهلة وهي وفاة فرعون غرقا ، ونجاة جثته من الرسوب في قاع البحر إلى الطفو والإلقاء على الساحل لتكون آية لمن يأتي بعده من أهل القرآن مخالفا في ذلك لفهم « سال » والأستاذ

---

(١) الكتاب المقدس – سفر الخروج – الإصحاح الرابع عشر .

(٢) الكتاب المقدس – سفر الخروج – الإصحاح الخامس عشر .

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم – موريس بوكاي طبعة دار الكندي صـ ٢٠٤ .

« كوروايبه » الأستاذ في المدرسة التوراتية في القدس حيث قال : [أشار القرآن السورة العاشرة آية ٩ - ٩٢] إلى ذلك فرعون مع جيشه قد غرق حسب الأعراف الشعبية [وهو مالم يقله النص المقدس] واستقر في عمق البحر وتحت سلطة أركان بحريته « الفقمة »[1] .

والنص كما في التوراة [.. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر سوف تغطيهم اللجج . قد هبطوا في الأعماق كحجر .. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر][2] .

ولكن أين كلام « سال » و « كوروايبه » من كلام الأستاذ « بوكاي » الذي ختم بحثه القيم بقوله عن فرعون [.. الإنسان الذي عرف موسى ، وقاوم عروضه ، ولاحقه في هربه ، ثم فقد حياته في ذلك .

وقد نجت جثته بإرادة الله من العدم ، وأصبحت آية للناس كما قد سجل القرآن ذلك .

يالها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية ، تلك المختصة بجسد فرعون المعروض في صالة المومياءات الملكية للمتحف المصري في القاهرة ، والتي تقدم لكل باحث في معطيات الاكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة][3] .

المثال الثالث :

جاء في سورة البقرة : **﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾**[4] وهذا تصريح بأن من عمل صالحا من أهل الكتاب فهو ناج .

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم صـ ٢٠٣ .

(٢) انظر سفر الكتاب المقدس - سفر الخروج الإصحاح (١٥) .

(٣) المرجع السابق صـ ٢٠٦ .

(٤) سورة البقرة: ٦٢ .

وقال فيها أيضا : ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[1] وهذا حظر صريح عن إكراه الناس على الدخول في دين لا يريدون الدخول فيه .

فنقض ذلك بقوله في سورة آل عمران : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] .

وبقوله في سورة براءة[3] وسورة التحريم : ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[4] .

وبقوله في سورة البقرة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾[5] والمراد بالفتنة هنا كل دين خالف الإسلام[6] .

الجواب :

هذه الآيات جميعها لا تَناقُضَ بينها وإنما تسير مع مرحلية الإيمان والجهاد فالآية الأولى : ﴿ **إن الذين آمنوا ....** ﴾ الآية . تدل على أن العبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم ، وذلك طبعا قبل البعثة المحمدية أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير وهو الإيمان برسالة سيدنا محمد - ﷺ - وقبول الدين الذي جاء به وهو الإسلام وعدم اختيار غيره وهذا ما قررته سورة آل عمران التي أشار لها « سال » وهي قوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ..** ﴾ وذلك لأن دينه ناسخ لما قبله من الأديان ، ورسالته خاتمة الرسالات ، لذا قرر سبحانه أن لا قبول لدين ولا لمعتقد بعد رسالة الإسلام إلا للإسلام فلا تعارض إذن بين الآيتين . فالأولى شكل الإيمان قبل البعثة المحمدية

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .
(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .
(٣) سورة براءة : ٧٣ .
(٤) سورة التحريم : ٩ .
(٥) سورة البقرة : ١٩٣ .
(٦) أسرار عن القرآن صـ ٦٢ .

والثانية تحديد شكله الأخير بعد البعثة المحمدية . اهـ .[1] .

أما الآيات اللاحقة قوله تعالى : ﴿ **لاإكراه في الدين** ﴾ والآيات الأخرى فقد وقف المستشرقون منها على طرفي نقيض فبعضهم وعلى رأسهم « جرجس سال » يثير أن الإسلام فرض بالسيف في الوقت الذي قرر فيه : أن لا إكراه في الدين ليوحي أن القرآن متناقض ، والإسلام مضطرب في تصرفاته وبعضهم وعلى رأسهم « سيرت » و « أرنولد » صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام) يتظاهر بأنه يدفع عن الإسلام هذه التهمة ، وهو يحاول في خبث أن يخمد في حس المسلم روح الجهاد ، ويهون من شأن هذه الأداة في تاريخ الإسلام وفي قيامه وانتشاره . ويوحي إلى المسلمين - بطريق ملتوية ناعمة ماكرة - أن لا ضرورة اليوم أو غدا للاستعانة بهذه الأداة وذلك كله في صورة من يدفع التهمة الجارحة عن الإسلام[2] .

وهؤلاء وهؤلاء كلاهما من المستشرقين الذين يعملون في حقل واحد في حرب الإسلام .. لقد انتضى الإسلام السيف ، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحدا على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد :

١ - جاهد الإسلام ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم . وقد كان المسلمون يسامون الفتنة من أجل عقيدتهم ويؤذون ، فقد شهدت كثير من البلاد الإسلامية تعذيبا وحشيا وتقتيلا جماعيا قديما وحديثا من أعداء دينهم كما حصل في الأندلس ، وفلسطين ، والفلبين ، وغيرها من بلاد المسلمين ، فكان لابد لهم أن يدفعوا هذه الفتنة بالجهاد .

٢ - جاهد الإسلام لتقرير حرية الدعوة والعقيدة ، فلا إكراه على عقيدة الإسلام فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول

---

(١) انظر في ظلال القرآن - سيد قطب ١ / ٢٩٠ وما بعدها طبعة دار الشروق .
(٢) نقلا عن (في ظلال القرآن) ١ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة ، كما جاء من عند الله للناس كافة .

٣ - جاهد الإسلام ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه .. الذي يحفظ للإنسان الحرية التامة في جميع أشكالها وصورها والذي يجعل الإنسان عبداً لله وحده ، لا لغيره من بني البشر .

لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناق عقيدته ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريده بعض أعدائه ويتهمونه فالإسلام إنما جاهد ليقيم نظاما آمنا يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعا ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته(١) .

وعندما شرع لهم الجهاد طلب منهم عدم الابتداء بالاعتداء قال تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾(٢) .

فالجهاد إذن أول ما شرع له هو حماية الناس في دينهم وأن لا يتعرضوا لصرف عنه بالقوة والاعتداء والافتتان وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾(٣) .

ولابد أن يكون الردع حاسما وقويا لكل الأعداء سواء كانوا من خارجه كالكفار أو من داخله كالمنافقين وهذا ما قررته الآية الكريمة ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾(٤) إذن فلا تعارض بين هذه الآيات جميعا .

المثال الرابع :

قال في سورة فصلت : ﴿ **أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في**

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .
(٢) سورة البقرة : (١٩٠) .
(٣) سورة البقرة : (١٩٣) .
(٤) سورة التحريم : (٩) .

يومين .. – إلى أن قال – وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾[1] .

فهذا الكلام يتحصل منه أمران :

أحدهما : أنه خلق الأرض والسموات في ثمانية أيام .

والآخر : أنه خلق السماء بعد الأرض لا قبلها لكن الأول منقوض في سبعة مواضع من القرآن بما معناه أنه خلقهما وما بينهما في ستة أيام لا في ثمانية أيام .

والثاني : منقوض بقوله في سورة النازعات : ﴿ **ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾[2] فهذا يثبت التناقض في القرآن الكريم[3] – على حد زعم « سال » – .

الجواب :

إن الله سبحانه أضاف اليومين اللذين دحى فيهما الأرض ، وأخرج منها ماءها ومرعاها إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض فصارا أربعة أيام[4] .

وعلى هذا فيكون يوما خلق الأرض من جملة الأربعة بعدهما . والمعنى في تتمة أربعة أيام وهي مع يومي خلق السموات ستة أيام . وتفصيلها يوما الأحد والإثنين لخلق الأرض ، ويوما الثلاثاء والأربعاء للجعل المذكور في الآية ويوما

---

(١) سورة فصلت : (١٠ – ١٢) .

(٢) سورة النازعات : ٢٧ – ٣٠ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٣٩ .

(٤) كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة – تحقيق عبد الوهاب المشهداني صـ ٤١٣ ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الخميس والجمعة لخلق السموات[1] ومثال هذا كما يقول : سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ، وسرت إلى الكوفة في خمسة عشر يوما وهو يعني خمسة عشر مع العشرة التي سار فيها من البصرة إلى بغداد فيخبر فيها عن جملة الأيام وقع فيها السير مجتمعة[2] .

أما شبهته الثانية :

من كون السماء خلقت بعد الأرض لا قبلها مخالفة آية النازعات : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ .

الجواب :

إن الله سبحانه خلق جرم الأرض غير مدحوة ، ثم خلق السماء ، ثم دحا الأرض بعد خلق السماء لذا قال سبحانه : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ .

وفي إجابة ابن عباس للرجل الذي أخبره أن في القرآن أشياء تختلف عليه ذكر منها قوله تعالى : ﴿ **أم السماء بناها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **دحاها** ﴾ فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال ﴿ **أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى .. طائعين** ﴾ .

فذكر خلق الأرض قبل السماء .

أجاب ابن عباس – رضي الله عنهما – : [أنه خلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله : ﴿ **دحاها** ﴾] .

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن – لأبي يحيى زكريا الأنصاري تحقيق الشيخ الصابوني طباعة دار القرآن الكريم – بيروت صـ ٥٠٤ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات للأردستاني – دار الآفاق الجديدة بيروت صـ ٤١٦ .

فلا تعارض بين آيات القرآن الكريم لذا كان آخر وصية ابن عباس – رضي الله عنهما– للرجل بقوله: [فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله][1].

ولكن أي اختلاف يظن وقوعه في القرآن فمرده لقصور فهم الإنسان وعدم قدرته على الجمع بين آيات الله سبحانه وهذا هو حال هؤلاء المستشرقين .

المثال الخامس :

النسخ :

الشبهة الأولى :

زعم « سال » وغيره [أن في القرآن آيات متناقضة يحتج المسلمون عنها بحجة النسخ ويدفعون ذلك بقولهم : إن الله أمر بأشياء كثيرة في القرآن إلا أنها نسخت بعد ذلك لعلة أوجبت نسخها][2] .

الجواب :

تعريف النسخ : النسخ هو رفع التلاوة أو الحكم الشرعي أو هما معا بخطاب شرعي .

فالناظر في شبه المستشرقين حول موضوع النسخ يجدها ناتجة لعدم فهمهم لطبيعة هذا الدين ، ولحكمة الشارع من النسخ .

ونظرية النسخ لم ينفرد بها الإسلام العظيم وإنما ذكرت كذلك في اللاهوت اليهودي واللاهوت المسيحي ومع هذا لم نر واحدا منهم نسب الاضطراب للتوراة ولا للإنجيل .

فالتوراة مثلا نسخت أمورا كثيرة منها :

(١) صحيح البخاري ٦ / ٣٥ – ٣٦ كتاب تفسير القرآن .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ، ومقدمة على القرآن – بلاشير ٢٤٢ .

إباحة تزوج الإخوة بالأخوات الذي كان مرخصا به في تشريع آدم – عليه السلام – للضرورة الوقتية حيث قالت : « عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولود خارجا لا تكشف عورتها »[1] .

وفي الإنجيل فقد ذكر نسخ إباحة الطلاق كما كان ذلك في الشريعة الموسوية بأي سبب كان زنا أو غيره ، وكما نسخ إباحة تزوج المطلقة ففي التوراة : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء كتب لها كتاب الطلاق ، ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته . ومتى خرجت ذهبت وصارت لرجل آخر »[2] .

فحرم الإنجيل الطلاق إلا بعلة الزنا ، وحرم تزوج المطلقة قال إنجيل متى : « وقيل من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني »[3] .

فمن رحمة الله سبحانه بالإنسانية أن جعل النسخ من التشريعات الإسلامية رحمة ورفقا وتخفيفا واستجابة لتطلعات الدعوة الإسلامية الرشيدة وإلى غير ذلك من الحكم . فالنسخ جاء ليتمشى مع نمو وترقي الأمة الإسلامية من مراحلها الأولى للمراحل الختامية التي تليق بها كأمة قيادية .

فمثلا قد جاء التدرج بحكم الخمر على مراحل أربع ، متدرجا به بما هو ميسور للنفس لما هو ترك بالكامل ليسهل للنفوس الانقياد والامتثال والصبر على تركه فالأجر العظيم على الطاعة في تنفيذ شرع الله سبحانه وأحكامه .

أما إذا كان النسخ من الصعب للسهل فذلك للتخفيف على الناس ، ورحمتهم وإظهار تفضله عليهم : ليزيد حبهم لهذا الدين العظيم الذي يرفع عنهم الإصر والأغلال . أما إذا كان النسخ واقعا بنفس الدرجة بين الناسخ والمنسوخ

---

(١) الكتاب المقدس – سفر اللاويين – الإصحاح الثامن عشر .

(٢) سفر التثنية – الإصحاح الرابع والعشرين .

(٣) إنجيل متى – الإصحاح الخامس – فقرة (٣٢ – ٣٣) .

فالحكمة في ذلك من أجل ابتلاء واختبار الإيمان ليميز الله المؤمن الصادق من دعي الإيمان . أما إذا كان النسخ في الحكم دون التلاوة فذلك ليعرف الناس أن هذا الدين حق وأنه منزل من الله سبحانه ، زيادة على ذلك ما يكتسبه القارىء لهذه الآيات من الأجر والثواب ، ومعرفة ما حوته هذه الآيات المنسوخة من بلاغة وحسن بيان . ومن قيام معجزات بيانية أو علمية أو سياسية بها إلى غير ذلك من فوائد .

أما حكمة نسخ التلاوة مع إبقاء الحكم .

فحكمته تظهر في كل آية بما يناسبها فمثلا فالآية المشهورة عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب - رضي الله عنهما - قالا : كان فيما أنزل من القرآن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » .

فالحكمة في نزولها أن فيها ردعا شديداً لمن تحدثه نفسه من الشيوخ أن يتلطخ بهذه الجريمة الشنعاء حتى إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس نسخ الله تلاوة هذه الآية وأبقى حكمها لحكمة أخرى وهي للإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة ، حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر فضلا عن أن يفعل ، وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل الذي لا يقع ، كأنه قال : نزهوا الأسماع عن سماعها ، والألسنة عن ذكرها فضلا عن التلوث برجسها[1] .

فمن هنا يظهر أن النسخ لم يكن من أجل الفرار من ظاهرة التناقض في القرآن الكريم كما زعموا ولا ضياع شيء من القرآن الكريم ولكنه شُرع لحكم وفوائد خفيت على هؤلاء المستشرقين .

الشبهة الثانية :

ذكر « سال » كلاما يوحي أن القرآن الكريم يقول بنسخ الأخبار حيث

---

(١) انظر مناهل العرفان ٢ / ٩٠ - ٩٣ .

قال : [وإن قلنا تساهلا أنها قد تجوز في الأحكام بالشروط التي ستقف عليها فلا تجوز في الأخبار أبدا ، لأن الخبر لا يقبل النسخ ، وإنما هو أمر جرى على وجه معين ، فإن جعلته على وجهين مختلفين فلابد من أن يكون أحدهما كاذبا][1] .

الجواب :

هذا الكلام الموهم أن في القرآن الكريم أخبارا نسخت مع أنه من المعلوم من أقوال العلماء سلفا وخلفا أن الأخبار لا تنسخ .

فهذا الإمام مكي بن أبي طالب – رحمه الله – ينص على ذلك حيث يقول :

« فأما ما لايجوز نسخه فهو كل ما أخبرنا الله تعالى عنه أنه سيكون أو أنه كان أو وعدنا به ، أو قص علينا من أخبار الأمم الماضية ، وما نص عليه من أخبار الجنة والنار ، والحساب والعقاب ، والبعث والحشر ، وخلق السموات والأرضين ، وتخليد الكفار في النار والمؤمنين في الجنة ، هذا كله وشبهه من الأخبار لا يجوز نسخه لأنه تعالى يخبر عن الشيء على غير ما هو به ، وكذلك ما أعلمنا به من صفاته لا يجوز في ذلك كله أن ينسخ ببدل منه ، فأما جواز أن ينسخ ذلك كله بإزالة حفظه من الصدور ونعوذ بالله من ذلك ، فذلك جائز في قدرته تعالى يفعل ما يشاء »[2] .

وقال ابن الجوزي : « فأما الأخبار فعلى ضربين :

الأول : ما كان لفظه لفظ الخبر ، ومعناه معنى الأمر كقوله تعالى :

﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾[3] فهذا لاحق بخطاب التكليف في جواز

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤١ .

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه – لمكي صـ ٥٧ .

(٣) سورة الواقعة : ٧٩ .

النسخ عليه .

والثاني : الخبر الخالص فلا يجوز عليه ، لأنه يؤدي إلى الكذب وذلك محال .

وقد حكي جواز ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والسدي وليس بشيء يعول عليه .

وقال أبو جعفر النحاس : وهذا القول عظيم جدا يؤول إلى الكفر لأن قائلا لو قال : قام فلان ثم قال : لم يقم ، فقال : نسخته ، لكان كاذبا .

وقال ابن عقيل : الأخبار لا يدخلها النسخ ، لأن نسخ الأخبار كذب وحوشي القرآن من ذلك . اهـ[١] .

وقد ذكر الأستاذ على حسن العريض أن الجمهور لا يجيزون النسخ في الأخبار سواء كانت ماضية أو مستقبلة : والنسخ يجري في واجبات العقول . بل في جائزاتها . والخبر من الواجبات المؤكدة والنسخ فيه يؤدي للكذب[٢] .

فالنسخ في الاخبار أمر لا يتصوره العقل وقد وقع بإجازته خطأ بعض العلماء والمفسرين[٣] ومن أجازه من العلماء أرادوا منه المعنى اللغوي لا الاصطلاحي . أو بعض العلماء الذين أرادوا بالأخبار ما فيه الأمر والنهي .

فمن هذا يظهر جليا أن القول الراجح عدم دخول النسخ في الأخبار مما يجعل كلام « سال » لا يُراد منه إلا التشكيك في عظمة هذا القرآن وحفظه من التبديل والتغيير .

القضية الثالثة :

نسب « سال » للقرآن الكريم الغلط في بعض الحوادث التاريخية وأسماء

---

(١) نواسخ القرآن – لابن الجوزي ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت صـ ٢١ – ٢٢ .
(٢) فتح المنان في نسخ القرآن – طبعة مكتبة الخانجي بمصر ط ١ ١٩٧٣ م صـ ٦١ – ٦٢ (بتصرف) .
(٣) مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح صـ ٢٧٠ .

مشاهير رجالها وجهله من أمور الطبيعة ما لاينبغي جهله . كل ذلك يدل على أنه ليس من الله في شيء[1] .

وضرب لذلك مجموعة من الأمثلة منها :

المثال الأول :

تسمية القرآن لأبي إبراهيم « آزر » مع أن اسمه « تارح » .

الجواب :

زعم « سال » أن اسم أبي إبراهيم – عليه السلام – هو « تارح » ولكنه لم يقدم لنا دليلا واحدا صحيحا أنه لا يحتمل إلا هذا الاسم . كما أنه لم يذكر لنا مرجعا إلا التوراة وقد بيَّنت في باب المصادر ما أصاب التوراة من تحريف وتبديل ونقص إلى غير ذلك من العيوب التي تفقدها أهلية التوثيق إذا انفردت .

ونحن نقرر أن القرآن هو المصدر الموثوق به بشهادة التاريخ والواقع والعلم الحديث وقد سماه « بآزر » .

وعلى فرض صحة رواية التوراة فيمكن تبريرها بما يلي :

١ – أن يكون لأبي إبراهيم اسمان الأول « آزر » والثاني « تاريخ » أو اسم ولقب « فآزر » اسم و « تارح » لقب . وهذا قول الحسن من المتقدمين .

٢ – أن يكون نطق « آزر » في العبرية « تارح » والأعلام قد يختلف بها بين اللغات اختلافا جوهريا « كشاول » في التوراة هو « طالوت » في العربية » و « مكة » « أم القرى » في العربية يطلق عليها « فاران » بالعبرية مع أن المسمى واحد .

وهكذا فلا حجة لـ« سال » فيما زعمه .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٤ .

المثال الثاني :

دعا مريم العذراء بنت عمران وأخت هارون وهي في الإنجيل بنت هالي وبين مريم العذراء وعمران أبي موسى ألف وستمائة سنة[1] .

الجواب :

كما قلت في المثال السابق أن « سال » لم يأت بدليل صحيح واحد لزعمه سوى الإنجيل . والأناجيل فيها كذلك من الاضطراب الشيء الكثير حتى في نسب من ينبغي أن لا تخطيء فيه وهو عيسى – عليه السلام – وهذا واضح لكل مدقق فيها .

فإنجيل متى مثلا ذكره باسم يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان ابن اليعازر .

وإنجيل لوقا سماه يسوع بن يوسف النجار بن هالي .

وغير ذلك من الأخطاء التي توسعت فيها في « باب المصادر » مما يفقدها الأهلية لأن تقف أمام دقة القرآن فيما جاء فيه من أخبار تاريخية على قلتها .

والقرآن الكريم لم يعتن بهذا الجانب التاريخي إلا بما يحقق غرضه من إنزاله للبشرية أن تكون للعبرة والعظة وأخذ دروس في الهداية منها لا غير . هذا كله من جهة .

ومن جهة أخرى من الذي قال « لسال » : إن القرآن يعتبر « عمران » أبا لمريم ولموسى – عليهما السلام – .

لا .. بل العمرانان مختلفان وإن اتفقا في الاسم ..

فعمران أبو مريم – عليهما السلام – اسمه : عمران بن ماثان بن أسعازار ابن أبي يود بن يوزن .. بن يهوذا بن يعقوب – عليه السلام – .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٥ .

وعمران أبو موسى وهارون – عليهما السلام – اسمه عمران بن يصهَر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب – عليه السلام – وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة[1] .

وكذلك على سبيل المثال فإنجيل متى اعتبر المسيح من أولاد سليمان بن داود أما إنجيل لوقا فاعتبره من أولاد ناثان بن داود . وإنجيل متى اعتبر آباءه إلى جلاء بابل سلاطين مشهورين أما لوقا قال إنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

وفي إنجيل متى عدد الرجال بين المسيح وداود ستة عشر رجلا أما في إنجيل لوقا فعددهم واحد وأربعون رجلا .. إلخ .

وهكذا من الاختلافات والاضطرابات التي تفقد الأناجيل الثقة في أن تكون وثيقة تاريخية يرجع إليها[2] .

وقد كان عمران أبو مريم – عليهما السلام – رجلا عظيما بين علماء بني إسرائيل وقد توفى وابنته مازالت صغيرة ، فكفلها زوج خالتها زكريا – عليه السلام – وهو المذكور في سورة آل عمران .

لذا فما اعتمد عليه « سال » في تخطئة القرآن الكريم على أساسه ليس بحجة له . فيجب أن يدرك « سال » وزمرته أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظ من التبديل والتغيير والأخطاء لأنه سيد الكتب وخاتمها وقائد البشرية لنهاية الحياة الدنيوية وهو المحفوظ من الله عز وجل . لكن أنى للقلوب الحاقدة أن تدرك نور الإسلام وعظمة القرآن الكريم .

المثال الثالث :

تعرض القرآن لتاريخ الإسكندر وقد دعاه بذي القرنين : وقال عنه أنه بلغ

---

(١) انظر تفسير البيضاوي صـ ٧١ .

(٢) قصص الأنبياء – النجار صـ ٣٧٣ – ٣٧٤ .

قوما لا يفقهون قولا وأنه بنى سدا من زبر الحديد وغير ذلك مما لا حقيقة له أصلا . وقد اعتمد « سال » في تخطئته للقرآن الكريم على ما كتب قبله من معلومات تاريخية عن ذي القرنين[1] .

الجواب :

القرآن الكريم كتاب هداية قبل أن يكون كتاباً تاريخيا . لكن مع هذا فمع ما جاء فيه من أمور تاريخية مع قلتها يعتبر من أدق وأوثق الكتب في ذلك . كيف لا وهو كتاب عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم .

وقصة ذي القرنين قد اختلف فيها المؤرخون والعلماء والمفسرون اختلافا بينا :

فمنهم من أرجع تاريخه إلى ما قبل الرسول - ﷺ - بثلاثمائة سنة . ومنهم من أرجعه إلى ما قبل ذلك بألفي سنة إلى غير ذلك ومنهم من اعتبره الإسكندر الأكبر ، ومنهم من اعتبره شمّر الحميري ، ومنهم من عده كورش الأخميني الفارسي ، ومنهم من اعتبر السد الذي بناه هو سور الصين العظيم ، ومنهم من قال : بل هو سد مأرب إلى غير ذلك .

ولكن المحققين من علماء الإسلام ومؤرخيهم كالأستاذ « أبو الكلام أزاد » وغيره[2] اعتبره كورش الأخميني الفارسي ، وهو ما يسميه اليونانيون « سائرس » وتسميه اليهود « خورس » أو « كورش »[3] كما في التوراة ويذكره مؤرخو العرب باسم « كيخسرو » ورجحوا ظهوره سنة ٥٥٩ ق.م . و « كورش » هذا كان رجلا موحدا صالحا مؤمنا بالبعث ، على الدين الصحيح لزرادشت .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٦ .

(٢) يسألونك عن ذي القرنين صـ ١٢٦ وما بعدها طبعة دار الشعب - القاهرة .

(٣) الكتاب المقدس سفر أشعيا الإصحاح (٤٥) .

كما أنهم رجحوا أن السد الذي بناه موجود للآن بنفس المواصفات القرآنية في إقليم جورجيا السوفياتية المسمى « إقليم داغستان » في مضيق داريال الواقع في جبال القوقاز بين مدينتي دريند وخوزار .

أما الأقوام التي كانت تعبث في الأرض فساداً وسموا بـ « يأجوج ومأجوج » فهم على الأرجح المغول والتتار الذين ما قطع تحركاتهم نحو الغرب إلا هذا السد[1] .

وكما قلت وليس من مهمة القرآن الكريم كل هذه التفاصيل ولا غيرها ، لأن المهم موطن العبرة والعظة من القصة مع الحق والموضوعية والصدق في معلوماته .

أما نسبة « سال » للقرآن الكريم أنه ذكر أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني فلا يصح . ولعل الوهم جاء لـ « سال » من ترجيحات بعض المفسرين الذين تباينت أقوالهم فيه وتعارضت . والحجة على القرآن بنصه لا بشروحات الشارحين وتفسيرات المفسرين .

فهذه القصة بحد ذاتها معجزة من معجزات الإسلام العظيم ودليل على صحة نبوة نبينا محمد - ﷺ - وصدق رسالته . لأنه نبي أمي لم يقرأ الكتب فمن الذي أخبره عن هذا السد العظيم وبانيه وقد صدقه العلم الحديث بعد قرون طويلة سوى الله - جل في علاه - .

القضية الرابعة :

إن وجود اللغو فيه يدحض دعواهم له بأنه كله بيان وهدى وأنه كلام الله تعالى كالحروف المقطعة في أوائل السور[2] .

---

(١) انظر كتاب يسألونك عن ذي القرنين صـ ١٤٢ وما بعدها ، وكتاب مفاهيم جغرافية في القصص القرآني - قصة ذي القرنين - د / عبد العليم خضر - دار الشروق بجدة صـ ٣٢٢ وما بعدها وكتاب الأساس في التفسير جـ١ صـ ٣٢١٩ - ٣٢٣٣ للأستاذ سعيد حوى .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٤٧ - ٤٨ .

هذه النقطة قد رددت عليها وبينت ما أشكل على « سال » وغيره فيها في موطن آخر من الرسالة .

القضية الخامسة :

زعمهم أن القرآن الذي يعتبره صاحبه معجزة في الفصاحة والبلاغة قد نفى بالتضمين صفة الإعجاز عن كلامه .

كما أن محمدا نفسه جاء بكلام يضاهي في فصاحته كلام القرآن كقصة سورة النجم[1] .

الجواب :

هذه الافتراءات التي ذكرها « تسدال » خلاف الحقيقة والقرآن الكريم ينقضها . وقوله : [إن قائل القرآن ما كان يرى أنه معجزة] قول عار عن الصحة ، فالقرآن الكريم منذ أن نزل للعرب دعاهم للتوحيد وترك ما ورثوه من عقائد فاسدة ، فلما لم يستجيبوا سفه أحلامهم ، واستثارهم بكل عناصر التحدي واستدرجهم لحلبة الصراع فعجزوا واستسلموا قال تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[2] فقد بلغ بهم الغيظ من مقالته حدا تركوا معه أحلامهم الراجحة ، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة حتى واجهوه بكل قبيح .. فلما أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها .. وبهرهم أنهم تأملوه .. فلم يجدوا كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح منها أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور[3] فأعلنوا له بالإذعان والاستسلام واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٤٩ .

(٢) سورة البقرة : (٢٣) .

(٣) دلائل الإعجاز – الجرجاني صـ ٣٩ ، ٥٧٩ .

واعترف عقلاؤهم أنه مما لا يقدر عليه البشر .

قال الوليد بن عقبة عندما سمع شيئا منه من النبي - ﷺ - [والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر][1] .

أما ما ذكره « سال » من أن القرآن نفسه تضمن نفي صفة الإعجاز عن كلامه يريد من ذلك بعض الآيات التي يفهم معناها أو حملها على غير مرادها من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾[2] .

وهذه الآية هي مقولة النضر بن الحارث قالها عندما جاء بأخبار ملوك فارس يقرأها على قريش زاعما أنها مثل ما يذكره محمد من قصص الأولين .

فقوله : ﴿ **لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ . يدل على أنه ما شاء ذلك القول وما قال . فثبت أن النضر أقر أنه ما أتى بالمعارضة . وإنما أخبر أنه لو شاءها لأتى بها وهذا ضعيف . لأن المقصود إنما يحصل لو أتى بالمعارضة ، أما مجرد القول فلا فائدة فيه[3] .

فلو كانوا جادين وصادقين في دعواهم في استطاعتهم الإتيان بمثله لأتوا وكفوا أنفسهم مؤونة القنا والحروب والدماء بسطر واحد كالقرآن العظيم ، ولكنهم ، لما لم يفعلوا ولن يفعلوا عُلِم أن قولهم ادعاء لا رصيد له من الواقع .

أما زعمه [أن محمدا نفسه جاء بكلام يضاهي في فصاحته كلام القرآن] مستدلا على ذلك بقصة الغرانيق .

١ - هذا الكلام خال من الصدق والصحة ، والرسول - ﷺ - لم

---

(١) نفس المرجع صـ ٥٨٥ .
(٢) سورة الأنفال : (٣١) .
(٣) التفسير الكبير ٨ / ١٦١ - ١٦٢ .

ينسب شيئا منه لنفسه ، فمع سمو كلام رسول الله - ﷺ - في الحديث النبوي أو الأحاديث القدسية ورصانة ألفاظه وبلوغه قمة الفصاحة والبلاغة حيث هو الذؤابة من قريش وأوتي جوامع الكلم .

فمع هذا كله لا يمكن أن يصل لمستوى القرآن الكريم . فالقرآن معجز عجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله . لكن الحديث النبوي الشريف إن أعجز عامة الناس الإتيان بمثله فلا يعجز بعض خاصتهم الإتيان بأسطر منه . خاصة إذا انضم له معين وظهير . فإن عجز مع الظهير والمعين فلن يعجز الإنس والجن مجتمعين . بعكس القرآن الكريم فلن يستطيع أحد من الإتيان بمثله ولو انضم بعضهم لبعض ظهيرا .

ولله در « الجاحظ » في وصفه لكلام رسول الله - ﷺ - : [هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف .. استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُدّ بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه : وغشاه بالقبول ، وجمع بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، هو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكان الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يستعمل المؤاربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطيء ولا يعجل ، ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه - ﷺ -] [1] .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي جـ ٢ صـ ٢٨٢ - ٢٨٣ .

ولا شك أن رسول الله - ﷺ - كان أفصح العرب ونشأ في بني سعد ابن بكر فأخذ عنهم الفصاحة والبلاغة ونال من هواء ديارهم صفاء الذهن وسلامة الفطرة .

٢ - إننا نجد كلام بعض الصحابة والتابعين مشابها للحديث النبوي الشريف حتى لنسمع الحديث فيشبه علينا أمره أمرفوع هو أم قول للصحابي أو التابعين .

أما القرآن الكريم فلا تجد له شبها ولا مثيلا ، ولا يلتبس بغيره ، حتى يميزه الأعجمي عن غيره لميزاته الخاصة به .

٣ - إن القرآن الكريم لو كان كلام محمد - ﷺ - كالحديث الشريف لكان أسلوبهما واحدا لصدورهما عن شخص واحد ، استعداده واحد ، ومزاجه واحد ، وقدراته واحدة ، لكن الواقع غير واحد .

فأسلوب القرآن ضرب وحده تظهر عليه سمات الألوهية التي تجل عن المشابهة والمماثلة ، أما أسلوب الحديث النبوي الشريف فليس من هذا القبيل . فهو يعلو أساليب البشر بجملته لا بتفصيله ، ولا يستطيع أن يصعد إلى السماء إعجاز القرآن الكريم[١] .

٤ - لو كان هذا القرآن من صنع محمد - ﷺ - لما نسب هذا الفضل لغيره ليصل به إلى رقاب الناس وإخضاعهم له .

٥ - لو صح هذا الزعم لعم عنه وانتشر ونسب إليه ممن كان يعرفه حق المعرفة ومن هو ألصق الناس به . ولاستغل أعداؤه هذه المسألة ونشروها ، لاسيما أنهم كانوا يتصيدون له أقل من هذا ليواجهوه به .

أما قصة سورة النجم والتي تسمى قصة الغرانيق التي استدل بها « سال »

---

(١) مناهل العرفان ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٨ .

وغيره فهي قصة مكذوبة وقد ناقشتها في غير هذا الموطن من الرسالة[1] .

شبهة :

زعمه أن في القرآن كلاما لبعض الصحابة كأبي بكر وعمر وعبد الله بن أبي السرح وغيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم -[2] وأتى على ذلك ببعض الشواهد منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾[3] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[4] .

٣ - واستشهد بموقف عبد الله بن أبي السرح وأنه كان يغير خواتيم الآيات .

الجواب :

يريد « سال » أن يؤكد من هذه الأدلة أن القرآن دخلته الصنعة البشرية فليس بكلام الله سبحانه ، فليس إذن بمعجز .

فآية آل عمران كان شبهته فيها أنها نزلت في وفاة رسول الله وفيما إذا تعرض للموت كبني البشر . فظن أنها نسبت نزولها له بعد وفاته فإذا لابد أن تكون من قول غيره من قول أبي بكر - رضي الله عنه - .

مع أن هذه الآية على عكس ظن « سال » فإن نزولها كان يوم أحد عندما تعرض رسول الله - ﷺ - للإصابة في رباعيته ، وأشاع كفار قريش موته .

---

(١) انظر صـ .
(٢) أسرار عن القرآن صـ ٥٠ وما بعدها .
(٣) سورة آل عمران : (١٤٤) .
(٤) سورة البقرة (١٢٥) .

ذكر عطية العوفي أنه لما كان يوم أحد انهزم الناس ، فقال بعض الناس : قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم ، فإنما هم إخوانكم .

وقال بعضهم : إن كان محمد قد أصيب ، ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به ، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾[1] .

ومما يدل أنها نعي لرسول الله - ﷺ - قبل موته فقد روي أن « عروة » قال بعد التشهد : « إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم إلى نفسه وهو حي بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم ، فهو الموت لا يبقى أحد إلا الله - عز وجل - قال تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾[2] » .

أما ما حصل يوم وفاة رسول الله - ﷺ - فلهول الحدث وعظم المصاب ، أفقد الناس الصواب ، حتى نسوا آيات الكتاب حتى قام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتوعد بالقتل كل من يقول إن رسول الله - ﷺ - قد مات حتى جاء أبو بكر - رضي الله عنه - الذي آتاه الله الصبر وقوة العزيمة حيث دخل على رسول الله - ﷺ - وهو مغطى بثوب حبرة فكشف عن وجهه فوجده قد مات فقبله وهو يبكي .. فخرج على الناس فقال : اجلس ياعمر . ثم قال : أما بعد : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال الله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾ الآية .

قال ابن عباس : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها عليهم أبو بكر ، فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢١٨ .

قال سعيد بن المسيب : إن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض[1] .

فهذه الآية كانت محفوظة في الصدور ومما يؤكد هذا ما رواه عروة أنه عندما أخذ ابن الخطاب يهدد ويتوعد كان « عمرو بن قيس بن زائدة ابن الأصم ابن أم مكتوم قائم في مؤخرة المسجد يقرأ ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..** ﴾[2] الآية .

فهذه الآية إذن مما نزل في حياة رسول الله - ﷺ - ومما تلاه على صحابته وحفظوه واستشهدوا بها يوم وفاته - ﷺ - أما موقف عمر - رضي الله عنه - فكان لهول الحدث ، ورجاء أن يكون أغشي عليه وأن يفيق من غيبوبته لذا قال في يوم مبايعة أبي بكر بعد البيعة : إني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ، ولا في عهد عهده إلي رسول الله - ﷺ - ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله - ﷺ - حتى يدبرنا . أي أن يكون آخرنا[3] .

أما الآيات التي نسبها لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وزعم أنها مما دخل القرآن من كلام بعض الصحابة .

واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[4] .

وهذه الآية وأمثالها قرآن سيق معناه على لسان عمر ، قبل نزوله من السماء وسبق لسان عمر بذلك لا يبطل قرآنيته . فهو محفوظ في اللوح المحفوظ قبل نزوله على رسولنا - ﷺ - .

---

(١) انظر ابن كثير ١ / ٤٠٩ .

(٢) دلائل النبوة ٧ / ٢١٨ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢١٦ - ٢١٧ .

(٤) سورة البقرة : (١٢٥) .

قال ابن عباس : ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾[1] أي أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بموقع النجوم ، فكان الله عز وجل ينزله على رسوله – ﷺ – بعضه في إثر بعض .

فهذه الآيات إذن مما وفق به ابن الخطاب وألهمه ووافقه عليه ربه – عز وجل – قال عمر : وافقني ربي في ثلاث . قلت : يارسول الله ، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ..** ﴾[2] .

وقد نسب لعمر – رضي الله عنه – أربع عشرة موافقة من هذا القبيل ، وهذا الإلهام في بعض أتباع الأنبياء – عليهم السلام – وافقتهم لمراد الله سبحانه كان في أكثر من أمة وكان من الأمة الإسلامية عمر بن الخطاب – رضي الله عنه الذي خص بهذه الميزة ، وهذا الفضل ، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله – ﷺ – : « إن كان في الأمم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فهو عمر بن الخطاب »[3] .

وعن علي – رضي الله عنه – قال : « ما كنا ننكر ونحن متوافرون أصحاب محمد – ﷺ – أن السكينة تنطق على لسان عمر – رضي الله عنه – »[3] .

فهذا يدل على مقدار التوفيق الإلهي الذي ناله هذا الصحابي الجليل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وذلك ببركة مجالسته للنبي – ﷺ – وإخلاصه لله سبحانه حيث تشربت روحه التشريع الإلهي فكان ينطق بما يوافق مراد الله سبحانه ، وبما سجل في لوحه المحفوظ حتى قيل عنه : إنه ينطق على لسان ملك ، ويتكلم بروح الشريعة[4] فمن هنا يتبين بطلان دعوى « سال »

---

(١) سورة القدر : (١) .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ١٦٩ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٣٦٩ – ٣٧٠ .

(٤) فقه عمر بن الخطاب د / الزحيلي . جامعة أم القرى الكتاب (٣١) ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، طباعة دار الغرب الإسلامي – بيروت صـ ٢٨ وما بعدها .

وفضح كذبه .

ويتأكد أن كل ما في كتاب الله - سبحانه - هو قرآن كريم وليس من كلام أحد .

أما بالنسبة لما نسب لعبد الله بن سعد بن أبي السرح فقد ناقشته في موضع آخر من هذه الرسالة فيرجع إليه[1] .

القضية السادسة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن الكريم أن فيه مضامين لا يمكن أن تكون مما أوحى به الله سبحانه واستدل على ذلك بعدة أدلة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** ﴾[2] وغيرها .

فاعتبر « سال » أن هذا مخالف للعدل الإلهي لأن الله سبحانه لا يأمر بالفسق . فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك فيكون هذا الإهلاك ظلما[3] .

الجواب :

الله سبحانه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين منزه عن الظلم قال تعالى : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾[4] .

فالله سبحانه لا يصيب أحدا بعذاب دنيوي كان أو أخروي من غير إنذار على أبلغ وجه وآكده بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وذلك ليقيم عليهم الحجة وتنقطع الأعذار . قال تعالى : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** ﴾[5] .

---

(١) انظر الرسالة صـ ٣٢٠ .

(٢) سورة الإسراء : (١٦) .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٥٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٢ .

(٥) سورة طه : ١٣٤ .

ومعنى الآية إذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أو دنا وقته المقدر لأخذهم بأسباب الهلاك كثر فيها المترفون فأمرناهم بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها فخرجوا عن الطاعة ، واستمروا في الفسق والعصيان ، ولم يضربوا على أيديهم ولم يدمغوها ، فسلطهم الله عليهم فعم الفسق والعصيان فحقت سنة الله سبحانه - وأصابها الدمار والهلاك ، وأصحاب القرية هم المسؤلون عما حل بهم ، لأنهم لم يضربوا على أيدي المترفين ويمنعوا فسادهم ويصلحوا من علاقاتهم بالله سبحانه وكما هو معروف الرحمة تخص والعذاب يعم قال تعالى : **﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾**[1] .

وقال تعالى : **﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾**[2] .

فمن هنا يظهر عدل الله سبحانه ، وعدم ظلمه لأحد ، لأنهم شركاء في الفسق والعصيان ومخالفة أوامر الله سبحانه ، وانتهاك حرماته . قال تعالى : **﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾**[3] ويستشهد لهذا بقراءة (أمّرنا) بتشديد الميم بمعنى صيرناهم أمراء[4] .

٢ - ترخيص الشارع لنبيه - ﷺ - بنكث العهد مع أنه لا يجيز ذلك وضرب على ذلك صدر سورة براءة[5] .

الجواب :

لم يكن رسول الله - ﷺ - في يوم من الأيام ناقضا لعهد ، أو ناكثا

---

(١) سورة الأنفال : ٢٥ .
(٢) سورة المائدة : ٧٨ - ٧٩ .
(٣) سورة النحل : ١١٨ .
(٤) البحر المحيط ٦ / ٢٠ وهي قراءة علي والحسن والباقر وغيرهم .
(٥) أسرار عن القرآن صـ ٥٢ .

لوعد ولم يأمره الله سبحانه يوما أن يبدأ أحدا بذلك . ولا يجوز له نقض العهد إلا على ثلاثة أوجه .

١ – أن يظهر له من عدوه خيانة مستورة ، ويخاف ضررهم فينبذ العهد إليهم حتى يستووا في معرفة نقض العهد قال تعالى : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء** ﴾[1] .

٢ – أن يكون قد شرط لبعضهم في وقت العهد أن يقرهم على العهد فيما ذكر من المدة إلى أن يأمر الله تعالى بقطعه . فلما أمره الله تعالى بقطع العهد بينهم قطع لأجل الشرط .

٣ – أن يكون مؤجلا فتنقضي المدة وينقضي العهد ..

فأما فيما وراء هذه الأحوال الثلاثة لا يجوز نقض العهد البتة ؛ لأنه يجري مجرى الغدر ، وخلف القول ، والله ورسوله بريئان من ذلك[2] .

أما بالنسبة لصدر سورة براءة فكان سبب نزولها نقض قريش للعهد الذي كان بينها وبينه – ﷺ – بالاعتداء على حليفته قبيلة خزاعة وكانت قريش البادئة بذلك .

ففي عام الحديبية سنة (٦ هـ) صالح رسول الله – ﷺ – قريشا بأن يضعوا الحرب عشر سنين يؤمن فيها الناس فدخلت خزاعة مؤمنها وكافرها في عهد الرسول – ﷺ – وبنو بكر في عهد قريش . وكان لبني بكر دم عند خزاعة قبل الإسلام فاغتنمت بنو بكر غفلة خزاعة وأمدتهم قريش بالسلاح ، فقامت بالاعتداء على خزاعة حتى في الحرم ، فخرج عمرو بن سالم إلى رسول الله – ﷺ – يستغيثه منشدا :

---

(١) سورة الأنفال آية : (٥٨) .

(٢) التفسير الكبير ١٥ / ٢٢٦ .

يارب إني ناشد محمدا — حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أبا وكنا ولدا — ثمت أسلمنا فلن ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا — وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا — أبيض مثل الشمس ينمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا — في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا — ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا — وهم أذل وأقل عددا
هم بيّتونا بالحطيم هجدا — وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله – ﷺ – : لانصرت إن لم أنصركم ، فتجهز إلى مكة وفتحها سنة ثمان .. ثم خرج إلى غزوة تبوك بعدها وتخلف من تخلف من المنافقين وأرجفوا الأراجيف فجعل المشركون ينقضون عهودهم فأمره الله تعالى بإلقاء عهدهم إليهم وأذن في الحرب[1] .

وكان نزول هذه الآيات المبينة لحالهم وعهودهم سنة تسع ، فلما نزلت كلف عليا أن يلحق بأبي بكر الذي كان أمير للحج ليبلغهم ما نزل من القرآن فلما سمع ذلك المشركون قالوا لعلي – رضي الله عنه – : أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن الرماح وضرب السيوف[2] فمن هنا يظهر من خلال العرض السابق أن البادىء بالنقض كان القرشيون بمساعدتهم بني بكر بالسلاح للاعتداء على خزاعة . فكان النقض من الرسول – ﷺ – لداعي المعاملة بالمثل ودفع الضرر عن الحليف .

لذا فلا يستقيم الأمر لـ« سال » ودعواه .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ / ٣٦ – ٣٧ ، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر صـ ٢١١ ، وتفسير البحر المحيط ٥ / ٥ .

القضية السابعة :

وزعم « سال » أن مما يتنافى مع إعجاز القرآن شحنه بأمور محمد الشخصية ، وكثيرا ما نزلت سور منه برقمها فيما لا يهم أحد غيره وغير أهله وقد ذكر على ذلك عدة أمثلة كسورة الأحزاب والتحريم والنور وغيرها[1] .

الجواب :

إن التركيز على ذكر الله سبحانه لحياة نبيه الخاصة والعامة في القرآن الكريم ليس من أجل شخص النبي - ﷺ - ولكن لأن كل جزء من حياته - ﷺ - تعتبر تشريعا فمن أجل ذلك كان التركيز على حياته الخاصة والعامة .

فرسول الله - ﷺ - قوله وفعله وتقريره يعتبر تشريعا ، ولهذا كان أزواج رسول الله - ﷺ - اللواتي شاركنه حياته الخاصة به لا يكتمن شيئا منها ولا يخفينه ، فإذا ما سئلت إحداهن عن أي جانب من جوانب حياته الشخصية - ﷺ - يجبن السائل بكل صراحة ووضوح . مما يدل على فهمهن وتقديرهن لمسؤولياتهن وواجباتهن ومعرفتهن أن حياتهن مع رسول الله - ﷺ - ليس ملكا خاصا لهن وإنما هي ملك للإسلام والمسلمين[2] .

لذا فرسول الله - ﷺ - ليس كأحد من المسلمين وليس نساؤه كأحد من المسلمات ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - جزء من عقيدة المسلم ، ينطق باسمه في صلاته وكثير من أحواله وعباداته فهو قدوة المسلم وأزواجه المثل الأعلى للبيت المسلم ، بهن تقتدي وعلى طريقهن تسير نساء المسلمين ، لذا خصت نساؤه بكثير من الآيات .

أما ما استشهد به « سال » من قضايا لها علاقة بحياة المصطفى - ﷺ - فذكرها في القرآن الكريم كان لما فيها من دروس تربوية وتشريعات إسلامية ينبغي

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٥٣ .

(٢) النبي وأزواجه في سورة الأحزاب - عبد الحميد طهماز - دار القلم صـ ١٠ .

لكل مسلم أن يتربى عليها .

١ - ذكره لقصة الإفك في سورة النور . لما في إشاعة المنافقين لها من زعزعة ثقة المسلمين بنبيهم وتشكيكهم بأخلاقه التي سما بها على كل خلق ، كما بها أثاروا نار الفتنة في المجتمع المسلم لتفكيك وحدته ، وتوهين قواه .

أما الدروس التربوية في هذه القصة فكثيرة منها :

١ - سد مواضع الخلل وتفقدها في هذا الباب المهم العظيم .

٢ - كانت القصة سببا في وضع أسس النظام الاجتماعي ، وضعا يليق بمكانته .

٣ - التثبت عند سماع الأخبار وعدم رماية الأبرياء .

٤ - أبرزت السورة المنافقين ودورهم الخطير في هدم بنيان وأسس المجتمع الإسلامي .

٥ - أكدت السورة أن الرسول - ﷺ - لا يعلم الغيب[١] .

٦ - التأكيد على أن القرآن الكريم منزل من الله سبحانه وأن الرسول - ﷺ - ليس له فيه إلا البلاغ .

٧ - التأكيد على حرمة أمهات المؤمنين ، ومكانتهن التي ينبغي أن تحفظ لهن .

٨ - من هنا يظهر أن قصة كهذه لا تعتبر أمرا لا يخص إلا النبي وزوجه كما زعم المستشرقون بل هي تخص المسلمين جميعا فمن هنا يظهر مقدار جهل « سال » وسوء افتراءاته .

٢ - أما المثال الثاني الذي استشهد به « سال » قصة زواج رسول الله - ﷺ - من زينب بنت جحش - رضي الله عنها - زوج ابنه بالتبني .

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي - مؤسسة الرسالة صـ ٢٢ - ٣٠ .

لم يكن « سال » وحده الذي أثار هذه القصة حيث أثارها غيره من المستشرقين والمبشرين أمثال « موير » و « أرفنج » و « سبرنجر » و « فيل » و « درمنجهم » و « لامنس » و « مرجليوث » وغيرهم .

حيث جعلوها قصة خيالية غرامية . معتبرا بعضهم أن هذا من سفاح الأقارب .. إلخ[1] .

هذه القصة مما اعتمد عليها المبشرون والمستشرقون كثيرا وهـذه القصة مما خاض فيها مؤرخو الإسلام والسيرة والتفسير كثيرا متأثرين بالروايات الواهية الضعيفة ، ومن هؤلاء الإمام الطبري والنيسابوري والبيضاوي والزمخشري وغيرهم ، وليس هذا الموطن موطن استطراد في هذه القصة ودراستها . وقد قام الأستاذ زاهر الألمعي بدراسة هذه القصة دراسة وافية . مناقشا أدلتها ورواياتها ومبينا ما دخلها من الإسرائيليات والروايات المكذوبة في كتابه القيم (مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش) والأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) الفصل السابع عشر . والمهم من هذا كله أن ذكرها كان لتبيين ما في هذه القصة من دروس تربوية والتي من أجلها ذكرها رب العالمين في كتابه الكريم .

فهذه القصة بما دخلها من أكاذيب وصلت إلى حد خدش عصمة الأنبياء فـ « أميل درمغم » زعم أن رسول الله - ﷺ - رآها سافرة شبه عارية فوقعت في نفسه . و « غوستاف لوبون » و « مونجمري واط » كذلك زعما أن حبه لها ساقه ليرقبها فرآها عارية .. وهكذا من الروايات الإسرائيلية المكذوبة التي لا تصون حرمة الأنبياء وتنزع عنهم ثياب الحشمة[2] .

والفوائد في هذه القصة كثيرة منها :

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٦٩ - ٧١ ومع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش للدكتور الألمعي صـ ٢٣ .

(٢) حضارة العرب - غوستاف لوبون صـ ١٤٢ ، ومع المفسرين والمستشرقين صـ ٢٤ .

١ - إبطال نظام التبني غير المشروع الذي كان سائدا في ذلك الوقت فقد اقتضت الإرادة والحكمة الإلهية تحميل نبيه - عليه الصلاة والسلام - مؤونة إزالة أثار هذا النظام بتزوجه من مطلقة متبناه .

٢ - كون رسول الله - ﷺ - هو القدوة دعي لأن يقوم بنفسه بالقضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية المنحرفة .

٣ - لتقرير أن زوجة المتبني لا تكون محرمة على متبنيه .

٤ - مكافأة السيدة زينب بنت جحش بطاعتها لله ورسوله وامتثالها لأمره بزواجها من زيد مع الفارق الاجتماعي زوجها - ربنا سبحانه لنبيه- ﷺ - من فوق سبعة أرقعة[(١)] .

أما ما زعم هؤلاء المستشرقون فيرد بأكثر من صورة .

١ - الروايات التي اعتمدوا عليها في خيالاتهم وادعاءاتهم ضعيفة ومردودة .

٢ - رسول الله - ﷺ - من الذين يعرفون زينب بنت جحش معرفة تامة حيث رُبيت وكبرت ودرجت تحت رعايته وعنايته . وكان يراها وخاصة قبل نزول آيات الحجاب . فلا حاجة لأن يسترق النظر ليراها على صورة غير محتشمة فيدعوه ذلك لزواجه منها .

٣ - إن الذي قام بخطبتها لزيد هو رسول الله - ﷺ - وزوجه إياها فلو كان الحب لها في قلبه كما يقولون لخطبها لنفسه بدلا من خطبتها لمولاه وسيكون هذا من أحب الأمور لقلب زيد - رضي الله عنه - لما كان لرسول الله - ﷺ - من حب في قلبه .

٤ - لقد تزوج رسول الله - ﷺ - خديجة وهو في الثالثة والعشرين

---

(١) انظر في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٦٨ - ٢٨٦٩ ، ومع المفسرين والمستشرقين صـ ٦٥ - ٦٩ .

من عمره وهي في الأربعين وبقيت زوجة له ثماني وعشرين سنة حتى تخطى الخمسين من عمره و لم يعرف عنه وهو في ريعان فتوته وشرخ شبابه وكمال رجولته أنه كان ممن تغريهم النساء وتأخذ بألبابهم حتى وصل لحد الشهوانية ، كما زعم المستشرقون .

٥ - في الفترة التي خطب فيها زينب كان عنده - ﷺ - خمس زوجات منها عائشة التي كانت أحب نسائه لنفسه ، فمن كان عنده مثل هذا العدد لا تسيطر على فكره امرأة سادسة ، ولا يصل به الأمر ليفتن بها فتون المراهقين كما زعم المستشرقون[١] .

٦ - على ما يقولون : « الحق ما شهدت به الأعداء » .

فقد أبطل مزاعم هؤلاء المستشرقين المستشرق « توماس كارليل » عندما صرح أن اتهام محمد بالشهوانية أمر لا يصح عقلا ولا واقعا . حيث قال : [وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وأشد ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلا شهوانيا لا همّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت ..] .

حقا فلم يكن رسول الله - ﷺ - بالرجل الذي تأسر قلبه المتعة ، وإنما كانت متعته في نجاح دعوته ، وإرضاء ربه - عز وجل - .

٧ - زواجه من زينب أمر طبيعي لأنها بنت عمته والزواج من بنت العمة مشروع في كل القوانين الأرضية والسماوية ولا تعتبر من زواج المحارم كما زعموا . وزيد في الحقيقة هو ابن حارثة ولبس ابن محمد ليكون متزوجا بزوجة ابنه كما زعموا . قال تعالى : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ..** ﴾[٢] .

---

(١) انظر « حياة محمد » هيكل صـ ٣٢٦ - ٣٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب : (٤) .

٨ - وهناك أمر أخر : إن زواج رسول الله - ﷺ - من زينب بنت جحش مفروض عليه بنص القرآن قال تعالى : ﴿ **ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها** ﴾[٢] .

فمجموع هذه الأدلة يظهر زيف وأكاذيب ما جاء به المستشرقون ويظهر مقدار أهمية ذكر مثل هذه القصة الاجتماعية النبوية[٣] ، في القرآن الكريم .

القضية الثامنة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن وجود كلام مبتور في القرآن الكريم وضرب على ذلك بعض الأمثلة من ذلك :

المثال الأول :

قال في سورة الحج ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد** ﴾[٤] .

قال « سال » : فهذه الآية تُعاب من وجهين :

أ - أنه عطف فيها المضارع على الماضي فقال : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون** ﴾ وكان الأفضل في هذا الموطن أن يقول « وصدوا » .

ب - أنه لم يأت بخبر (إن) فلم يتم الكلام بل بقي سامعه منتظرا شيئا[٥] .

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٧) .

(٢) سورة الأحزاب : (٣٨ .

(٣) من أراد التوسع في هذه القضية فعليه بكتابي الأستاذ محمد هيكل « حياة محمد » الفصل السابع ، وكتاب الدكتور زاهر الألمعي (مع المفسرين والمستشرقين ..) .

(٤) سورة الحج : ٢٥ .

(٥) أسرار عن القرآن : صـ ٧٢ .

الجواب :

بالنسبة للشبهة الأولى عطف المضارع على الماضي فقد أجاب عنها العلماء بأقوال منها :

أولها :

أن يقال فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء لا يراد به حال ولا استقبال ، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمنته وأوقاته فكأنه قيل : إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾[1] .

ثانيها :

قال أبو علي الفارسي : التقدير :إن الذين كفروا فيما مضى ،[2] وهم الآن يصدون ، ويدخل فيه أنهم يفعلون ذلك في المآل والمستقبل والإتيان بالفعل المضارع فيه زيادة فائدة وهي إفادته التجدد والحدوث المستمر إذ لم يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال وهذا ما يلحظ في فعل « ويصدون » .

ثالثها :

أن يقال هو مضارع أريد به الماضي عطفا على كفروا .

رابعها :

أن يقال هو على إضمار مبتدأ أي وهم يصدون[3] .

---

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣ / ٢٤ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٣٦٢ .

خامسها :

عدها بعضهم من الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس لحكمة وهي أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقيا أنه قد مضى عليه زمان ، ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه إنما يثبت حال حصوله يعني بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالإيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله : « ويصدون عن سبيل الله » مشعرا بأنهم في كل وقت كذلك[1] .

أما الشبهة الثانية :

وهي زعمه أنه لم يأت بخبر « إن » ، لذا فلم يتم الكلام وبقي السامع منتظرا شيئا فقد أجاب العلماء عنها بما يلي :

أولها :

قدّر ابن عطية : خبر « إن » محذوف بعد « والباد » . وتقديره : خسروا أو هلكوا .

ثانيها :

قدره « الزمخشري » بعد « الحرام » وتقديره : نذيقهم من عذاب أليم . حيث قال : وخبر « إن » محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره : « إن » الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم . وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك »[2] .

---

(١) تفسير الكشاف ٣ / ١٠ .

(٢) كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ابن القيم طبعة دار نشر الكتب الإسلامية كوجرانواله باكستان (صـ ٩٩) .

وقد فضل « أبو حيان » تقدير الزمخشري على تقدير ابن عطية لدلالة الجملة الشرطية عليه . وهذا يلحظ من جهة اللفظ أما ابن عطية فقد نظر لها من جهة المعنى لأن من أذيق العذاب خسر وهلك .

ثالثها :

قيل : الواو في « ويصدون » زائدة وهو خبر « إن » وتقديره : إن الذين كفروا يصدون . وقد ضعف ابن عطية هذا الوجه[1] .

رابعها :

قيل : « يصدون » حال من فاعل « كفروا » وخبر « إن » محذوف دل عليه آخر الآية أي معذبون[2] .

فيكون المعنى للآية : إن الذين كفروا ومستمرون في صدهم عن سبيل الله معذبون في نار جهنم ، والعياذ بالله من ذلك .

فمن هنا يظهر أن المعنى ليس فيه بتر بل هو تام بالتقدير . ولكن هذا الأمر يصعب فهمه وإدراكه على هؤلاء المستشرقين الذين لا يدركون أسلوب العربية وأسرارها .

المثال الثاني :

أردف « سال » هذه الآية بقوله : **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** . هذا أيضا كلام ناقص ، لأنه جاء فيه بفعل متعد وهو يرد ولم يأت بمفعوله .

ثم قال : نذقه من عذاب أليم .

وكان المقام يقتضي أن يقول العذاب الأليم أو عذابا أليما . بحذف « من »

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٣٦٢ .

(٢) انظر تفسير البيضاوي، صـ ٤٤٢ .

البعضية ، اللهم إلا أن يكون أراد التبعيض فيصح حينئذ من الكلام مبناه لكن يفسد مغزاه . إذ تذهب النكتة المرادة وهي الوعيد الشديد لمن يريد فيه بإلحاد بظلم فيطمع في أنه لا يصيبه إلا بعض العذاب الذي يستحقه[1] .

الجواب :

بالنسبة لمفعول « يرد » . للعلماء فيه أقوال : منها :

١ – قدره أبو عبيدة : هو بإلحاد والباء زائدة في المفعول .

٢ – منهم من قال : فعل « يرد » مما ترك مفعوله ، وذكر حكمة تركه الزمخشري بقوله : وذلك ليتناول كل متناول . كأنه قال : ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما ﴿ **نذقه من عذاب أليم** ﴾ يعني : أن الواجب على كل من كان فيه أن يضبط نفسه ، ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده[2] .

أما بالنسبة لحرم مكة فمجرد الهم بالمعصية يعذب عليها الإنسان وفي ذلك مبالغة في الزجر والنهي عن الإحداث فيه . وهذا ليس فيه أدنى تشجيع لاقتراف الآثام كما زعم « سال » .

أما بالنسبة لـ« من » ففيها قولان :

القول الأول :

أن تكون « من » للجنس أو للتبعيض . ولكل معنى من المعنيين مغزاه وفوائده .

فإذا كانت « من » للجنس يبقى التهديد والوعيد على أصله وبابه حيث هُدّدوا بإذاقة العذاب الأليم .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٢ .

(٢) الكشاف ٣ / ١٠ ، وتفسير البيضاوي صـ ٤٤٣ .

القول الثاني :

أما إذا كانت « من » للتبعيض فمعناه أن إرادة الظلم والإلحاد والهم بهما أقل من ارتكابهما فعلا . فتبقى عقوبة الإرادة والهم أقل من عقوبة من ظلم . ويناسب الفعل المقام في أن تأتي « من » التبعيضية في السياق فيكون إذاقته « من عذاب أليم » أي بعض أنواع العذاب الأليم .

وهذه خصوصية للحرم دون غيره من الأماكن ؛ لأن الإنسان لا يسأل عن همه وعزمه إلا في الحرم ، ويؤكد هذا ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله – ﷺ – أنه قال : « إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يفعل ، فإذا عملها فأنا اكتبها له بعشرة أمثالها . وإذا تحدث بأن يفعل سيئة فأنا أغفرها ما لم يفعلها فإذا عملها فأنا اكتبها له بمثله[1] .

وقد ذكر خصوصية الحرم هذه ابن عباس وغيره : فعن عبد الله قال ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ولو أن رجلا بعدن أبان همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله من العذاب الأليم[2] .

فمن هنا يظهر أن كل تخيلات « سال » باطلة وتدل على جهله بالأسلوب العربي البديع وما يحويه من أسرار ودقائق .

المثال الثالث :

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا . فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ..** ﴾[3] .

علق « سال » على هذه الآية بقوله : قال المفسرون : إن « الذي » بمعنى الذين واستشهدوا لذلك بشاهد من كلام العرب بل بكلام القرآن نفسه كقوله :

---

(١)انظر مسند الإمام أحمد ٢ / ٣١٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٤ (دار المعرفة) .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾[1] أي كالذين . وهذا احتجاج ضعيف فضلا عن أنه لو أراد بالذي في هذا الموضع معنى.« الذين » لقال : الذي استوقدوا كما قال : الذي خاضوا . ولكنه قال : استوقد بالإفراد فبقي الكلام ناقصا لا يفيد ذلك لسقوط جواب « لما » الذي قدروه زاعمين أنه محذوف مع أن بقية الكلام لا تدل عليه[2] .

الجواب :

ما زال « سال » يتخبط في تخيلاته التي تدل على تحامل شديد على القرآن الكريم ومفسريه ، وأخطاؤه تدل على عدم تمكنه من العربية لذا صار يهرف بما لا يعرف كما يقولون .

فهذه الآية قبل أن يقف عندها « سال » وقف عندها علماء التفسير المسلمون .

ولكن « سال » كغيره يأخذون الشبهة ولا يأتون بردود العلماء المسلمين عليها إحياءً لها وتشكيكا في دقة الأسلوب القرآني ونسبة الضعف له .

فبالنسبة للفظة « الذي » كان للعلماء فيها وقفات :

١ - قال أبو حيان : « الذي » اسم موصول للواحد المذكر .

٢ - أما أبو علي الفارسي فقال : بل هو اسم مبهم يجري مجرى « من » في وقوعه على الواحد والجمع ثم قال أبو حيان : يجوز أن تحذف نون « الذين » فيبقى « الذي »[3] .

٣ - أما الأخفش فقال : هو مفرد ويكون في معنى الجمع . كما يكون الإنسان[4] في معنى الناس .

---

(١) سورة التوبة : ٦٩ .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٣ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ١ / ٧٤ - ٧٥ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ١ / ٤٩ طبعة الكويت .

أما صاحب التسهيل ابن جزي الكلبي ذكر أن « الذي » على بابه من الإفراد . والأرجح أنه أعيد لضمير الجماعة لأنه لم يقصد بـ « الذي » واحدا بعينه ، إنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة . ثم أعيد الضمير بالجمع ليطابق المشبه ، لأنهم جماعة[1] .

أما سر تمثيل الجماعة بالواحد ففي ذلك وجوه :

١ - أنه يجوز في اللغة وضع « الذي » في موضع « الذين » كقوله تعالى : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾[2] وإنما جاز ذلك لأن « الذي » وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة ، وكثرة وقوعه في كلامهم ، ولكونه مستطالا بصلته فهو حقيق بالتخفيف . لذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ، ثم كسرته ، ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين .

٢ - أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد به الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا .

٣ - أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد ، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد وقد رجح هذا الوجه الإمام الرازي والطبري في تفسيرهما[3] .

قال الإمام الطبري في تفسيره : [أما في الموضع الذي مثل ربنا - جل ثناؤه - جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لأفعالهم مثلا فجائز حسن .. وما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال في الطول وتمام الخلق بالواحد من النخيل فغير جائز ولا في نظائره لفرق بينهما .

ومعنى الآية : مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد - ﷺ - وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد نارا ،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٦٦ - طبعة دار الكتب الحديثة - مصر .
(٢) سورة التوبة : (٦٩) .
(٣) التفسير الكبير ٢ / ٨٢ . وتفسير الطبري ١ / ١٠٨ - ١٠٩ .

ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل إليهم كما قال نابغة بني جعدة :

وكيف تواصل من أصبحت　　　خلالته كأبي مرحب

يريد كخلالة أبي مرحب فأسقط خلالة إذ كان فيما أظهر من الكلام دلالة لسامعيه على ما حذف منه كذلك القول في الآية][1] .

أما زعم « سال » أن لا شاهد عليه من اللغة فقد استشهد بعض أهل العربية على أن « الذي » تجيء بمعنى « الذين » بقول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم　　　هم القوم كل القوم يا أم خالد[2]

فعلماء العربية والتفسير يجيزون جعل « الذي » بمعنى « الذين » أما الخلاف فيها هو أن تكون الأشخاص كشخص أو أفعالهم لفعل شخص وعلى الثاني حمل الطبري والرازي معنى المثل المضروب للمنافقين وأمثلته في القرآن كثيرة ذكر الطبري منها أكثر من واحد فمن هنا يظهر ضعف قول « سال » ورجحان ما ذكره علماء اللغة والتفسير .

أما جواب « لما » الذي لم يدركه « سال » فبيانه .

قال ابن عطية في المحرر الوجيز :

قال جمهور النحاة : جواب « لما » ذهب ، ويعود الضمير من نورهم في هذا القول على « الذي » ويصح شبه الآية بقول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم　　　هم القوم كل القوم يا أم خالد

وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد ، لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم .

---

(١) تفسير الطبري ١ / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ١١٠ .

وقال قوم : جواب « لما » مضمر وهو طفئت ، والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والإخبار بهذا هو عن حال تكون في الآخرة وهو قوله تعالى : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب** ﴾[1][2] .

ومن حذف الجواب علله للإيجاز وأمن الالتباس كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في إحيائها .

وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بخلقه تعالى ، وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك .. ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور ، لأن ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى : ﴿ **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾[3][4] .. إلخ .

القضية التاسعة :

زعم « سال » أن القرآن فيه كلام زائد كثير يخل ببلاغته ، أو يحيل المعنى إلى غير مراد قائله وضرب على ذلك أمثلة منها قوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة** ﴾[5] في سورة القيامة وغيرها من الأمثلة .

الجواب :

يشير « سال » إلى قول بعض المفسرين أن « لا » في قوله تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ . زائدة في الإعراب مع أنها

---

(١) سورة الحديد : ١٣ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ١٣١ - ١٣٢ .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ١ / ٥٠ - ٥١ .

(٥) سورة القيامة : (١) .

جيء بها للتأكيد[1] .

والحقيقة أنه لايوجد في القرآن الكريم شيء زائد بمعنى أنه لا فائدة منه . فالقرآن الكريم منزه عن ذلك .

وقول المفسرين عن الحرف أو الكلمة أنها زائدة أو سيف خطيب أي من حيث الإعراب . ولكنه يحمل معنى ، كالتأكيد أو تقرير شيء وهذا مسلم به عندهم .

فمثلا « لا » التي استشهد بها « سال » من سورة القيامة تعددت أقوال المفسرين فيها على أقوال :

١ - أنها صلة زائدة والمعنى (أقسم بيوم القيامة) وقد ضعف الرازي هذا الرأي لأنه يفضي بالطعن في القرآن .

والعرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في آخره جحد ، أو في أوله جحد غير مصرح . فهذا مما دخل آخره جحد فجعلت (لا) في أوله صلة[2] .

٢ - أن معناه : لأقسم بيوم القيامة . فاللام للابتداء ، أقسم خبر مبتدإ محذوف معناه : لأنا أقسم ويعضد هذا الرأي أنه في مصحف عثمان بغير ألف. وقد ذكر الواحدي جواز ذلك عن سيبويه والفراء وضعفه أبو عبيدة والرازي في تفسيره .

٣ - أن « لا » ههنا لنفي القسم كأنه قال : لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس . ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وهذا قول أبي مسلم ورجحه الرازي .

ويمكن تقدير هذا القول على وجوه :

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٤ .

(٢) معاني القرآن - الفراء ٣ / ١٣٧ .

أحدها :

كأنه تعالى يقول : « لا أقسم » بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بهذه الأشياء ، ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شأنه .

ثانيها :

كأنه تعالى يقول : « لا أقسم » بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب ، فإن إثباته أظهر وأجلى وأقوى وأحرى ، من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم ، ثم قال بعده : ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ﴾(١) أي كيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد مع ظهور فساده .

ثالثها :

أن يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الإنكار والتقدير : ألا أقسم بيوم القيامة ألا أقسم بالنفس اللوامة على أن الحشر والنشر حق(٢) .

فمن هنا يظهر أنه لا يوجد في القرآن حروف زائدة بمعنى لغو لا فائدة فيها فكل حرف في كتاب الله سبحانه له معناه الدقيق .

القضية العاشرة :

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والعكس وزعم « سال » أن تعيين ما تعود عليه الضمائر إذا تعددت في الجملة الواحدة كثير ، واعتبر هذا فاسدا(٣) .

واستشهد على ذلك بعدة أمثلة منها :

قوله تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغي حكما ﴾(٤) وقوله تعالى : ﴿ ذلكم الله

---

(١) سورة القيامة : ٣ .
(٢) التفسير الكبير للرازي ١٥ / ٢١٤ – ٢١٥ .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٥ .
(٤) سورة الأنعام : ١١٤ .

ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[1] وقوله تعالى : **﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ﴾**[2] وغيرها كثير[3] .

الجـواب :

الذي دفع « سال » لإثارة هذه الشبهة أنه ورد في القرآن الكريم جملة آيات يكون الحديث فيها على لسان الرسول - ﷺ - أو غيره من غير تصريح بنسبتها لله سبحانه ، أو أن يكون الأمر موجها من الله - سبحانه - لرسوله - ﷺ - فمن هذه الآيات ما ذكرها « سال » وغيرها كثير في كتاب الله سبحانه . ولعل بُعد « سال » عن الأساليب البيانية في اللغة العربية هو سبب إثارة مثل هذه الشبهة وأسلوب الالتفات معروف في العربية قبل نزول القرآن .

والالـتفات :

هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر . أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول . وفوائده كثيرة منها :

١ - تطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر والملل ، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد ، وفي هذا تنشيط للسامع .

٢ - حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى : **﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ﴾**[4] .

---

(١) سورة الشورى : ١٠ .

(٢) سورة يونس : ٢٢ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٤٩ ، ٧٥ .

(٤) سورة يس : (٢٢) .

فالتفت هنا من التكلم إلى الخطاب .

وكما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة   إلا التنقل من حال إلى حال

قال «الحازم» في (منهاج البلغاء) :

وهم يسأمون الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة وكذلك أيضا بتلاعب المتكلم بضميره ، فتارة يجعله ناء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا ، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب . فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض ، وهو نقل معنوي لا لفظي[1] .

وللالتفات شروط منها :

١ - أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى (الملتفت) إلى المنتقل عنه ، ولا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي - التفات .

٢ - أن يكون في جملتين[2] .

واستخدامه في الأسلوب العربي القديم عليه أمثلة كثيرة منها : قول امرىء القيس ملتفتا في ثلاثة أبيات ثلاث مرات :

تطاول ليلك بالإثمد   ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة   كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني   ونبئته عن أبي الأسود

فامرؤ القيس تراه في البيت الأول جرد نفسه عنه . وخيل أنه غيرها لتحقيق

---

(١) البرهان في علوم القرآن - الزركشي ٣ / ٣١٤ .

(٢) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١ / ٣٧٧ وما بعدها ، وإعجاز القرآن للباقلاني صـ ٩٩ وما بعدها .

معنى الخطاب وتقديره عند نفسه .

ثم في البيت الثاني أكد معنى التجريد حتى تباعدت عن مجلس خطابه وغابت عنه حتى شرع يخبر عنها لسامعيه .

ثم رجع في البيت الثالث إلى ما عليه الحقيقة في نفس الأمر[1] .

وقال « الطيبي » مبينا نكتة الالتفات في أبيات امرىء القيس :

الخطاب تجريد لأن نفسه كان حقها أن تبصر وتثبت في المصائب فعل أمثالها من الملوك . فحين لم تفعل جردها وخاطبها تأنيبا ، وحين رأى التحزن تحزن صدق جعله كالغائب . فلما حقق أن الحزن مخصوص به لا يتعداه بنى على الظاهر[2] .

والقرآن الكريم نزل على مذاهب العرب اللغوية وعلى فنونهم في الحديث . وقد ذكر « سال » عدة أمثلة على ذلك منها :

قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة** .. ﴾ الآية .

وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم تعجبه من فعلهم وكفرهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم ، بدليل قوله : ﴿ **هو الذي يسيركم في البر والبحر** ﴾[3] فلو قال : « وجرين بكم » للزم الذم للجميع فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ، فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم

---

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - الزملكاني - مطبعة العاني - بغداد صـ ٣١٤ .

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان - لشرف الدين حسين الطيبي - طبعة عالم الكتب ، ومكتبة النهضة الحديثة صـ ٢٨٧ .

(٣) سورة يونس : ٢٢ .

الموصوفون بما أخبر به عنهم .

وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك ، وتقلب الرياح فناداهم نداء الحاضرين . ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ، أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فذكرهم الله بصيغة الغيبة فقال: « وجرين بهم »[1] .

٤ – وقيل : فإنه فخم جرأتهم على الله تعالى حيث أعرضوا عن التعريض له بالدعاء والخضوع والالتجاء إليه فيما إذا جرت الفلك بهم بريح طيبة ، ثم لجأوا عند خوفهم الهلكة والغرق وذلك بأن خاطبهم أولا ، ثم أعرض عن مخاطبتهم منزلا لهم منزلة من لا تجدي فيه الزواجر وأخذ في حكاية حالهم الشنيعة وافشاء أسرارهم القبيحة لغيرهم والنداء عليهم يعود وبال ذلك عليهم[2] .

وهكذا نرى سراً من أسرار هذا الأسلوب العربي القديم ، والأسلوب القرآني البديع الذي لم يدركه « سال » فعده أقوالا دخلت النص القرآني من صنعة بشرية تارة أو فسادا دخل النص تارة أخرى . وعذره في ذلك أنه جاهل بالأسلوب القرآني والعربي وإلا لما وقع في هذا الخطأ الفاضح .

القضية الحادية عشرة :

استعمال القرآن الكريم الألفاظ العربية في غير ما وضعت له ، أو يأتي بالمشترك منها حيث يجب التخصيص .

من ذلك قوله عن دين إبراهيم : « حنيف » ويعني بذلك أنه قويم لكن العرب تعني بالحنف الاعوجاج . ولذلك تسمي عابد الوثن حنيفا لميله عن الدين القويم . ولم تعرف للحنف معنى الاستقامة وإنما هو مما موه به اليهود على مصنف القرآن ليعرقلوه .. إلخ[3] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣١٨ .

(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن – صـ ٣١٥ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٥ – ٧٦ .

الجواب :

كما سبق أن ذكرت أن القرآن الكريم نزل على مذاهب العرب اللغوية ، وفنون الأساليب العربية منها « المشترك في اللفظ » .

تعريف اللفظ المشترك : اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين وقد اختلف فيه علماء اللغة .

١ - فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع[1] لجواز أن يقع إما من واضعين بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثم يضعه الآخر لمعنى آخر . وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سببا للمفسدة .

٢ - الأكثرون أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ .

٣ - منهم من أوجب وقوعه وحجته أن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وزع لزم الاشتراك[1] .

والأمثلة من هذا النوع في اللغة كثيرة :

١ - اتفاق اللفظ واختلاف المعنى :

مثاله لفظة العين - عين الإنسان ، وعين الركبة ، وعين الماء ، وعين الشمس ، والعين حرف من حروف المعجم ، وعين الشيء خياره .. إلخ .

٢ - اتفاق اللفظين وتضاد المعنى .

قال ابن فارس : في فقه اللغة من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأسود والجون للأبيض[2] والجلل الشيء الصغير ، والجلل العظيم ، والسدفة في لغة تميم الظلمة والسدفة في لغة قيس الضوء

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١ / ٢١٧ - طبعة مكتبة محمد صبيح - مصر .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٢٨ .

وبعضهم يجعلها اختلاط[1] الضوء والظلمة وقد وقع هذا النوع في القرآن الكريم في أكثر من آية فمثاله كلمة القرء مشترك بين الحيض والطهر ، وعسعس لإقبال الليل وإدباره ، (الند) للمثل والضد (وراء) للخلف وأمام .. إلخ[2] .

المثال الأول :

من ذلك حنيف التي ذكرها « سال » حيث أطلقت على أكثر من معنى حيث أطلقت في القرآن على دين إبراهيم – عليه السلام[3] .

ذكر ابن فارس أن أصل مادة الحاء ، والنون ، والفاء مستقيم ، وهو الميل فقد كان يطلق على الرجل الذي يميل رجله للداخل حنيف تفاؤلا بالاستقامة ثم انتقلت الكلمة من المعنى المحسوس إلى المعنى المجازي فأُطلقت على كل « ميل » حسيا كان أو معنويا فأُطلقت على كل مائل من خير أو شر أو بالعكس. لذا أطلقت على المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق . ومن هذا الباب أطلق على عابد الوثن في الجاهلية حنيفا لميله عن دين الآباء ثم أطلق على المختون ومن يغتسل من الجنابة ومن يحج حنيفا لميله عن دين الجاهلية لدين إبراهيم – عليه السلام – ثم اتسع حتى أطلق على كل من يتحرى الدين المستقيم[4] .

فلما جاء الإسلام أطلقوا على كل من مال عن الشرك للإسلام « حنيفا » فمن هنا تكون هذه الكلمة عربية الأصل وعلى حسب وضع العرب لها لا يهودية كما زعموا وهذه النقطة قد توسعت في الرد عليها في مواطن أخرى من الرسالة[5] .

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٣٠ .

(٢) التحبير في علم التفسير للسيوطي صـ ٢١٤ .

(٣) أسرار عن القرآن صـ ٧٦ .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ١١٠ – ١١٢ ، ولسان العرب لابن منظور ١ / ٧٣٨ – ٧٣٩ .

(٥) انظر الباب الثاني – الفصل الثاني المبحث الخامس (التعريب) من الرسالة صـ ٤٣٦ .

المثال الثاني :

منه قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا** ﴾[1] .

زعم « سال » أن هذا الكلام مردود من وجهين :

أحدهما : أنه استعمل لفظة « وراء » بمعنى قدام .

الثاني : أن تركيبه فاسد لتأخير العلة فيه عن المعلول .

وزعم أن البيضاوي فسر الآية بكلام زاد الكلام إشكالا[2] .

الجواب :

هذه اللفظة كما ذكرت هي مما اتفق لفظه وتضاد معناه . ولا خلاف عند أهل اللغة أن « وراء » يجوز أن تأتي بمعنى « قدام » وجاء في التنزيل والشعر . فمن أمثلته في الشعر قول لبيد :

أليس ورائي أن تراخت منيتي لزوم العصا يحني عليها الأصابع

وجاء في قول سوار بن المضرب السعدي :

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

وجاء في قول آخر :

أليس ورائي أن أدب على العصا فتأمن أعداء وتسأمني أهلي

وقال أبو علي الفارسي : إنما جاز استعمال « وراء » بمعنى « أمام » على الاتساع لأنها جهة متقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى

(١) سورة الكهف : (٧٩) .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٨ .

إذا لم يرد معنى المواجهة . ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر وأكثر أهل اللغة أن « وراء » من الأضداد[1] .

وقد جاءت في التنزيل بهذا المعنى في أكثر من آية .

قال ابن الأنباري : [وراء من الأضداد ، يقال للرجل : وراءك أي خلفك ووراءك أي أمامك قال الله – عز وجل – : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾[2] أي من أمامهم .

وقوله : ﴿ **وكان وراءهم ملك** .. ﴾ أي أمامهم . واستشهد بقول الشاعر :

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

أي : أمامه[3] .

وقال الأصمعي :

ومن ذلك وراء تكون في معنى خلف وقدام ففي القرآن في معنى بعد وخلف قوله تعالى : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾[4] .

وفي القرآن في معنى « قدام » قوله تعالى : ﴿ **وكان وراءهم ملك** ﴾ يعني قدامهم وأمامهم . وقد قرأ ابن عباس : « وكان أمامهم ملك »[5] .. إلخ .

فهؤلاء علماء العربية يثبتون سلامة هذا الاستخدام لمعنى « وراء » أمام وليس كما زعم « سال » بعدم جواز ذلك وخطأ القرآن في هذا الاستعمال .

---

(١) البحر المحيط ٦ / ١٥٤ .

(٢) سورة الجاثية : (١٠) .

(٣) الأضداد – محمد بن القاسم. الأنباري طبعة المكتبة العصرية صـ ٦٨ .

(٤) سورة هود : (٧١) .

(٥) الأضداد للأصمعي – دار الكتب العلمية – بيروت صـ ٨٢ – ٨٣ .

أما زعم « سال » أن التركيب فاسد لتأخر العلة فيه عن المعلول أجاب الزمخشري عن هذه الشبهة بقوله : [النية به التأخير ، وإنما قدم للعناية ، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ، ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك : زيد ظني مقيم][1] .

أما ما زعمه أن البيضاوي علق على هذا الإشكال فزاده إشكالا كلام غير صحيح ، ويدل على عدم فهمه لعبارة البيضاوي ، أو يدل أن الحكم مقطوع به من « سال » مسبقا سواء قرأ تفسير البيضاوي أو لم يقرأه ، وعبارة البيضاوي في غاية الجمال والدقة والوضوح ونصها: [وكان حق النظم أن يتأخر قوله : فأردت أن أعيبها عن قوله : وكان وراءهم ، لأن إرادة التعجب مسبب عن خوف الغصب وإنما قدم للعناية .

أو لأن السبب لما كان مجموع الأمرين خوف الغصب ، ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزئين وأدعاهما ، وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم] .

فزعم « سال » أن القرآن جاء بلفظة مشتركة في موطن ينبغي فيه التخصيص تصور خاطىء ، لأن استخدام اللفظ الذي يحمل معنى مشتركا لون وأسلوب من الأساليب العربية ، وتنوع الأسلوب نوع من الفصاحة والقدرة على التصرف في الألفاظ بأدق استخدام مما يعجز عنه البشر فاستخدام كلمة « وراء » هنا لها دلالتان :

١ - أن تكون بمعنى أمام قاله الفراء فيكون من الأضداد .

٢ - أو يحتمل أن يكون الملك كان من وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه .

فكان الاستعمال بهذه الطريقة شاملا لكلا المعنيين مما يدل على احتمال اللفظ القرآني لأكثر من وجه .

---

(١) الكشاف ٢ / ٤٩٥ .

وهذا يدل على فساد ما ذكر « سال » في هذا المثال . وإحكام الآيات القرآنية .

القضية الثانية عشرة :

زعم « سال » أن مما يبطل دعوى الإعجاز في القرآن « التكرار » وذلك لأن أهل العلم قالوا : إن تكرار اللفظ بلا ضرورة يخل بالفصاحة والقرآن مشحون بذلك[1] .

الجواب :

حقيقة التكرار : أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى ، أو مختلفا ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده . وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني .

فالتكرار الذي يأتي ينبغي أن يكون لضرورة وهذا هو الموجود في القرآن الكريم فليس في القرآن تكرار بلا ضرورة ولا فائدة .

فوائد التكرار :

للتكرار فوائد كثيرة :

فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وإرادة الإفهام وتقريره في النفس ، وكذلك إذا كان المعنى متحدا . وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين[2] .

أقسام التكرار :

١ - ما يتكرر لفظه ومعناه متحد .

٢ - ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٧٩ .
(٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان صـ ١١١ .

٣ - ما يتكرر معنى لا لفظا .

أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد ، فمنه قوله تعالى : ﴿ فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ﴾[١] .

وشاهده من اللغة قول الشاعر :

ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثمت أسلمي .

والغرض من هذا المبالغة في الدعاء لها بالسلامة[٢] .

أما أمثال تكرار المعنى دون اللفظ منه قوله تعالى :

﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾[٣] .

ذكر في الآية الخاص كذكر العام للتنبيه عليه لفضله .

ومثاله من الشعر[*] وهو فيه كثير :

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

وإن ضيعوا عهدي حفظت عهودهم وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا

والغرض من هذا تأكيد الخاص .

وهذا النوع من التكرار وعر المسلك ، دقيق المغزى وبه تحل مسائل ومشكلات من التكرار .

وهناك تكرار يقع في الأسماء أو الأفعال أو الحروف وهو يكون في اللغة على قسمين : منه الحسن ومنه القبيح وليس من القبيح في القرآن شيء . فالقبيح الذي يكسب الكلام عجرفة وقلقا حتى يصعب النطق به ، ويذهب رونق الكلام

---

(١) سورة المدثر : (١٩ - ٢٠) .

(٢) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ابن القيم صـ ١١٢ .

(٣) سورة البقرة : (٢٣٨) .

(*) الشاعر هو المقنع الكندي .

بسببه . وهذا تكرار يخلو من الفائدة ، وهو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معا .

أما الأول فقد عابه بعضهم مطلقا ، وبعضهم فصل فأعابه على الناثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت . وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن . والأمثلة في اللغة على هذا كثيرة .

أما القرآن الكريم فليس في كتابه حرف وضع بلا ضرورة ولا فائدة أو أقلق المعنى أو غير ذلك من الأسباب المضعفة للأسلوب العربي ولفصاحته[1] .

فالتكرار في القرآن الكريم له صبغة خاصة اقتضت تفرده على غيره فدواعي التكرار في القرآن دواعي كلية موضوعية أي أنها أشبه ما تكون بالقواعد والقضايا العامة ، ومن هنا اتبع القرآن في التكرار نمطا متميزا لا يمكن لأحد أن ينسج على منواله ، أو يقرب من مجاله .

وقد أضاف هذا النمط المتميز لونا فذا إلى ألوان الإعجاز التي تبث في آيات القرآن الكريم مما طأطأ له رؤوس أعلام البلاغة وأمراء البيان . أما دواعي التكرار في القرآن فكثيرة منها :

١ - أن الله - سبحانه وتعالى - كان إذا كرر القصة زاد فيها شيئا ؛ ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى - عليه السلام - وذكرها في موضع آخر ثعباناً ، وفائدة ذلك أن ليس كل حية ثعبانا ، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة .

٢ - أن الرجل كان يسمع من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده أخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ، وكان أكثر من آمن به مهاجريا فلولا تكرر القصة لوقعت قصة لقوم ، وقصة إلى آخرين وكذلك سائر القصص ، فكرر سبحانه ليشترك بذلك الجميع فيكون فيها إفادة القوم وزيادة تأكيد وتبصرة

---

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن - ابن القيم صـ ١١٤ - ١١٥ (بتصرف) .

لآخرين وهم الحاضرون .

٣ - تسليته لقلب النبي - ﷺ - مما اتفق عليه للأنبياء مثله مع أممهم قال تعالى : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾[١] .

٤ - أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة لا يخفي ما فيه من الفصاحة .

٥ - أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام ، فلذا كررت القصة دون الأحكام .

٦ - أن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آيه لصحة نبوة محمد - ﷺ - ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبروا .

٧ - أنه لما سخر العرب بالقرآن ، قال : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾[٢] وقال في موضع آخر : ﴿ **فأتوا بعشر سور** ﴾[٣] فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى : ﴿ **فأتوا بسورة من مثله** ﴾ « ايتونا أنتم بسورة من مثله » فأنزلها الله سبحانه في تعداد السور دفعا لحججهم من كل وجه .

٨ - أن القصة الواحدة من هذه القصص ، كقصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد منه لا يوقف عليه إلا

---

(١) سورة هود : ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٣ .

(٣) سورة هود : ١٣ .

منها دون غيرها ، فكأن الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لوجوه متكررة فيها ، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة من انفراد كل قصة منها بموضع[1] .

٩ - درج القرآن على مخاطبة العرب بما ألفوه من أساليب الكلام وما اعتادوه من طرائق البيان قال تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾[2] .

١٠ - أن هذا القرآن الكريم أنزله الله للناس كافة ، أي أنه كتاب جماهيري بالتعبير العصري الحديث ، وذلك يقتضي تكرار قضاياه ومضامينه ليكون الناس على ذكر بها والتزام لتشريعاتها .

١١ - أن القرآن قد ختمت به وبدينه وبنبيه رسالات السماء وأديانه وكتبه فيلزم تكرار الكثير من موضوعاته ليستوعبها الناس على اختلاف أذواقهم وأفهامهم على اختلاف أزمانهم وأجناسهم .

١٢ - نزل القرآن ليكون كتاب هداية وهذا يستلزم تكرار ما يحتويه من أسرار وحكم وتشريع ليتخذه الناس مثابة لعقولهم وموئلا لألبابهم وهذا الأسلوب من أساليب الدعوة المتبعة من جميع أصحاب الدعوات والأفكار والمبادىء الخيرة والمقصود به التأثير في نفوس المدعوين وبلوغ الغاية من الدعوة بطريقة أو بأخرى وقد قال الشاعر :

أما ترى الحبل بتكراره   في الصخرة الصماء قد أثرا[3]

١٣ - جاءت ظاهرة التكرار لمراعاة ما كان عليه العرب من أمية .

---

(١) القصص القرآني - إيحاؤه ونفحاته صـ ١٧ - ١٩ .

(٢) سورة يوسف : ٢ .

(٣) هل يمكن الاعتقاد بالقرآن - رحماتوف صـ ١٢٥ ورد الأستاذ كنون عليه .

١٤ – تكرر الجملة أو الحرف في القرآن بسبب ما يتعلق بها أو يبني عليها أو يتجدد منها من استنباطات أو دلالات تستخرج من تحري الحكمة في تكرار المكرر[١] .

فالتكرار إذن لون من الأسلوب العربي ، وأحد أنماط الإعجاز اللغوي وأسلوب تربوي بديع امتاز به هذا القرآن العظيم .

ومن الأمثلة التي علق عليها « سال » آماله لتحقيق مطاعنه من هذا الجانب تكرار المثال الأول « إذ » و « إذني » في آية واحدة في سورة المائدة عدة مرات وهي قوله تعالى :

﴿ وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ﴾[٢] .

أما تكرار « إذ » و « إذني » في هذه الآية فلا تخلو من فائدة فـ « إذ » بمعنى الحين أو الوقت .

وبما أن هذه النعم قد امتنها الله سبحانه على عيسى – عليه السلام – عبده ورسوله في أوقات متباينة متطاولة لذا ناسب تكرار « إذ » الحينية حتى لا يتسبب التطاول بين الوقت إلى الوقت لإهمال ونسيان هذه النعم . فتكرارها إذن يشعر باستمرار هذه النعم وشكر المنعم والمتفضل فيها .

أما تكرار كلمة « بإذني » فهي في غاية البيان والدقة وكذلك لا تخلو من فائدة فعندما اعتقد بنو إسرائيل في عيسى أنه « إله » أو « ثالث ثلاثة » لذا كان

---

(١) انظر كتاب ظاهرة التكرار في القرآن الكريم – د / عبد المنعم السيد حسن ط ١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م صـ ٢٢ – ٣١ .

(٢) سورة المائدة : (١١٠) .

يتبادر إلى أذهان بعضهم أن هذا كله يأتي من عند نفسه وبخاصة أنها من النوع الذي لا تماثله أفعال الناس ولا تقدر عليه طاقاتهم فكان تكرار هذه الكلمة « بإذني » إزالة الوهم .

لأن عيسى – عليه السلام – لم يأت بشيء من خوارقه إلا بإذن الله سبحانه وبتمكينه من ذلك .

إلا أن هذه النكات البلاغية والدقائق اللغوية والأساليب البيانية بعيدة عن حس الملاحدة لا يستشفها إلا المعايشون لهذه الأساليب القرآنية المعتقدون بالهدايات الربانية منها .

أما الحاقدون المحجوبون عن نور الهداية فلا يفقهون إلا ظاهرا من القول .

والمثال الثاني :

استشهد « سال » بقوله تعالى : ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا . ثم اتقوا وأحسنوا . والله يحب المحسنين** ﴾[1] .

وزعم أنه كرر قوله : « وعملوا الصالحات » مرتين « واتقوا » ثلاث مرات بلا ضرورة[2] .

الجواب :

وقف العلماء عند تكرار هذه العبارات وقفات ، مبينين فيها النكتة البلاغية في هذا التكرار .

أما تكرار (العمل الصالح) وذلك لإبراز أهميته . حيث قرر في الآية أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم وثبتوا

---

(١) سورة المائدة : (٩٣) .

(٢) أسرار عن القرآن صـ ٧٩ .

على الإيمان والعمل الصالح .

وفي ذلك إشارة إلى أن العمل من مستلزمات الإيمان المطلوب المحافظة عليه لأنه أساس العمل المقبول عند الله سبحانه[1] . أما تكرار (الاتقاء) فقد ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال منها :

١ - قول الأكثرين : أن الأول عمل الاتقاء ، والثاني دوامه والثبات عليه ، والثالث اتقاء ظلم العباد مع ضم الإحسان .

٢ - أن الاتقاء الأول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول هذه الآية ، والاتقاء الثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية ، والاتقاء الثالث اتقاء ما يحدث تحريمه بعد هذه الآية .

٣ - اتقاء الكفر ، ثم الكبائر ، ثم الصغائر .

وقيل غير ذلك[2] .

وهكذا نرى أن التكرار أمر لطيف يعرفه أصحاب العربية والمتقنون لأساليبها ويغيب عن أفهام هؤلاء الملاحدة المتعبين أنفسهم في محاولة إيجاد الخلل في هذا الكتاب ولن يستطيعوا إن شاء الله لحفظ الله سبحانه له .

القضية الثالثة عشرة :

زعم « سال » أن مما يبطل إعجاز القرآن المعاياة وفساد المعنى فيه وضرب على ذلك أمثلة منها :

المثال الأول :

قوله تعالى : **﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها .. ﴾**[3] الآية .

---

(١) الكشاف ١ / ٦٤٣ .

(٢) التفسير الكبير للرازي ١٢ / ٨٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦ .

ثم قال مبينا فساد المعنى في الآية بقوله :

الأمر الأول :

الكلام يوهم أنه ضرب لهم مثلا بالبعوضة لكننا لا نجد ذلك ، لذا فهو كلام لا معنى له .

الأمر الثاني :

كان الأوجه أن يقول بعوضة فما دونها[1] .

الجواب :

الأمثال ضرب رفيع من فصيح الكلام ، ولون من ألوان الكلام العربي الذي جرى عليه القرآن الكريم لتأكيد معنى ، أو بيان غاية ، أو الإقناع بفكرة ، أو تزيين أمر وتقبيح آخر للترغيب بالأول والترهيب من الثاني[2] إلى غير ذلك من الأغراض التي هي من ضمن الأهداف التربوية القرآنية . قال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[3] .

وقد اشتمل القرآن الكريم على ثلاثة وأربعين مثلا[4] .

ولأهمية المثل اعتنت به أكثر من أمة : عربية كانت أو عجمية ، قبل الإسلام وبعده ، بالفصيح من لغاتها وبعامية . أو بالعامية منها . وقد ذكرته كتب سماوية أخرى كالإنجيل .

فقد جاء في الإنجيل عن عيسى – عليه السلام – قوله : « مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة .. » إلى آخر المثل .

---

(١) أسرار عن القرآن صـ ٨١ .

(٢) الأمثال القرآنية عبد الرحمن حبنكة – دار القلم – دمشق – بيروت صـ ٣٩ – ٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .

(٤) الأمثال في القرآن الكريم – لابن القيم صـ ٥٧ ، دار المعرفة – بيروت .

وقال في مثل آخر : « قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ، ولا يلينها الماء ، ولا تنسفها الرياح .. » إلخ[1] .

والآن سأبين فساد فهم « سال » للمقصود بالآية الكريمة وأوضح أنه لا فساد فيها .

قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** .. ﴾ فبالنسبة للأمر الأول الذي أثاره « سال » ليس بالضرورة أن يكون هناك مثل مضروب في البعوضة لأن المقصود بضرب المثل أن يبين الله سبحانه ما في المضروب من أسرار وحكم . فكما هي موجودة في المخلوق العظيم هي موجـودة كذلك في المخلوق الصغير . وفيها دلالة على عظم قدرة الله سبحانه فسبب نزول الآية أن الله سبحانه أراد أن يبين أنه لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل لها لحقارتها .

أو يجوز أن تكون هذه العبارة وقعت في كلام الكفرة حيث قالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ؟ فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال[2] .

أما الأمر الثاني :

أنه كان الأوجه أن يقول (فما دونها) .

فالجواب من وجهين :

أحدهما :

أن يكون المراد فما هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب ولكن هذا القول رده العلماء وضعفوه .

---

(١) التفسير الكبير ١ / ١٤٦ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٦٣ .

الثاني :

أراد بما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها وهذا هو القول الراجح لوجوه :

١ - أن المقصود من هذا التمثيل تحقير الأوثان ، وكلما كان المشبه به أشد حقارة كان المقصود في هذا الباب أكمل حصوَلا .

٢ - أن الغرض ههنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع عن التمثيل بالشيء الحقير ، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا أشد حقارة من الأول ، يقال : إن فلانا يتحمل الذل في اكتساب الدينار ، وفي اكتساب ما فوقه يعني من القلة ، لأن تحمل الذل في اكتساب أقل من الدينار أشد من تحمله في اكتساب الدينار .

٣ - أن الشيء كلما كان أصغر كان الاطلاع على أسراره أصعب ، فإذا كان في نهاية الصغر لم يحط به إلا علم الله تعالى فكان التمثيل به أقوى في الدلالة على كمال الحكمة من التمثيل بالشيء الكبير[١] . فعلى هذا فلا فساد في المعنى ولا معاياة كما زعموا ولكنه الجهل بالأسلوب العربي .

المثال الثاني الذي استدل به :

قوله تعالى : ﴿ **إنما البيع مثل الربا** ﴾[٢] زعم أن الأوجه أن يقول إنما الربا مثل البيع لأنهم مثلوا الربا بالبيع الحلال ليموهوا أنه حلال[٣] .

الجواب :

أجاب الزمخشري عن هذه الشبهة بقوله :

إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه ، وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى

---

(١) التفسير الكبير ٢ / ١٤٨ - ١٤٩ .
(٢) سورة البقرة : (٢٧٥) .
(٣) أسرار عن القرآن صـ ٨٨ .

الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز ، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين .
قلت : جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع[1] .

فعلى هذا تكون جاءت مصورة لما بلغه اعتقادهم من استحلال الربا تصويرا دقيقا . يعني عن أي تصوير فالمعنى تام وليس فيه أي خلل أو معاياة كما زعم « سال » فشبهته مردودة عليه ويظهر بطلان دعواه وفساد قوله .

القضية الرابعة عشرة :

قال « سال » : إن مما ينافي الفصاحة أن يأتي الكاتب أو الخطيب في أثناء كلامه بجملة تكون أجنبية عما سبقها وهذا مما يعده العلماء تكلفا .

وضرب على ذلك مثالا واحدا وهو آية الكرسي حيث اعتبرها كلاما أجنبيا ، لا ارتباط له بما قبله وما بعده ، فهو كقطعة ديباج رقع بها ثوب كرباس[2] .

الجواب :

لم يك « سال » الوحيد الذي ادعى أن آيات القرآن الكريم لا ارتباط بينها . بل سبقه بذلك « بل » في مقدمته حيث زعم أن سبب عدم هذا الترابط أن جمعة القرآن كانوا يجدون على الورقة التي كتب عليها قرآن شيئا على وجهها وآخر على ظهرها فكان الكاتب يجمع ما كتب على الوجهين مع عدم ارتباطهما وسمى نظريته هذه « التكملات البديلة » وقد انساق وراء « بل » و « سال » أصحاب الموسوعة البريطانية فزعموا أن السور الطويلة ذوات موضوعات متعددة وهي مشتتة ليس بينها صلة .. فالقرآن مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية .

وهذه الافتراءات من أخطر ما أقدم عليه هؤلاء المستشرقون وذلك لأن

---

(١) الكشاف ١ / ٣٩٩ .
(٢) أسرار عن القرآن صـ ٨٨ – ٨٩ ، وقضايا قرآنية صـ ٧٥ ، ومقدمة بل صـ ٨٤ ، وما بعدها .

الأصل أن لا يصدر على أمثالهم لما نتوسم بهم أن يكونوا عليه من منزلة علمية . وقد بينت خلال معالجتي لبعض القضايا السابقة بطلان هذه الافتراءات وأثبت مقدار التناسب والترابط بين الآيات القرآنية .

والمعروف أن هذا القرآن نزل في أمة فصيحة بضاعتها المفضلة وتجارتها الرابحة الكلام ، حتى عقدوا لها أسواقا لم تسبقَهم لذلك أمة من الأمم وكانوا يدركون مثل هذه القضايا ترابط الكلام وانسجامه بأذواقهم وفطرهم السليمة قبل فطنتهم . وقد اعترفوا أنه جاء قمة لا يصل لشأوه كتاب لا في ألفاظه ولا في أسلوبه يجمع بين حسن الإيجاز والتطويل دون خلل ولا ملل ، ولا ترقيع كما زعم «سال » ، ولم يكن مشتتا*عشوائيا كما زعم أصحاب الموسوعة البريطانية . ولا بالرديء كما زعم « دوزي » حتى أطلقوا على جماله «سحراً» لسموه وجلاله ، وهيبته على نفوسهم ، وأدركوا إعجازه الذي لاحظوه في أسلوبه وبيانه وبلاغته وانسجام ترابطه ولو وجد العرب في نظم سوره أي مأخذ أو ضعف لكان لهم معه شأن آخر .

أما موضوعات السورة القرآنية فالترابط بينها أمر متميز مما دعاهم للاعتراف بإعجازه . فالقرآن الكريم ليس معجزة فقط بحقائقه العلمية والتاريخية التي ما زال العلم يكتشفها يوما بعد يوم . بل كذلك هو معجز في ترابطه وحسن سبكه .

ومن أحكام ترابط هذا الكتاب أنك لو أردت إسقاط كلمة أو إبدالها لاختل النظم وظهر الضعف . وقد تنبه العلماء لهذا السبك وحسن النظم ودقة الربط فكتبوا فيه كتبا ومن هؤلاء الإمام الجرجاني ، والإمام الزملكاني ، في كتابيهما اللذين يبحثان فيهما أمر إعجاز القرآن الكريم . والدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) الذي درس فيه سورة البقرة وأظهر وحدتها الموضوعية وكذلك أستاذي الدكتور فضل حسن عباس في كتابه (إعجاز القرآن) درس فيه مجموعة من السور .

فقد أظهر هؤلاء العلماء الأجلاء مقدار الربط بين السورة الواحدة وبين

السور بعضها مع بعض فكان ترتيب القرآن حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا[1] .

وقد خُطيء من العلماء من قال : الآيات القرآنية لا رابط بينها . كالإمام عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله - والأستاذ محمد فريد وجدي ، وغيرهما ، ومن انساق خلفهم من المستشرقين والمبشرين . حتى قال أبو بكر بن العربي في كتابه (سراج المريدين) عن فضل هذا العلم :

[ارتباط الأي بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم][2] .

أما بالنسبة للمثال الذي ذكره « سال » ومنه حكم على أن القرآن آياته غير مترابطة وهذا المثال ضربه « سال » في آية الكرسي وعلاقتها بما قبلها وما بعدها . اعلم أن من الأساليب المطردة في القرآن الكريم الجمع في السياق بين علم التوحيد ، وعلم القصص ، وعلم الأحكام . وذكر القصص كان لحكم عظيمة . إما تقرير دلائل التوحيد ، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف . وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لإبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال ، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ، ويفرح به القلب ، فكأنه سافر من بلد إلى آخر ، وانتقل من بستان إلى بستان آخر ، وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول نوع آخر .

لما ذكر الله سبحانه أخبار المتقدمين من الرسل مع أقوامهم ، كسؤال قوم موسى - عليه السلام - ﴿ أرنا الله جهرة ﴾[3] وكقوم عيسى عليه السلام بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص فكذبوه وراموا قتله ،

---

(١) انظر كتاب الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - محمد حجازي - دار الكتب الحديثة صـ ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧ - طبعة دار المعرفة بيروت .

(٣) سورة النساء : ١٥٣ .

وكذبه بعضهم وبقوا على الكفر ، وما وقع منهم كتكذيب بعضهم طالوت بعد أن طلبوا من الله أن يجعل لهم ملكا فجعله فعزى الله رسوله عما رأى من قومه من التكذيب والحسد فقال : هؤلاء الرسل الذين كلم الله بعضهم ، ورفع درجات بعضهم ، وأيد عيسى – عليه السلام – بروح القدس ، قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات ، وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ، فكان المقصود من هذا كله تسكين رسول الله – ﷺ – على إيذاء قومه له[1] .

ولما كان المال شقيق الروح ، وهو نوع من الجهاد . كما أنه سبق قبل هذه الآيات ذكر آية البر التي جمعت خصال البر كلها ؛ لذا نرى بعدها التنويه بفضيلتي الإنفاق والجهاد يردد في أكثر من آية في مطالع الآيات ومقاطعها ، في إجمالها وفي تفصيلها ترديدا ينادي بأنه هو المقصود الأعظم ،[2] لأنه به تصان العقيدة ويسهل الطريق أمام الدعاة وهو يحفظ ميراث النبوة الأعظم .

فجاءت الآيات مؤكدة هذا المقصود وهذا التشريع الرباني الحكيم . ولما ذكر الاختلاف والاقتتال والبذل في سبيل الله بعد مجيء البينات والإيمان ناسب بعد هذا كله أن يذكر آية تتضمن قواعد التصور الإيماني وتذكر من صفات الله – سبحانه – ما يقرر معنى الوحدانية في أدق مجالاته ، وأوضح سماته وهي آية الكرسي ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾[3] .

ثم انتقل لبيان طريق المؤمنين وواجبهم تجاه هذه العقيدة ورسم أفضل السبل في إيصالها للخلق بالحكمة والموعظة الحسنة وبعدم إكراههم عليها ﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾[4] لأن الأصل في قضية العقيدة أن تكون اقتناعا بعد البيان

---

(١) التفسير الكبير ٣ / ٢١٠ ، والبحر المحيط ٢ / ٢٧٦ – ٢٧٧ .
(٢) النبأ العظيم – دراز صـ ٢٠٤ وما بعدها .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٤) سورة البقرة : ٢٥٦ .

والإدراك ، وليست قضية إكراه وغصب وإجبار[1] .

وهكذا نرى أن الآيات مترابطة وكأنها آية واحدة ، بل كلمة واحدة على غير دعوى وافتراءات المستشرقين .

لذا يبطل كل دعوى ذكرها « سال » و « بل » وأصحاب الموسوعة البريطانية من عدم ترابط آيات القرآن الكريم .

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ٢٨٦ وما بعدها .

الباب الثالث

قضايا تتعلق بتفسير القرآن الكريم

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

الفصل الثانى

التفسير بالرأي ورد شبهات المستشرقين حوله

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي كما عرضه « جولد تسيهر »

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية وموقف المستشرقين منه .

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول :

تمنع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم .

المبحث الثاني

الوضع والإسرائيليات في التفسير أفقده قيمته والثقة به .

المبحث الثالث

قالوا : التضاد والاختلاف في روايات التفسير بالمأثور يقلل قيمتها ويردها .

المبحث الرابع

الطعن في رجال هذا التفسير .

المستشرقون والتفسير :

التفسير يوصل إلى الحقيقة التي في كتاب الله تعالى .

وتفسير أي نص يأخذ أهميته من النص نفسه ، ولما كان النص القرآني رباني المصدر ، ومشتملا على أبرز ملامح المعارف الإنسانية ، وأغلب معالم الحضارة البشرية ، لذا كان تفسيره ذا أهمية بالغة ولكنه يحتاج لإخلاص خاص ، وتجرد عن كل ما يحرف التفسير عن خطه الصحيح .

والمستشرقون كما اهتموا في دراساتهم بالقرآن الكريم نفسه اهتموا كذلك بتفسيره وبكثير من أنواع علومه .

ولكن هذه الدراسات جاءت متفاوتة على حسب العنصر النفسي الأغلب في شخصية كل منهم ، فمن اتجه اتجاها موضوعيا كان ما قدمه موضوعيا ، ومن كان ذا هوى أو تعصب كان انعكاس ذلك واضحا على كتاباته .

وينبغي التنبيه على أن دراسات المستشرقين للقرآن الكريم وتفسيره غالبا ما تمليها ظروف نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو نزعات عدائية وقد يكون الدافع لها اهتمامات علمية وأكاديمية .

وقد تعددت دراساتهم للقرآن في أكثر من جانب من جوانبه . فقد كان ممن اهتم بتفسير القرآن الكريم المستشرق المجري « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) والمستشرق الفرنسي « ج. جومييه » الذي نشر دراسة له عن تفسير المنار في باريس سنة ١٩٤٥ م . كما كتب بحثا عن طنطاوي جوهري وتفسيره « الجواهر » . والمستشرق الإنجليزي « ج. بالجون » الذي ألف كتابا حول (تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث) .

وكان أوفى هذه الكتب هو كتاب المستشرق المجري « جولد تسيهر » الذي سيكون الأساس لدراستي هذه . كما أني سأتناول ما كتبه الأخيران في الفصل الأخير من هذا الباب (باختصار) .

ولا يخفى على أحد اهتمام هؤلاء المستشرقين بهذا العلم خدمة لأغراضهم الخاصة ، وتحقيقا لنواياهم المبيتة .

وقد جاءت هذه الدراسات قاصرة ، وغير منهجية ومشوبة بما لا يتفق مع روح الدين الإسلامي .

وسأقف على آرائهم مع ألوان التفسير الإسلامي عارضا فهمهم له مسلطا الضوء على شبهاتهم ، مبينا وجه الانحراف فيها . والله الموفق .

أما ألوان التفسير التي تناولتها أبحاثهم وكانت لهم آراء حولها :

١ - التفسير بالمأثور وموقفهم منه .
٢ - التفسير في ضوء العقيدة - مذهب أهل الرأي .
٣ - التفسير في ضوء التصوف الإسلامي .
٤ - التفسير في ضوء الفرق الدينية .
٥ - التفسير في ضوء التمدن الإسلامي .

الفصل الأول

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه

توطئة :

مر تفسير القرآن الكريم بمراحل وأطوار عديدة ، حتى اتخذ الصورة الحالية التي نجده عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط .

نشأ هذا العلم مبكرا منذ عصر الإسلام الأول حيث كان النبي - ﷺ - أول شارح للقرآن الكريم يبين للصحابة ما يشكل ويستغلق عليهم فهمه .

قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[1] .

فقد كان هذا التوضيح هو النواة الأولى لهذا العلم العظيم والذي نقل إلينا على شكل روايات من خلال كتب السنة المطهرة .

وقد كانت هذه الروايات في هذا العهد جدّ قليلة نظرا لنزول القرآن الكريم بلغة القوم وحسن فهمهم له ، ولمعايشتهم لأسباب نزوله ، لذا كانت حاجتهم للتفسير محدودة . ولكن بعد انتقال رسول الله - ﷺ - للرفيق الأعلى وانتشار الإسلام واتساع رقعة دولته دخل في دين الله أناس لغتهم غير العربية ، وولد في ظل الإسلام مواليد خالطوا عجمة القوم مما جعل الحاجة أشد لهذا العلم الذي يجعلهم يعيشون في ظلال القرآن العظيم فكان مطلبا ملحا من الصحابة أن يقوموا بواجبهم بنقل ما تعلموه من رسول الله - ﷺ - لهم . بل ويوضحوا لهم زيادة على ذلك ما فهموه وعايشوه من روح النص القرآني الكريم .

---

(١) سورة النحل : ٤٤ .

وقد كان عدد المفسرين من الصحابة كثيرا ولكن الذين اشتهروا منهم يقاربون العشرة كان من أشهرهم حبر الأمة وعالمها ومفسرها عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما جميعاً – وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب – رضوان الله عليهم جميعا .

وبقي التفسير في هذه المرحلة لآيات متفرقة عليه طابع الرواية فتتلمذ على يد هؤلاء الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير نفر من كرام التابعين حاملين ما تعلموه لأقطار شتى مكونين في كل بلد نزلوا فيه مدرسة تفسيرية لها روادها وتلاميذها النجباء .

وكان أشهر هذه المدارس التفسيرية :

١ – مدرسة مكة المكرمة وأستاذها حبر الأمة عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما .

٢ – مدرسة المدينة المنورة وأستاذها أبي بن كعب – رضي الله عنه – .

٣ – مدرسة الكوفة وأستاذها عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – وغيرها .

فكانت هذه المدارس صاحبة الفضل بعد الله – سبحانه وتعالى – في نقل هذا العلم لتابعي التابعين تاركة لنا أثرا واضحا وتراثا علميا خالدا في تفسير كتاب الله سبحانه . وقد ظل التفسير محتفظا في هذا العصر كذلك بطابع التلقي والرواية ، ولكن التابعين – بعد دخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام ، نقلوا عنهم في التفسير كثيرا من الإسرائيليات . كما ظهر في عهدهم بوادر الخلاف المذهبي نتيجة للنزوع للعقل في فهم الآيات القرآنية الكريمة ، ونتيجة للتصرف في فهم اللغة العربية .

وعن التابعين أخذ تابعو التابعين التفسير ، وكانت حاجتهم له أشد ؛ وذلك لاختلاط اللسان العربي بالعجمة واستغلاق فهم كثير من الآيات القرآنية الكريمة

عليهم ، وفي هذه الفترة بدأ تدوين الحديث النبوي الشريف ، ومنه الروايات الخاصة بتفسير القرآن الكريم حيث دونت كباب من أبواب الحديث سواء كانت مروية عن النبي - ﷺ - أو الصحابة أو التابعين - ملتزمين بذكر إسنادها . وكان من أشهر من اهتم بهذا الجانب من العلم في هذه الفترة :

يزيد بن هارون ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم فقد كان هؤلاء إرهاصا لابن ماجه وابن جرير الطبري - الذي يوشك المفسرون من بعده أن يكونوا عالة عليه - وقد جعل هذا الإمام العظيم التفسير بكتاب مستقل ، شاملا القرآن كله ، مرتبا له حسب ترتيب سور المصحف ، جامعا فيه كل أقوال من سبقه من روايات أُثِرت عن النبي - ﷺ - أو الصحابة أو التابعين ، ذاكرا لها بالأسانيد ، مضيفا لها فهمه للنص القرآني فكان بحق مدرسة تفسيرية فريدة .

ثم خطا التفسير بعد عصر الطبري خطوة أخرى اختصر فيها المفسرون أسانيد روايات التفسير ، مضيفين لها أقوال من تقدمهم من المفسرين وكان على رأس هؤلاء العلماء أبو الليث السمرقندي في تفسيره (بحر العلوم) .

كما ظهر في هذه المرحلة تفاسير لغوية تقوم على فهم النص القرآني حسب دلالة اللغة وروحها ومن أشهر أصحابها : الكسائي ، والفراء ، وأبو عبيدة والزجاج ، وغيرهم .

وبعد ذلك اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة فكان ما يسمى بالتفسير بالمأثور الذي هو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم .

وما يسمى (بالتفسير بالرأي) بقسميه المحمود منه والمذموم .

فالمحمود منه التزم أمورا منها : النقل عن رسول الله - ﷺ - وصحابته الكرام بما صح عنهم ، ثم الأخذ بمطلق اللغة ومقتضيات الكلام .

أما المذموم منه فهو الذي ألّفه أصحابه لتأييد مذاهبهم والانتصار به

لأذواقهم ومواجيدهم . وقد ظهر في هذا اللون من التفسير جهل كثير بالعربية وقواعدها ، وصرف لمقتضيات الكلام عما وضع عليه . وخروج عن قواعد الشرع الإسلامي .

وكانت هذه التفاسير مثلا سيئا للتعصب المذهبي للفرق الإسلامية . ومن هذه التفاسير : تفاسير الشيعة ، والمعتزلة ، والخوارج ، والصوفية ، وغيرها .

وبقي التفسير في نموه واتساعه إلى القرن الأخير حيث ظهرت تفاسير عدة تلائم روح هذا العصر . ولا زال علماء المسلمين يكتبون تفاسير للقرآن الكريم يتعرضون فيها لمشاكل العصر ويبرزون فيها هدايات القرآن وأحكامه ويلتمسون علاجه لها كتفسير المنار والجواهر وفي ظلال القرآن .

ومن أبرز من كتب في تاريخ التفسير الإسلامي ومذاهبه من المستشرقين المستشرق المجري « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) فكان كتابه شاملا لأفكار الكثير من أمثاله ومرجعا لمن جاء بعده .

ولاشك أن « جولد تسيهر » بذل جهدا كبيرا في الاطلاع على كتب التفسير المختلفة فجاء خليطا بين آراء علمية صائبة تارة وآراء الدافع للقول بها هوى دفين وحقد أسود .

فكان لابد من الوقوف عند هذه الآراء في ألوان التفسير المختلفة والرد عليها .

التفسير بالمأثور وموقف المستشرقين منه :

تعرض « جولد تسيهر » للتفسير بالمأثور بدراسة مطولة وكعادته يرفع الشيء حتى يجعله كالأصل الذي لا يستغنى عنه ، ثم يبدأ بعد ذلك يكيل التهم له والتشكيك فيه .

فمثلا جعله شاملا لكل الجوانب التي يحتاجها المسلم حتى وكأنه لا يحتاج لسواه . ولكنه بدأ بإظهار أفكاره السامة مظهرا نقاط الضعف في هذا النوع من

التفسير – على حد زعمه – منها :

١ – تمنع بعض الصحابة والتابعين والعلماء عن هذا العلم .

٢ – القول المنسوب للإمام أحمد – رحمه الله – : « ثلاثة أشياء لا أصل لها التفسير ، والملاحم ، والمغازي » .

٣ – كثرة الإسرائيليات وكثرة الوضع فيها ، والتضاد والخلاف فيها .

٤ – الطعن في سلسلة رجال روايات هذا التفسير كابن عباس وغيره .

والآن سأتناول هذه الأمور بالرد والتفنيد .

المبحث الأول :

تمنع بعض الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن الكريم[١]:

الأمر الأول :

زعم « جولد تسيهر » أن بعض الصحابة والتابعين امتنع عن تفسير القرآن الكريم ذكر منهم عمر بن الخطاب وأبا بكر – رضي الله عنهما – وأبا وائل شقيق ابن سلمة ، وعبيدة بن قيس الكوفي ، وسعيد بن جبير ، واللغوي الكبير الأصمعي ، وغيرهم .

الجواب :

إن شرف علم التفسير لا يخفى على كل ذي بصيرة قال الله تعالى : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾[٢] وقد فسر العلماء الحكمة في الآية الكريمة بتفسير القرآن الكريم والفقه فيه[٣] .

ورد هذا العلم الشريف ، وإنكاره ، ومنع الخوض والتبحر فيه يؤدي في

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧٣ – ٧٤ .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٩) .

(٣) انظر تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ١٤ .

النهاية لضياع المهمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم وهو الوقوف على معانيه من أجل العمل به .

كما يسبب هذا الترك لهذا العلم ضياع كثير من الحقائق الشرعية ، وكثير من المبادىء العامة ، والمسائل الخاصة .

فالمعروف أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يعطون القرآن الكريم وفهمه والعمل به كل جهدهم . أما من امتنع من الصحابة والتابعين من تفسير القرآن الكريم أو بعض آياته فقد كان تورعا واحتياطا لأنفسهم لعدم بلوغه شيء من ذلك عن رسول الله – ﷺ – أو تمنعه خوفا أن يقول شيئا في كتاب الله سبحانه لا يبلغ القول الصائب . والقائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به فيكون مخطئا في فعله وإن أصاب فيه برأيه[1] .

ومما يدل أن هذا العلم لا يجوز فيه إلا القول بعلم : ما رواه ابن أبي مليكة أن ابن عباس – رضي الله عنهما – سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها .

فهكذا كانوا رضوان الله عليهم لا يتكلمون إلا فيما يعلمون من القرآن[2] ويؤيد هذا كذلك قول أبي بكر – رضي الله عنه – لما سئل عن آية قرآنية قال : « أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم » .

والجدير بالذكر أن هؤلاء المنسوب إليهم التمنع عن القول في التفسير في بعض الآيات قد ثبت عنهم القول في آيات أخرى مما بلغهم فيها من علم .

فهذا يبطل دعوى « جولد تسيهر » وغيره ممن يحاولون التشكيك في التفسير بالمأثور بمثل هذا الموقف من بعض الصحابة والتابعين وبعض العلماء المخلصين .

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ١ / ٧٩ ، ٨٦ .

الأمر الثاني الذي استند عليه « جولد تسيهر » :

فهو قول الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – : [ثلاثة أشياء لا أصل لها : التفسير ، والملاحم ، والمغازي][1] .

وظاهر هذا القول أن روايات التفسير لا أصل لها .

وهذا ما فهمه « جولد تسيهر » من هذا القول ورد به التفسير بالمأثور . وهذا فهم خطأ وليس بصحيح وقد وضح العلماء قول الإمام أحمد هذا على أقوال :

١ – قال بعضهم : لا أصل لها : أي لا إسناد . لأن الغالب عليها مراسيل مثل ما يذكره عروة بن الزبير ، والشعبي ، والزهري ، وابن إسحاق ، وموسى ابن عقبة ، وغيرهم[2] .

وقال الزركشي في البرهان : [قال الميموني : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي والملاحم والتفسير] .

قال المحققون من أصحابه : ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير[3] .

٢ – قال السيوطي في الإتقان : [وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير والحمد لله ، وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي وذلك لأن الغالب عليها المراسيل][4] .

٣ – وفسر بعضهم عبارة الإمام أحمد بأن المقصود ثلاثة كتب . ودليلهم أن رواية الإمام أحمد رويت ثلاثة كتب كما نقلها الزركشي في الرواية السابقة الذكر .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٧٤ – ٧٥ .

(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية صـ ٥٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن – الزركشي ٢ / ١٥٦ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٧٨ طبعة مصطفي البابي الحلبي – مصر .

٤ - وفسرها بعضهم أن المقصود بالرواية أن تفسيرها مبني على علم مصطلح الحديث وذلك أنه لا يلزم من نفي الصحة ثبوت الوضع .

وقد روى عن الإمام أحمد - رحمه الله - : [أربعة أحاديث ليس لها أصل ومنها : للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس][١] .

فمن هنا يظهر أن هذه الحجج التي استدل بها منكرو التفسير بالمأثور مردودة عليهم وتدل على سوء نواياهم كهذا المستشرق اليهودي وبعض تلامذتهم مثل الأستاذ « أحمد أمين » الذي قال بناء على قول الإمام أحمد السابق : [وحسبك دليلا على مقدار الوضع ، أن أحاديث التفسير الذي ذكر عنها أحمد ابن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شيء ، وقدجمع فيها آلاف الأحاديث][٢] .

وهذه العبارة فيها الجهل باصطلاح علماء الحديث واضح وكذلك جهل بمراد العلماء منها ويدل على مقدار تأثر « أحمد أمين » وأمثاله - وهم كثير - بأقوال المستشرقين وانسياقهم وراءها .

فالحذر كل الحذر من هذه الأقوال والافتراءات حتى لو صدرت ممن يحسبون على الإسلام .

المبحث الثاني :

الوضع والإسرائيليات في التفسير أفقده قيمته والثقة به[٣] .

زعم « جولد تسيهر » أن كثرة الوضع والروايات الإسرائيلية في التفسير بالمأثور يفقده قيمته وعدم الثقة به .

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٠١ .

(٢) فجر الإسلام صـ ٢١١ - ٢١٢ ، ط ١٢ لسنة ١٩٦٩ م الناشر دار الكتاب العربي - بيروت لبنان نشأة التفسير وتطوره صـ ١٩ .

(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٨٦ وما بعدها صـ ١٢٩ .

الجواب عن هذه النقطة :

وجد المستشرقون والمبشرون في الإسرائيليات والروايات الموضوعة ما يشبع أهواءهم ، ويرضي تعصبهم الممقوت ، ويشفي نفوسهم المريضة الحاقدة على الإسلام ونبيه وقرآنه هذا الحقد والضغن الذي يعتبر امتدادا للحروب الصليبية التي شنوها على الإسلام والمسلمين والتي لا تزال إلى عصرنا هذا تتخذ أشكالا شتى ومظاهر متعددة .

وقد قام المستشرقون والمبشرون تارة بتصحيح الموضوع من الحديث وتارة بالحكم على الصحيح منها بالوضع[1] . ولم يكن خطرهم قاصرا عليهم بل تعداهم لبعض الجهلة من المسلمين خاصة عن طريق تلاميذهم وخريجي جامعاتهم الذين تربوا على موائدهم وفتاتهم . فصاروا أبواقا تردد صدى أصواتهم فسُلبوا الإرادة وعطلوا العقل بتسليمهم قيادها لأعدائهم فكانوا بحق أشد خطرا علينا من المستشرقين أنفسهم كما خطط لهم المستشرقون أن يكونوا ؛ لأن المسلم يحذر عدوه ولكن يركن ويأخذ بسلامة صدره ممن هو من أبناء جنسه ودينه لذا كان لابد من الوقوف عند هذه النقطة التي كانت من ضمن المآخذ في نظرهم على التفسير بالمأثور .

فالرواية الإسرائيلية هي الرواية المأخوذة من مصدر إسرائيلي سواء كانت التوراة أو شروحها وما اشتملت عليه ، أو التلمود وشروحه .. إلخ وهذه الكتب كان فيها الغث والسمين والصدق والكذب .

أما الموضوعات : فهي الرواية المختلقة المكذوبة على رسول الله – ﷺ – أو على من بعده من الصحابة والتابعين .

فالروايات الإسرائيلية دخلت للتفسير عن طريق بعض التابعين الذين كانوا من أهل الكتاب قبل أن يدخلوا في الإسلام والذين كانوا كثيرا ما يسألون عما في

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير صـ ٥ – ٦ .

كتب أهل الكتاب .

وقد وقف بعض المفسرين من هذه الروايات وقفات حذرة فبعضهم نبه عليها ، وقليل من تساهل فيها وللعلماء منها مواقف :

١ - رد كل الإسرائيليات التي تعارض القرآن ، أو تعارض أصلا إسلاميا مقدرا .

٢ - تعتبر الروايات الإسرائيلية الموافقة للقرآن مقبولة ، ولكن لنا غُنية عنها بما في القرآن .

٣ - أما الروايات التي لا تعارض القرآن الكريم ولا توافقه فينبغي أن يكون موقفنا إزاءها موقف الحذر والأناة والحياد . لا نكذبها خشية أن تكون صحيحة . ولا نصدقها خوفا من أن تكون مكذوبة .

وهذا يصدقه قول رسول الله - ﷺ - فيما رواه البخاري عنه : « .. لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » .

﴿**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ..** ﴾[1] . الآية .

والشاهد في الحديث الشريف قوله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »[2] .

قال ابن الملك تعليقا على هذا الحديث : « إنما نهى عن تصديقهم وتكذيبهم لأنهم حرفوا كتابهم ؛ وما قالوه إن كان من جملة ما غيروه فتصديقهم يكون تصديقا بالباطل ، وإن لم يكن كذلك يكون تكذيبهم تكذيبا لما هو حق »[3] .

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب تفسير سورة البقرة - باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل) ج ٥ - صـ ١٥٠ .

(٣) مبارق الأزهار ٢٢٠ نقلا عن لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٨٢ .

وهناك استدراك على هذا النوع الثالث من الإسرائيليات ذكره ابن كثير عند أول تفسير سورة « ق » قال رحمه الله تعالى : [وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوّزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل][1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : [.. ولكن هذه الروايات الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه (لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني) .

وكثير من هذه الإسرائيليات لا فائدة فيها تعود على المكلفين في دينهم وإلا لبينه القرآن الكريم لاتباعه[2] ثم إن ما نزل من القرآن الكريم فيه الغنى عن غيره .

أما الروايات الموضوعة المختلقة التي تسللت للتفسير بالمأثور أو لغيره من العلوم ، فلا يحل روايتها في أي باب من أبواب العلم إلا مقترنة ببيان أنها موضوعة مكذوبة .

ومن رواها من غير بيان وضعها فقد باء بالإثم العظيم وحشر نفسه في عداد الكذابين .

وكثير من العلماء المسلمين لم يتركوا الروايات الإسرائيلية والموضوعة دون بيان كابن كثير في تفسيره رحمه الله ، والأستاذ « أبو شهبة » في كتابه الأخير

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢١ طبعة البابي الحلبي .

(٢) لمحات في علوم القرآن صـ ١٨٤ .

(الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) . وهي لم تشكل أي مشكلة أمام العلماء وإنما هي مشكلة أمام قليلي العلم ، من حيث التمييز بين ما صح منها وغيره .

فبدراسة أسانيد الروايات ، ومعرفة أقطابها كشف حال الصحيح منها من السقيم ، فالرواية التي تنسب لأحد من أقطاب الإسرائيليات كان العلماء يقفون منها موقف الحذر بغلبة الظن أن تكون إسرائيلية إلا إذا دعمت الرواية من طرق أخرى .

فمن هنا يظهر أن هذه الروايات لم تكن خافية على أهل العلم ولم تكن منفردة في تفسير النص القرآني وقد جاء في الصحيح من الروايات ما فيه الغنى عن هذه الروايات فوجودها إذن لا ينقص من قيمة الروايات التفسيرية للنص القرآني فليس إذن كما ظن « جولد تسيهر » وحاول أن يضخمه أن التفسير فقد قيمته بدخول هذه الروايات فيه قاصدا من ذلك إبطال هذا النوع من التفسير القرآني .

المبحث الثالث :

التضاد والاختلاف في روايات التفسير بالمأثور يقلل قيمتها ويردها على حد زعم « جولد تسيهر »[1] .

تلقى الصحابة – رضوان الله عليهم – تفسير القرآن الكريم على النبي – ﷺ – ولذا كان النزاع بين الصحابة في التفسير قليلا ولكنه كثر فيمن أتى بعدهم من التابعين وتابعيهم وذلك لاستخدام أسلوب الاستنباط والاستدلال من الآيات القرآنية ، ولأخذهم عمن أسلم من أهل الكتاب وغالب ما يصح من الخلاف والتضاد فهو اختلاف تنوع وتفنن في العبارة ، لا اختلاف تضاد وتناقض كما فهم ذلك « جولد تسيهر » وغيره من المستشرقين . ومثال ذلك :

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي ١٠٢ .

١ – أن يعبر مفسر عن مراد الله في آية قرآنية بغير عبارة صاحبه تدل على نفس المعنى المراد كتفسيرهم لـ(الصراط المستقيم) على أقوال :

أ – فسره بعضهم بالقرآن لقوله – ﷺ – : « هو حبل الله المتين .. وهو الصراط المستقيم » .

ب – وفسره بعضهم بأنه الإسلام لقوله – ﷺ – : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما .. إلخ » .

فهذان القولان متفقان لا اختلاف بينهما لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف « لمسمى واحد » غير الوصف الآخر .

وقريب من هذا من فسره بالسنة والجماعة أو طريق العبودية أو طاعة الله ورسوله .

فكلهم أشار إلى مسمى واحد وذات واحدة ولكن كل واحد منهم وصف الصراط بصفة من صفاته .

٢ – أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعضِ أنواعه على سبيل التمثيل لا الحصر ، ولتنبيه المستمع على النوع المذكور لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه مثال ذلك :

قوله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنه مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله** ﴾[١] فالمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك الحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات ، أي النوافل مع الواجبات .

وكذلك الظالمون هم أصحاب الشمال ، والمقتصدون هم أصحاب الجنة والسابقون هم المقربون .

---

(١) سورة فاطر : ٣٢ .

ثم إن كلا منهم يذكر هذا في أنواع من أنواع الطاعات .

كقول القائل : السابق الذي يصلي في أول الوقت . والمقتصد الذي يصلي في أثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر الصلاة للاضطرار . أو كتفسير بعضهم لها بقوله :

السابق : المؤدي للصدقة مع الزكاة .

والمقتصد : المؤدي للزكاة المفروضة .

والظالم : مانع الزكاة .

فالملاحظ من تنوع هذه التفسيرات أنها بسبب الاشتراك في اللفظ أو المعنى لتنوع العبارة أو لتنوع الأسماء والصفات ، أو بسبب ذكر بعض أنواع المسمى . وهو الغالب في تفسير سلف الأمة والقرآن الكريم بطبيعته حمّال للوجوه وللمعاني المتعددة ، ومازال فيه سعة للأجيال القادمة أن يقولوا وجوها أخرى في معنى الآية القرآنية مما يزيد في دلالتها ومعانيها لذا فلا ممسك لما ذكره المستشرقون وعلى رأسهم « جولد تسيهر » في هذه النقطة .

المبحث الرابع :

الطعن في رجال هذا التفسير :

المسألة الأولى :

قام « جولد تسيهر » و « أوتولوث » و « كتياني » و « هـ. لوث » بالطعن في حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - وتلامذته وسلسلة الرواية عنه[2] .

---

(١) انظر مقدمة التفسير لابن تيمية صـ ٣٨ وما بعدها ، وكتاب الإسرائيليات والموضوعات في التفسير صـ ١١٧ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) انظر مذاهب التفسير صـ ٨٤ - ٨٨ .

كانت مادة التفسير في عهد الصحابة–رضوان الله عليهم–قائمة على ما يلي:

أ – تفسير القرآن بالقرآن .

ب – تفسير القرآن بالسنة .

وهذان المصدران كان المفسرون فيهما نقلةً أكثر من ألوان التفسير الأخرى .

جـ – تفسير القرآن بما يستنبطونه من الآيات وكان يعتمد ذلك على قوة فهمهم وسعة إدراكهم في معرفة أوضاع اللغة وأسرارها ، وأحوال الناس وعاداتهم في جزيرة العرب .

د – تفسير القرآن بما كانوا يسمعونه من أنباء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم .

وهذا المصدر أكثر ما تجده محصورا في قصص الأنبياء وقد تكلمت عن هذه النقطة في المبحث الثاني السابق .

وكان من أشهر الصحابة – رضوان الله عليهم – بالتفسير بالمأثور :

١ – عبد الله بن عباس .
٢ – عبد الله بن مسعود .
٣ – علي بن أبي طالب .
٤ – أبي بن كعب .
٥ – أبو بكر الصديق .
٦ – عمر بن الخطاب .
٧ – عثمان بن عفان .
٨ – زيد بن ثابت .
٩ – أبو موسى الأشعري .
١٠ – عبد الله بن الزبير .

وكان حبر هؤلاء والأمة جميعا في تفسير القرآن الكريم هو عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – الذي كان مقصد هجوم المستشرقين للتشكيك فيما نُقل عنه من هذا العلم الشريف . قال « جولد تسيهر » في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي مهاجما ابن عباس – رضي الله عنهما – بقوله : « وترى الرواية الإسلامية أنه – أي ابن عباس – تلقى بنفسه في اتصاله الوثيق بالرسول – ﷺ – وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها . وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة – كما في أحوال مشابهة – أن ابن عباس عند وفاة الرسول – ﷺ – كان أقصى ما بلغ من السن ١٠ – ١٣ سنة .

وأجدر من ذلك بالتصديق الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع في الأحوال التي يخامره فيها الشك إلى من يرجو عنده علمها .

وكثيرا ما ذكر أنه كان يرجع في (كتابه) في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى « أبا الجَلْد » والظاهر أنه حيلان بن فروى الأزدي الذي كان يثني عليه بأنه (قرأ الكتب) ..

وكثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديَّيْن اللذين اعتنقا الإسلام « كعب الأحبار » و « عبد الله بن سلام » ولم يعد « أوتولوث » شاكله الصواب إذ يتحدث عن مدرسة ابن عباس ذات المسحة اليهودية ..[1] .

الرد على هذه الافتراءات :

١ – ابن عباس ومكانته العلمية :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ابن عم رسول الله – ﷺ – ولد والنبي – عليه الصلاة والسلام – وأهل بيته بالشعب بمكة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولازم النبي – ﷺ – في صغره لقرابته منه وتوفي رسول الله – ﷺ – وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٨٤ – ٨٨ .

سنة فلازم بعده كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث الرسول - ﷺ - وكان على معرفة تامة بلغات العرب وآدابها . وواقفا على أسرارها كل ذلك جعله يعد من العلماء الكبار والمفسرين المشار إليهم بالبنان .

وكان كذلك ببركة دعاء الرسول - ﷺ - له حيث قال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »[1] .

كما ساعد في ذلك مزايا شخصية اجتمعت فيه قلّ أن تجتمع في غيره وهي : ذكاء نادر ، وذهن جوال ، وقريحة وقادة ، ورأي صائب ، ودين متين ، وإيمان راسخ ، وقلب عقول ، ولسان سؤول ، وقد أثنى عليه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بقوله : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس »[2] .

قيمته في التفسير :

كان ابن عباس - رضي الله عنهما - من أفقه الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله سبحانه وأعلمهم به حتى كان يلقب بالبحر لسعة علمه به .

قال عنه مجاهد : « إذا فسر الشيء رأيت عليه النور »[3] .

قال علي - رضي الله عنه - مثنيا على تفسيره بقوله : « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق »[4] .

وقال ابن عمر - رضي الله عنه - وطاووس ، وعكرمة ، وجابر بن عبد الله : « ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد »[5] .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ / ٢٦٦ .

(٢) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٦٥ ، ولمحات في علوم القرآن للصباغ صـ ١٢٣ مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٦ والحديث بلفظ (نعم ترجمان القرآن أنت) وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف ، انظر طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٦ .

(٣) مقدمة في أصول التفسير صـ ٦١ .

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين ١ / ٢٠ ، طبعة دار الجيل - بيروت - تعليق عبد الرؤوف سعد .

(٥) انظر تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف للشيخ محمد الهاشمي صـ ١١٧ .

ويدل على علو شأنه في هذا المجال رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله .

وقد أسس ابن عباس – رضي الله عنهما – مدرسة تفسيرية في مكة تعتبر في مقدمة المدارس الأخرى قال عنها ابن تيمية – رحمه الله – : « وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة ، لأنهم أصحاب ابن عباس »[1] .

وكان من تلاميذها مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس – رضي الله عنهم – .

وقد زودت هذه المدرسة سائر الأمصار بعلمها : حتى أن لإعجاب الناس بتفسيره ما كانوا يعدلون إلى قول غيره ، وإذا تعارض قوله مع أقوال غيره من الصحابة كان يقدم قوله كما صرح بذلك الإمام الزركشي[2] .

وقد كثرت الرواية عن ابن عباس – رضي الله عنهما – كثرة كبيرة مما دعا بعض ضعاف النفوس بالكذب عليه – رضي الله عنه – .

وهناك طرق عديدة نقلت عنه – رضي الله عنه – وهي متفاوتة في القوة وسأقتصر على ذكر طريقين قويين وأخرى واهية .

١ – أجود الطرق هي طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . وابن أبي طلحة غالبا يروي عن مجاهد عن ابن عباس . وهذه الطريق اعتمدها البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن .

وقد ركز « جولد تسيهر » بالتعريض بهذه الطريق ورجالها كاعتباره أن عرض مجاهد المصحف على ابن عباس – رضي الله عنهما – ثلاث عرضات من الأساطير .

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٦٦ – ٣٧٢ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٦٩ – ٧٠ ودراسات في التفسير ورجاله ٦٠ – ٦١ .

فمجاهد بن جبر أعلم تلاميذ ابن عباس بالتفسير حتى قال سفيان الثوري - رحمه الله - « إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به » .

وقد أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وقد خرّج له أصحاب الكتب الستة مما يدل على قبول أقواله في التفسير على عكس ما شكك به « جولد تسيهر » .

ومجاهد - رحمه الله - هو أحد الأعلام الأثبات كان ثقة فقيهاً عالما[1] ورعا عابدا متقنا كثير الحديث توفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ على الأشهر .

كما شكك « جولد تسيهر » بطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير زاعما أنه لم يسمع منه أصلا - رضي الله عنهما -[2] .

والمعروف أن هذه الطريق من أوثق الطرق عن ابن عباس - رضي الله عنه - وأنه قد رواها عنه معاوية بن صالح .

قال الإمام أحمد -رحمه الله - عن هذه الطريق : « إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كانت كثيرا » .

وقال ابن حجر - رحمه الله - عن هذه الصحيفة : « .. هذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهي عند البخاري عن أبي صالح ، وقد اعتمد عليها كثيرا هذا الإمام في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس » .

كما اعتمد هذه الطريق ابن جرير الطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، ومسلم ، وأصحاب السنن جميعا .

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٠٤ وما بعدها .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٨ .

وكون علي بن أبي طلحة كان يرسل في هذه الطريق لا يقلل من أهميتها لأنه كان يرسل عن الإمامين مجاهد بن جبر أو سعيد بن جبير وكلاهما ثقة وروايتهما مقبولة . فهذا كله يرد دعوى « جولد تسيهر » فيما أثاره من تشكيك حول هذه الطريق .

وأما زعمه أن ترجمتهما قد أحيطت بهالة من الأساطير خاصة في عرضه القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات فقد رد الإمام الذهبي على هذه الشبهة قائلا : « إن هذا ليس بكثير على من بلغ أن يكون وعاءً من أوعية العلم حتى عُدَّ الإمام مجاهد – رحمه الله – أعلم التابعين بتفسير كتاب الله سبحانه[1] .

٢ – وهناك طريق أخرى صحيحة وهي : قيس بن مسلم الكوفي ، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، ويعتمدها الحاكم في « مستدركه » .

٣ – أما الطريق الواهية الضعيفة فهي :

محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومحمد يروي عن الكلبي محمد بن مروان السدي الصغير . الذي سميت سلسلته بسلسلة الكذب[2] .

أما تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – المطبوع بعنوان : (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) والذي جمعه الفيروز آبادي صاحب (القاموس) فإن رواياته كلها تدور حول محمد بن مروان السدي الصغير ، وهو أحد الكذابين من أجل ذلك فلا يطمأن بحال من الأحوال إلى ما ورد في هذا الكتاب[3] .

هكذا نجد أن علماءنا الأفاضل لم يداهنوا أحدا في دين الله حتى لو كان

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٧٧ – ٧٨ ، وتذكرة الحفاظ – للذهبي ١ / ٩٢ .
(٢) لمحات في علوم القرآن – الصباغ صـ ١٣٣ – ١٣٤ .
(٣) لمحات في علوم القرآن – الصباغ صـ ١٣٤ .

من بيت النبوة لذا بدافع حرصهم على هذا الدين كانوا يميزون بين الرجال العادلين ومجروحيهم ، وبين الصواب والخطأ ، والصدق والكذب لذا أبانوا كل ما نسب لهذا الإمام الجليل إن كان صوابا أو خطأ معدلا أو مجرحا . مما يرد على افتراءات هؤلاء المشككين المفترين من المستشرقين وأعوانهم .

المسألة الثانية :

رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - عن أهل الكتاب واستغلال المستشرقين لها لرد التفسير بالمأثور والتشكيك فيه :

كان من أبرز النقاط التي أبرزها كل من « جولد تسيهر » و « كتياني » و « لوث » من المستشرقين خلال طعنهم في ابن عباس أخذه عن أهل الكتاب .

فابن عباس - رضي الله عنه - كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير يرجعون في فهم معاني القرآن إلى ما سمعوه من رسول الله - ﷺ - وإلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد ، مع الاستعانة بما عايشوه من أسباب النزول ، وملابسات الأحداث التي نزلت فيها الآيات القرآنية . وكان أخذهم عن أهل الكتاب في نطاق ضيق في مجال القصص القرآني ، لما توسعت به كتبهم دون القرآن الكريم . وذلك لأخذ العبرة والاعتبار . آخذين بقوله - ﷺ - : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[1] . ولم يكونوا يسألونهم في أمور العقيدة أو فروع الشريعة لكمال شرعنا وتمامه في تنزيه الله سبحانه وعصمة أنبيائه ؛ لذا جاء النهي من رسولنا - ﷺ - عن هذا المجال حيث قال - ﷺ - : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء »[2] .

أما الأمر الذي كان يحتمل الصدق والكذب ولم يقم دليل على صدقه ولا على كذبه ، لأنه ربما كان صدقا في نفس الأمر فيكون في تكذيبه حرج ، وربما

---

(١) صحيح البخاري ٤ / ١٤٥ كتاب الأنبياء باب ٥٠ ما ذكر عن بني إسرائيل .

(٢) نفس المرجع ٨ / ١٦٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٥ قول النبي - ﷺ - لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء .

كان كذبا في نفس الأمر فيكون في تصديقه حرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه كما أفاد هذا ابن حجر ونبه عليه الشافعي - رحمه الله تعالى -[1] .

وهذا ما يوافق قوله - ﷺ - « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم »[2] .

هذا هو الطريق الوسط الذي رسمه لنا رسول الله - ﷺ - بالتعامل مع أهل الكتاب وتقيد به صحابته - رضوان الله عليهم - وكان على رأسهم ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي كان ينكر على من يخالف هذا الطريق بقوله : « يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذي أنزل على نبيه - ﷺ - أحدث الأخبار بالله ، تقرؤونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيّروا ما بأيديهم من الكتاب . فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم . ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم »[3] .

هذا يوضح جليا طريق ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي سلكه بالأخذ عن أهل الكتاب . وأن كل ما ادعاه المستشرقون لم يكن الغرض منه إلا التشكيك برجال هذا التفسير لرده وتشكيك الناس فيه والله خير حافظا لهذا الدين حيث قيض له من يرد عنه تحريف المبطلين وزيف الجاحدين أمثال هؤلاء المبشرين والمستشرقين والملحدين على مدار العصور والدهور .

من هذه الروايات التي ذكرها « جولد تسيهر » عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في أخذه عن أهل الكتاب تفسيره للأجل الذي قضاه موسى - عليه السلام - عند نبي الله شعيب عندما نزل في مدين يقصد ما جاء في قوله تعالى :

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ١٢٠ .

(٢) صحيح البخاري ٨ / ١٦٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري ٥ / ١٨٥ كتاب الشهادات انظر فتح الباري .

﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ﴾[1] .

فقد روى تفسيرها عن ابن عباس تلميذه سعيد بن جبير حيث قال سعيد : جاءني يهودي من الكوفة وأنا أتجهز للحج فقال : إني أراك رجلا تتبع العلم ، فأخبرني أي الأجلين قضى موسى : قلت : لا أعلم . وأنا قادم على حبر العرب (يعني ابن عباس) فسائله عن ذلك . فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال : « صدق هكذا أنزل أيضا على موسى »[2] .

والملاحظ أن هذه الرواية[3] إن أخذ تفسيرها ابن عباس عن أهل الكتاب فتكون مما تتمشى مع منهج ابن عباس – رضي الله عنهما – في الأخذ في مجال القصص دون مسائل العقيدة والتشريع .

ويحتمل أن تكون باجتهاد منه فوافقت ما عندهم فظن أنه أخذها عنهم والله تعالى أعلم .

وأما ما ذُكر من أخذ ابن عباس – رضي الله عنهما – عن أبي الجلد جيلان ابن فروي الأزدي فإنه لم يثبت أخذه عنه إلا في موضعين فقط حين سأله عن البرق والرعد .

وأما ما أخذه عن كعب الأحبار وعبد الله بن سلام فلم يكن كذلك إلا في موضعين من التفسير كذلك[4] وكل من أشار إليهم « جولد تسيهر » من المذكورين سابقا قد أسلموا وحسن إسلامهم .

---

(١) سورة القصص : ٢٨ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٢ – ٩٣ .

(٣) ذكر هذه الرواية الطبري في تفسيره ٢٠ / ٤٣ / ٤٤ .

(٤) هذا التعليق لأستاذي فضيلة الشيخ منّاع القطان أثناء جلسة المناقشة للرسالة .

من هنا يظهر مقدار تعسف هؤلاء المستشرقين بتضخيمهم القضايا الصغيرة وبناء نتائج خطيرة عليها كتكبيرهم مثل هذه القضية ليصموا مدرسة تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – بأنها ذات مسحة يهودية .

المسألة الثالثة :

ابن عباس والشعر :

شكك « جولد تسيهر » في مقدرة ابن عباس – رضي الله عنهما – اللغوية بانيا شبهته على ما نسب لابن عباس من إجابات لأسئلة نافع بن الأزرق الزعيم الخارجي .

جاء في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي حول هذه الشبهة « .. وبذلك المبدأ المنهجي المنسوب إلى ابن عباس اقترنت على النمط العربي أسطورة مدرسية عظيمة الإفادة وجدت مدخلا إلى المعجم الكبير للطبراني (ت – ٣٦٠ هـ) وذلك أن الزعيم الخارجي : نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن ، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من الشعر القديم .. إلخ »[(١)] .

أنزل الله سبحانه هذا القرآن الكريم باللغة العربية التي حفظت في أقوال العرب وشعرهم ؛ لذا كان أحدهم إذا استغلق عليه معنى كلمة أو عبارة فتش عن ذلك في لهجة قبيلة من القبائل أو في كلام شاعر ليصل لمعناها .

فلما نزل القرآن الكريم كان بعضه يفهمه الصحابة بأنفسهم من تفسير القرآن بالقرآن ، أو من السنة ، فإذا لم يجدوا رجعوا للغة العربية وأهلها وعلى رأس ذلك الشعرالعربي « ديوان العرب » وقد بين ابن عباس – رضي الله عنهما – أوجه وتفسير القرآن الكريم بقوله : [التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب في كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى][(٢)] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٩٠ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير صـ ١١٥ .

وقد كان ابن عباس – رضي الله عنهما – ممن منّ الله سبحانه عليه بالتمكن والتبحر في هذا الجانب . فقد نقل ابن سعد – رضي الله عنهما – أن ابن عباس – رضي الله عنهما – كان يسأل عن القرآن الكريم كثيرا فيقول : كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول : كذا وكذا »[1] .

ولأهمية هذا الجانب في فهم القرآن الكريم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يحث الصحابة بالرجوع للشعر لفهم ما يستغلق عليهم فهمه من القرآن الكريم .

فقد روي أن ابن الخطاب سأل أصحابه عن معنى قوله تعالى : ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾[2] . فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له : « هذه لغتنا التخوف : التنقص فيقول له عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فيقول : نعم ويروي قول الشاعر :

تخوف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن[3]

فيقول عمر – رضي الله عنه – لأصحابه : عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٧ .

(٢) سورة النحل : (٤٧) .

(٣) انظر تفسير الطبري ١٤ / ٧٧ . والبيت لزهير بن أبي سلمى .
ومعنى البيت : التامك : هو السنام المرتفع ، والقرد : أي الذي أكله القراد من كثرة أسفارها من تحت الرحل .
وعود النبعة : شجر تتخذ منه القسي ، والسفن : المبرد الحديد الذي تبرى به الخشب .
فمعنى البيت على هذا أن الشاعر قال : تنقص رحلها (سنامها) المرتفع الذي تنقر لكثرة أسفارها كما تنقص المبرد عود النبعة ، وفيه تشبيه بها بالصلابة : (هذا تعليق شيخي منّاع القطان خلال جلسة المناقشة) .

(٤) التفسير والمفسرون ١ / ٤٧ .

وقد امتاز ابن عباس – رضي الله عنهما – بكثرة حفظه من الشعر فقد كان يستحضر معاني الآيات القرآنية من الشعر وقد كان من تمكنه في هذا الجانب أن خصص لمن يريد الشعر من تلاميذه مجلسا من مجالسه يتلقى عنه ذلك .

قال عطاء : « كان ناس يأتون ابن عباس للشعر ، وناس للأنساب ، وناس لأيام العرب ووقائعها ، فما منهم من صنف إلا يعيل عليه بما شاء »[1] .

والذي يدل على قدرته على الشعر واستدلاله على معانيه المناظرة التي حصلت بينه رضي الله عنه وبين الخارجي نافع بن الأزرق في فناء الكعبة والتي كان يريد منها هذا الخارجي إظهار عجز ابن عباس – رضي الله عنه – وإفحامه أمام الحاضرين حيث سأله عن مائتي مسألة في القرآن الكريم طالبا الاستشهاد على أقواله من أشعار العرب مذهلا سامعيه بتبحره وتمكنه . وقد ذكر مبدأ الحوار الذي كان بينهما السيوطي – رحمه الله– في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) .

حيث قال : بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن الكريم .

فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة ذلك من كلام العرب ، فإن الله تعالى : « إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين » . فقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : « سلاني عما بدا لكما » إلى آخر المسائل وأجوبتها[2] .

وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتابه « الوقف والابتداء » وأخرج الطبراني بعضها الآخر في معجمه الكبير .

وسواء ثبتت هذه المناظرة بتمامها أو ببعضها برواية السيوطي وابن الأنباري

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٧ .

(٢) الإتقان في تفسير القرآن ١ / ١٢٠ ، والتفسير والمفسرون ١ / ٨٢ – ٨٣

فإنها تدل على قوة ابن عباس – رضي الله عنهما – في معرفته بلغة العرب ، وإلمامه بغريبها إلى حد لم يصل إليه غيره[٤] مما جعله يصل لمرتبة الإمامة في هذا العلم الشريف ويكون مرجعا للمفسرين الذين جاءوا بعده . وكان رحمه الله واضعا لنواة التفسير اللغوي .

وهذا كله يرد على تشكيكات المستشرقين في قدرة هذا الإمام الجليل بهذا الجانب ومحاولة زعزعة ثقة الناس بهذه المقدرة العالية عنده – رحمه الله – .

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٧٥ .

الفصل الثاني

التفسير بالرأي ورد شبهات المستشرقين حوله

المبحث الأول

التفسير في ضوء العقيدة - مذهب أهل الرأي -

أ - التعريف بالتفسير بالرأي

ب - حكم التفسير بالرأى

المبحث الثاني

الشبه التي أثيرت حول هذا النوع من التفسير

المبحث الثالث

جولد تسيهر وبعض كتب أهل الرأي المذموم

الفصل الثاني

التفسير بالـــرأي

ورد شبهات المستشرقين حولـه

توطئة :

إن تفسير القرآن بالرأي هو عبارة عن تفسير القرآن الكريم بالنظر المجرد الذي يستعين بقواعد اللغة ، وأساليب البيان من غير أن يخالف تفسيرا ورد عن النبي - ﷺ - أو عن الصحابة ، أو دون أن يتنافى مع أسباب النزول التي صحت طرق إثباتها .

وهذا النوع من التفسير موضع خلاف بين العلماء :

فبعضهم تشدد ومنع أن يفسر القرآن بالرأي ، ويرى أنه لابد من بيانه من علم السنة والعمل بأقوال الصحابة ، وما يجمع عليه التابعون . ومن الذين عارضوا هذا اللون من التفسير شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : [فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام] .

والإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - الذي حرمه كذلك كما ذكر ذلك عنه « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) وقد استدلوا بقوله - ﷺ - : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٦٩ ورواه الترمذي في الجامع الصحيح جـ ٥ / ١٩٩ برقم (٢٩٥٠) .

وقوله – ﷺ – : « من قال في القرآن بالرأي فأصاب فقد أخطأ »[1] .

كما استدل المانعون بموقف بعض الصحابة – رضوان الله عنهم – من نهيهم عن تفسير القرآن الكريم بهذه الطريقة .

كقول أبي بكر – رضي الله عنه – : « أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم »[2].

وقد استغل أدلة المانعين هذه المستشرقون وعلى رأسهم « جولد تسيهر » ليردوا بذلك التفسير بالرأي وسأرد على هذه النقاط التي أثارها المستشرقون لأظهر سوء نيتهم في التركيز على مثل هذه الأدلة .

وقبل الخوض في الموضوع لابد من معرفة المراد بالرأي فبعض المفسرين اعتبر المراد « بالرأي » هو الهوى ، أو القول بالتشهي ، أو الميل النفسي من غير استناد على دليل وهذا المعنى هو الذي أخذ به المانعون .

ولاشك أن هذا النوع من التفسير هو التفسير بالرأي المذموم وهو لا يجوز ، ويحرم العمل به لأنه يخالف الحق المراد من النص القرآني .

وفريق آخر من العلماء أجاز هذا اللون من التفسير وسيأتي توضيح هذه الآراء بأدلتها بعد قليل إن شاء الله تعالى :

أما التفسير بالرأي الجائز العمل به والأخذ به هو ما استند فيه في فهم كتاب الله سبحانه للعقل مستعينا على فهم ذلك . من غير أن يخالف تفسيرا ورد عن النبي – ﷺ – أو عن صحابته – رضوان الله عنهم – ولا يتنافى مع سبب نزول صح إسناده .

فعلى هذا يحمل النهي الذي ورد ذكره في الأحاديث والأقوال المنسوبة

---

(١) انظر الجامع الصحيح للترمذي جـ ٥ / ٢٠٠ رقم ٢٩٥٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١ / ٧٨ وتفسير ابن كثير ١ / ٥ .

لبعض الصحابة على من قال في القرآن بهواه ، من غير دليل آخذا بظاهر اللفظ دون الرجوع لصحيح المأثور ، ولا لأقوال من شاهدوا التنزيل ، ولا لما صح عنهم من أسباب النزول . فلا شك أن هذا التفسير مذموم ، وقول في كتاب الله من غير علم ودليل .

وأما تمنع بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - من التفسير بالرأي وما اشتهر عن بعضهم في هذا الخصوص كالقول المأثور السابق الذكر المنسوب لأبي بكر - رضي الله عنه - أو قول عمر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وأبا ﴾ فإنما كان ذلك منهم تورعا لا تحريما .

ويحتمل أن يكون ذلك منهم إحجاما مقيدا بما لم يعرفوا وجه الصواب فيه . وإلا فقد صح عنهم تفسيرهم لبعض الآيات التي استبان لهم فيها وجه الصواب كتفسير أبي بكر وموافقة عمر - رضي الله عنهما - لمعنى (الكلالة) أنه ما عدا الوالد والولد .

ويمكن أن يقال : إنما أحجم من أحجم منهم لأنه لم يكن يتعين للإجابة وكان هناك أناس يقومون بهذه المهمة ، وإلا فإن لم يكن هناك سواه لشرح كتاب الله وجب عليه التفسير حتى لا يكون كاتما للعلم خاصة إذا كان يملك أدوات التفسير[1] .

المبحث الأول :

التفسير في ضوء العقيدة - مذهب أهل الرأي :

الجواب :

الرأي في اللغة : يطلق على الاعتقاد ، وعلى الاجتهاد ، وعلى القياس ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس .

---

(١) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ١٩٥ .

أما الرأي في الاصطلاح :

هو تفسير القرآن بالاجتهاد اعتمادا على الأدوات التي يحتاجها المفسر من النقل من حديث رسول الله - ﷺ - ومن أقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - وبالأخذ بمطلق اللغة ومراعاة مقتضى الكلام[1] .

فمن أخذ بهذه الأمور مجتمعة كان تفسيره جائزا محمودا وإلا فتفسيره مذموم مردود على صاحبه .

حكم التفسير بالرأي :

اختلف العلماء المسلمون من قديم في جواز تفسير القرآن بالرأي ؟ فقوم تشددوا ولم يبيحوا تفسير شيء من القرآن ما لم يرد فيه أثر من المرفوع أو الموقوف .

وقوم لم يروا بأسا من أن يفسروا القرآن باجتهادهم[2] وقد استدل كل من الفريقين بأدلة تدعم رأيهم .

فمن أدلة المجيزين :

١ - أن القرآن نفسه يأمر بالتدبر والاستنباط واستشهدوا بقوله تعالى : **﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾**[3] فهذه الآية دلت على الاجتهاد عند عدم النص لدى أولي الأمر من أهل العلم والفقه في الدين ، الذين يستخرجون المعاني بفطرتهم ، وما يؤدى إليه ذلك من العلم ، والتفسير بالرأي اجتهاد في فهم معاني القرآن ، فيدخل في عموم الآية .

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٢) محاضرات في علوم القرآن صـ ١٥٢ .

(٣) سورة النساء : ٨٣ .

وقوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[1] .
حث الله في هذه الآية على تدبر القرآن والاعتبار به . والتدبر يقتضي التفكير والنظر في معانيه ، وهذا معنى التفسير بالرأى ، فتكون هذه الآية قد حثت على التفسير بالرأي .

٢ - أن القرآن يحتوي على جميع علوم الدين ، بعضها بطريق العبارة ، وبعضها بطريق الإشارة ، والثاني يحتاج إلى التعمق في الفهم ولا يكفي الوقوف عند ظاهر الآيات والتوقف مع المأثور .

فلابد من القول فيه بالعقل والتفكر لبيان معنى ، واستنباط حكم ، وتفسير لفظ ، وفهم مراد لم يقف عنده السابقون لعدم الحاجة إليه في عصرهم .

فإن توقفنا مع المأثور من التفسير فقط تتعطل هذه الأحكام والمعاني وهذا لا يكون إلا بالتفسير بالرأي[2] .

٣ - فسر الصحابة القرآن ، واختلفوا في تفسيره على وجوه ولم يسمعوا كل شيء قالوه من النبي - ﷺ - بل هناك من الأقوال ما سمعوه منه وهناك ما اجتهدوا فيه ، واختلف المفسرون في بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل متباينة لا يمكن الجمع بينها ، وسماع جميعها من الرسول - ﷺ - محال . ولو كان بعضها مسموعا وبعضها غير مسموع لوجب رد غير المسموع ، إذاً لابد أن كل مفسر قال بما هداه إليه استنباطه ، ومن أمثلة ذلك اختلاف المفسرين في تفسير فواتح السور .

ورسول الله - ﷺ - لم يبين إلا ما لا يوصل إلى علمه إلا به ، ودعت الحاجة إليه ، وترك كثيرا مما يدركه باب الاجتهاد باجتهادهم . فلم يلزم في جميع تفسير القرآن التوقيف .

---

(١) سورة محمد : ٢٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١ / ٣٧ .

٤ - أن النبي - ﷺ - دعا لابن عباس - رضي الله عنه - قائلا : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

ولو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل لما كان هناك فائدة في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء. فدل ذلك على أن التأويل الذي دعا به الرسول - ﷺ - لابن عباس أمر آخر سوى السماع والنقل وذلك هو التفسير بالرأي والاجتهاد .

٥ - حث القرآن على التعمق بالفهم فقال تعالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** ﴾[١] .

قال المفسرون : إن الحكمة المقصودة في هذه الآية هي فهم القرآن الذي ينبغي أن يحرص على إدراكها القادر عليها ، لأن الآية اعتبرت فهم القرآن خيرا ينبغي الحرص على فهمه[٢] .

وما أحسن قول الإمام « الراغب الأصفهاني » حيث قال : « فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه ، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى ﴿ **ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾[٣] فالتفسير بالرأي اجتهاد ، والاجتهاد جائز في الشريعة ، فالتفسير بالرأي جائز . لأن التفسير بالرأي يعني الاجتهاد في فهم القرآن وإدراك معانيه واستنباط الأحكام منه . كما أن الاجتهاد في الشريعة بضوابطه دلت عليه نصوص كثيرة ، والمجتهد مأجور أصاب أو أخطأ . وبهذا يكون الاجتهاد بفهم القرآن جائزا وهو التفسير بالرأي[٤] .

هذه الأدلة بمجموعها تدل على أن التفسير بالرأي الموافق لكلام العرب

---

(١) سورة البقرة : (٢٦٩) .
(٢) دراسات في التفسير ورجاله صـ ٤٥ .
(٣) سورة ص : (٢٩) .
(٤) هذه من تعليقات أستاذي الشيخ مناع القطان أثناء جلسة مناقشة الرسالة .

وعلى موافقة الكتاب والسنة ولم يتعارض مع المأثور بشيء نوع جديد من التفسير[1] .

هذا كله يرد على تشكيكات المستشرقين في رد التفسير بالرأي . ويدل على جوازه وأن ما أثاره من أدلة « جولد تسيهر » قد رددت عليها ووجهت أدلة المانعين . وما أشرت له من أدلة المجيزين وتوجيه أدلة المانعين يدل أن التفسير بالرأي قسمان : تفسير بالرأي محمود ، وهو ما كان متقيدا بشروط التفسير من استفراغ الجهد في البحث في المأثور ، ثم بعد ذلك إعمال الفكر في الآية متقيداً بضوابط اللغة ومراعاة مقتضى الكلام[2] وغير ذلك من الأمور المهمة لهذا التفسير .

فمن أخذ بكل ذلك كان تفسيره محموداً . أما من خرج عن هذه الضوابط سائرا في تفسيره وراء هواه ، أو قال في القرآن بغير علم لأنه ليس له أهل أو حمّل الآيات مالا تحتمله فتفسيره مذموم كتفاسير أصحاب الفرق الضالة .

أما المانعون فقد استدلوا بعدة أدلة وهي الأدلة التي استغلها « جولد تسيهر » وزمرته من المستشرقين للطعن في هذا النوع من التفسير وذكروا عدم جوازه .

فمن هذه الأدلة والتي لم يتركها المجيزون من الرد والتوجيه :

١ - استدلوا بحديث رسول الله - ﷺ - والذي فيه أنه يخشى على مستقبل أمته من ثلاث : منها : « رجال يتأولون القرآن على غير تأويله »[3] أو كما قال - ﷺ - .

وقد ذكر الأستاذ عبد الحليم النجار أن هذا مرسل من مراسيل أبي داود - رحمه الله - . فعلى هذا فالحديث ضعيف لا يحتج به .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ١٩٦ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٣) انظر المراسيل لأبي داود السجستاني صـ ٣٥٨ باب في البدع - مؤسسة الرسالة .

٢ - كما استدلوا بقول أبي بكر - رضي الله عنه - : [أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأي أو بما لا أعلم][1] .

هذا القول أرسله عن أبي بكر - رحمه الله - التابعي الثقة أبو معمر عبد الله ابن سبرة الأزدي والحديث لا يفيد المنع لتفسير القرآن بالرأي ، وإنما أراد به التفسير الذي لم يقم عليه دليل ، أو كان المنع تخوفا أن لا يصيب هذا التفسير مراد الله سبحانه ، ويؤيد هذا التخريج أن أبا بكر نفسه لما سئل عن الكلالة قال : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله سبحانه ، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه : الكلالة من لا ولد له ولا والد . ولما تولى الخلافة عمر قال : إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه .

ووضح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذا المعنى بقوله : [فهذه الآثار الصحيحة وماشاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم من الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه][2] .

وهذا ما وجدناه من بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - بيان ما علموه من معنى كتاب الله سبحانه ، والسكوت فيما ليس لهم به علم تورعا وحيطة لأنفسهم حتى يقولوا في كتاب الله بغير علم ، وأن لا يصيبوا مراد الله وهذا هو الواجب في حق من تصدر لتفسير كتاب الله سبحانه أن لا يقول في كتاب الله سبحانه إلا بما يعلم . قال تعالى : ﴿ **لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾[3] ولقوله- ﷺ - : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[4] .

فمن هنا وجدنا مجموعة من الصحابة قد اشتهروا في تفسير القرآن الكريم

---

(١) تفسير الطبري ١ / ٧٨ .
(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير صـ ٨٠ .
(٣) سورة آل عمران : ١٨٧ .
(٤) مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٦٣ .

كابن عباس ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهم كما أنه قد ورد تفسير القرآن عن كثير من تلاميذتهم وهم من خيار التابعين كسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة ، وقتادة الدوسي ، والحسن البصري ، وغيرهم .

فلولا جواز مثل هذا النوع من التفسير لما وجدنا لهم هذا الكم من الأقوال في تفسير كتاب الله سبحانه ، ومن أقوالهم المأثور وغير المأثور . أما من قال في كتاب الله سبحانه دون أهلية ، وبلا علم فإن أصاب برأيه فقد أخطأ بفعله وتجرّئه على كتاب الله سبحانه . فيتناول من يعرف الحق لكنه يميل إلى رأي من طبعه وهواه فيتأول القرآن وفق هواه حتى لو لم يلح له ذلك المعنى في القرآن الكريم ، ومثل هذا إن صادف الحق والصواب في الواقع ونفس الأمر فإنما هو اتفاق من غير قصد ورمية من غير رام . أو يكون ممن أضله الله على علم ناصرا لبدعة ، أو متبعا لهوى كأصحاب الفرق الضالة والمنحرفة .

أما قوله - ﷺ - : « من قال بالقرآن الرأي فأصاب فقد أخطأ فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية « فقد كفر » ذكر الأستاذ شاكر أن هذا الحديث في سنده عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد تكلموا فيه(١) . وعلى فرض صحة الحديث فالمقصود به أن يفسر كتاب الله - سبحانه -فيجعل رأيه أصلا ، والقرآن تبعا له فيلوي أعناق الآيات لتوافق هواه وتلبي رغباته ومبادئه ويتمثل هذا النوع من التفسير في تفسير أهل الفرق والأهواء الضالة من شيعة ومعتزلة وخوارج ومن تبعهم اليوم من قاديانية وبهائية وبابية وغيرهم من الفرق الباطنية .

والحديث فيه حث وإلزام أن لا يقولوا في القرآن بالرأي وإنما يلزموا أنفسهم بما علموه من كتاب الله - سبحانه - وبما يعرفون من ضوابط تفسيرية وأهلية تجيز لهم القول في كتاب الله - سبحانه - مع مصاحبة المفسر للخشية والصلاح في كل أحواله يدعوه للتريث في تفسير القرآن الكريم وعدم التسرع به .

---

(١) انظر الطبري ١ / ٧٧ بتحقيق أحمد شاكر .

وخير قدوة له ما ذكرنا من موقف الصحابة - رضوان الله عليهم -[1] .

ومجموع أدلة المجيزين وتوجيه أدلة المانعين والرد على شبهات هؤلاء المستشرقين الذين وجدوا في أقوال المانعين وأحوالهم فرصة لنسف هذا النوع من التفسير والتشكيك فيه . وقد حاولت الاقتصار على شبهاتهم لأنه موضوع رسالتنا . أما أدلة المانعين الأخرى فلها كتب أخرى للرد عليها ، فمن كل هذا يظهر مقدار أهمية هذا النوع من التفسير ومقدار الحاجة الملحة له خاصة والقرآن حمال للوجوه ، والبشرية مع تطورها وتقدم علومها الإنسانية ومعارفها البشرية لا تنفك عن الحاجة إليه بما يلائم عصرها وجيلها .

وقد اشتهر من هؤلاء مفسرون عظماء أجلاء كالإمام البيضاوي في تفسيره (أسرار التأويل) ، والخازن في تفسيره (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، وأبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) وغيرهم كثير . أما من المعاصرين جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) والطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) والأستاذ الشهيد سيد قطب - رحمه الله - في كتابه (في ظلال القرآن) الذي نال شرف السبق فيهم جميعا .

فالخلاصة :

أن تفسير القرآن الكريم بالرأي والاجتهاد نوعان :

النوع الأول :

التفسير بالرأي الممدوح المقبول وهذا ما أجازه المجوزون من جمهور السلف والخلف واستدلوا بجوازه بالأدلة النقلية والعقلية .

وهذا النوع من التفسير مبني على المعرفة الكافية بعلوم العربية ، والقواعد الشرعية والأصولية ، وبالسنة النبوية بحيث لا يعارض نقلا صحيحا ولا عقلا سليما ، ولا علما يقينيا ثابتا مستقراً مع بذل غاية الوسع والجهد في البحث

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات صـ ٨٠ - ٨١ .

والاجتهاد ، والمبالغة في تحري الحق والصواب ، مع التريث وعدم العجلة ، وتجريد النفس عن الهوى والاستحسان بغير دليل مع مراقبة الله سبحانه في كل الأحوال .

النوع الثاني :

التفسير بالرأي المذموم المردود :

وهذا النوع من التفسير هو الذي منعه المانعون وهو تفسير من قال في القرآن وهو ليس لذلك أهل ، ولم يملك أدوات المفسر وشروطه الصحيحة فيغلب على تفسيره الجهل ، وتحميل الآيات فوق ما تحتمل ، أو تفسير القرآن بالهوى والاستحسان قاصدا بذلك نصرة مذهب باطل ، أو مبدأ فاسد كأصحاب الفرق الباطلة الذين يلوون أعناق الآيات لتخدم مذاهبهم وأغراضهم . أو تفسير للمتشابه من القرآن الذي لا يعلمه إلا منزله سبحانه ، وأكثر ما يشتمل هذا النوع من التفسير على الأقوال الواهية والضعيفة والإسرائيلية والموضوعة مما لا يليق بمقام كتاب رب العالمين سبحانه[1] . وقد وضع العلماء ضوابط وشروطا لهذا النوع من التفسير ليكون من النوع الأول يرجع لها في موطنها .

المبحث الثاني :

الشبه التي أثيرت حول هذا النوع من التفسير :

من الشبه التي أثارها « جولد تسيهر » على هذا النوع من التفسير .

الشبهة الأولى :

حاول « جولد تسيهر » تصوير التفسير بالرأي انشقاقا عن التفسير بالمأثور ، وحربا عليه واعتبر الدافع لهذا اللون من التفسير الورع والتقوى ، وتنزيه الله - سبحانه - في صفاته التي دخلها التجسيم من التصورات الدينية السائدة عن طريق النقل وقد حاول « جولد تسيهر » أن يبرر قيام مذهب الاعتزال

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات صـ ٨٢ .

بأنه كان امتدادا لخط مجاهد بن جبر التابعي الجليل في التفسير[1] ورد فعل للتصورات التجسيمية في صفات الله سبحانه وتعالى .

الرد على هذه الشبهة :

بدأ علم التفسير كما سبق أن ذكرت بالتفسير بالمأثور ، ثم انتقل بعد ذلك ليكون تفسيرا عقليا وهو التفسير بالرأي بنوعيه المحمود منه والمذموم .

فالتفسير بالرأي المحمود ما كان منضبطا بقواعد التفسير التي حددها العلماء .

وهذا النوع من التفسير صنو للتفسير بالمأثور ومكمل لمهمة التفسير بالمأثور لبيان كتاب الله سبحانه للناس .

لذا فلا حرب ولا مخاصمة بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود .

أما المذموم منه فكما قلت هو الذي خالف قواعد علم التفسير الجائز لنصرة مذهب فاسد ، أو مبدأ باطل حيث يفسر أصحابه الآيات حسب أهوائهم ويؤولون الآيات التي تخالف معتقداتهم وتصوراتهم ، فلا شك أن هذا النوع من التفسير لا يقبل لأنه يخالف التفسير بالمأثور وتفسير الرأي المحمود . وعلى رأس هذا النوع من التفسير (تفسير المعتزلة) الذي جاء لخدمة أصولهم العقدية الخمسة التي خالفوا بها عقيدة أهل السنة والجماعة . وقد سخّر المعتزلة لتفسيرهم كل ملكاتهم وقدراتهم العقلية والعلمية وساعدهم على ذلك تمكنهم من العربية وأساليبها ، وتمكنهم في العلوم العقلية والحكمية[2] والفلسفية والمنطقية والكلامية ، ورد كل ذلك للعقل حتى لو خالف الشرع لاعتقادهم أن العقل حجة على الشرع لا العكس فما حسنه العقل عندهم فهو الحسن وما قبحه العقل فهو القبيح[3] .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٢١ .

(٢) دراسات حول القرآن الكريم – د / إسماعيل الطحان – صـ ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣) مناهج التفسير د / مصطفى الجويني صـ ١٠٧ – ١٠٨ .

والذي ينظر في تفسير المعتزلة يجده ينطلق من أصولهم كما ذكرت فمثلا انطلق من مبدأ العدل عندهم مسألة هل الإنسان مخير أم مسير ؟ وحملوا كثيرا من الآيات عليه وناصروه .

أما أصل التوحيد فبحثوا تحته مسألة رؤية البشر لله سبحانه فنفوها وأولوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت صريحة فيها .

وليس غريبا أن يكيل « جولد تسيهر » خاصة والمستشرقون عامة الكثير من الثناء لتفسير المعتزلة لما فيه من خدمة لأغراضهم وهي محاربة أهل السنة والجماعة وتفاسيرهم المعتبرة وعلى رأسها (التفسير بالمأثور) .

كما أن هناك دافعا آخر لهؤلاء المستشرقين وهو أن هذا المذهب يلائم ما عليه الغرب اليوم من تقديس للعقل وإعطائه حرية أكثر مما يستحق .

والغربيون اليوم يعيشون بفسحة من الحرية العقلية جعلتهم يشجعون مثل هذا النوع من التفسير ويصفون أهله بأهل التقى والورع وأنهم الأحرار .. إلخ .

فلا أدري أين هذه التقوى وأين الورع ، وقد خرجوا في تفسيرهم عن جادة الصواب ، ولم يلتزموا به الشرع ولا ظاهر النصوص ولا روح الشريعة السمحاء ، زيادة على تأويلهم كل نص يخالف مذهبهم وقسرهم الآيات على نصرته بشكل غير مقبول إطلاقا .

والمعتزلة لم ينفكوا في مهاجمة أهل السنة والتشنيع عليهم والتنفير من طريقهم . فهذا النظام يوصي تلاميذه أن لا يسترسلوا بالجلوس إلى كثير من المفسرين من أهل السنة وإن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا عن كل مسألة .

حيث زعم « النظّام » أن كثيرا من هؤلاء المفسرين يقول بغير رواية وعلى غير أساس ، وأنه كلما كان المفسر أغرب كان عند العامة أحب وذكر من بين هؤلاء المفسرين عكرمة ، والكلبي ، والسدي ، والضحاك ، ومقاتل بن سليمان وأبا بكر الأصم ، وغيرهم .

هذا هو موقفهم من القرآن وتفسيره عند أهل السنة .

أما موقفهم من الحديث وأهله فهو أشد وأنكى فقاموا بالوضع فيه تارة ، والتزييف به تارة أخرى ، والطعن في متنه وسنده تارة ثالثة : وباتهامهم له بالتناقض والاختلاف تارة رابعة[1] .

أما كون أساس مذهب الاعتزال هو قول بعض الصحابة والتابعين كمجاهد بن جبر - رحمه الله - فهو قول مرفوض .

فالمعلوم أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كان لهم اجتهادات خاصة بهم لم يوافقوا عليها كما هو الحال في بعض اجتهادات التابعي الجليل مجاهد بن جبر - رحمه الله تعالى - كتفسيره مثلا « مسخ بني إسرائيل بقردة وخنازير » أن المسخ وقع على القلوب ، ولم يمسخوا في الأجساد وأن هذا القول كان لمجرد التمثيل فحسب[2] .

وقد رد هذا القول على مجاهد بن جبر الطبري - رحمهما الله تعالى - حيث قال : [هذا القول الذي قاله مجاهد ، قول يظاهر ما دل عليه كتاب الله تعالى ، ومخالف له. وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت . فمن أثبت شيئاً في حقهم وأنكر آخر كقوله في إنكاره هم لم يمسخهم قردة . وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير أو قال : لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والنكال والعقوبات التي أحلها الله بهم . ومن أنكر شيئا من ذلك ، وأقر بآخر ، سئل البرهان على قوله ، وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به . ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض ، أو أثر صحيح . هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجتمعة عليه وكفى دليلا على فساد

---

(١) مناهج التفسير للجويني صـ ١١٣ - ١١٧ ، وانظر ذلك الملل والنحل للشهرستاني ١ / صـ ٦٤ وما بعدها .

(٢) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ،افعها ودفعها - الذهبي صـ ٤٩ - ٥٠ .

قول إجماعها على تخطئته[1] .

ولخطورة مذهب المعتزلة وشدة فساده نبه عليه كثير من العلماء وألفوا في الرد عليهم كتبا عدة ، منهم :

١ - الإمام ابن قتيبة الذي نقد مسلكهم في كتابه (تأويل مختلف الحديث) الذي ألفه لتبيين موقفهم من الحديث النبوي الشريف .

قال فيه : وفسر المعتزلة القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه إلى مذهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم . فقال فريق منهم في قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[2] أي علمه . يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا أو سريرا . ويجعلون العرش شيئا آخر .. وهكذا نلاحظ صرف النص إلى معانيه المجازية بدون ضرورة . كما أنكر المعتزلة كثيرا من الحقائق الدينية كالجن ، والسحر ، وكرامات الأولياء ، وغيرها[3] . وذلك بسبب إرجاعهم هذه الحقائق للعقل الذي لم يستطع إدراكها . فاعتبروها مجرد تصورات شعبية وأساطير خرافية كما نقل ذلك عنهم « جولد تسيهر » في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[4] .

٢ - ونقدهم كذلك أبو الحسن الأشعري بقوله :

[أما بعد : فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم وفسروه على أهوائهم تفسيرا لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا عمن رووه عن رسول رب العالمين من الصحابة والتابعين افتراءً على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين] .

وكما تكلم عن تفسيرهم بقوله :

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ١٧٣ بتصرف .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٣) تأويل مختلف الحديث - صـ ٦٧ وما بعدها .
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٥ .

[إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا من أمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين :

تارة من العلم بفساد قولهم ، وتارة بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلا على قولهم أو جوابا على المعارضين لهم](1) .

المبحث الثالث :

« جولد تسيهر » وبعض كتب أهل الرأي المذموم :

أثنى « جولد تسيهر » على مجموعة من كتب المعتزلة ترويجا لها ودفاعا عن باطلها . وهذا ديدن سار عليه المستشرقون أن يظهروا من كتب الخصوم لأهل السنة ككتب الفرق الباطنية الضالة أو الجاهلة من المتصوفة . فمن هذه الكتب :

١ - تفسير أبي علي الجبائي الزعيم القديم لمدرسة الاعتزال(2) . ذكره « جولد تسيهر » من تفاسير المعتزلة التي اعتنت بالنواحي اللغوية وصاحبه من قرية جبى .

قال عنه أبو الحسن الأشعري : [ورأيت : الجبائيَّ ألف في تفسير القرآن ، كتابا أوّله على خلاف ما أنزل الله عز وجل ، وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجبى ، وليس من أهل اللسان الذي نزل به القرآن . وما روى في كتابه حرفا عن أحد من المفسرين وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه ، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيرا من العوام واستنزل به عن الحق كثيرا من العوام ، لم يكن لتشاغلي به وجه](3) .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير صـ ٨٥ - ٨٦ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٨ .

(٣) التفسير والمفسرون ١ / ٣٨٦ . وتبيين كذب المفترى لابن عساكر صـ ١٣٨ طبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ .

٢ – من التفاسير التي أثنى عليها « جولد تسيهر » كثيرا واعتبره من أصحاب التنزيه للذات الإلهية والمدافعين عن عصمة الأنبياء (غرر الفوائد ودرر القلائد) حيث عرف به قائلا : [من هذا العصر المبكر للاعتزال بقي لنا كتاب وإن كان أصغر حجما ، يربط التفسير العقدي ببحوث لغوية وتاريخية أدبية أقصد بهذا محاضرات الشريف العلوي النابه الذكر في الأوساط العلمية والاجتماعية ببغداد ، الملقب بلقب التشريف : علم الهدى المرتضى ، أبي القاسم علي بن طاهر (٩٦٦ هـ – ١٠٤٤ م) تفسير (غرر الفوائد ودرر القلائد) المنزهين للذات الإلهية والمدافعين عن عصمة الأنبياء[1] وأبو القاسم علي بن طاهر الشريف المرتضى شيعي معتزلي تبحر في فنون العلم ، وعرف بالإمامة في الكلام والأدب والشعر ، روى الحديث عن سهل الديباجي (الكذاب) ، له تصانيف عدة منها هذا الكتاب في التفسير الاعتزالي وهو عبارة عن محاضرات ألقاها المؤلف حول آيات عقدية محاولا أن يجمع فيه بين آرائه الاعتزالية وآيات القرآن التي تتصادم معها مستخدما كغيره من المعتزلة نبوغه الأدبي ، ومعرفته بفنون اللغة وأساليبها فيأتي ببعض الألفاظ لتخدم الغرض ، ويخالف ظاهر القرآن صراحة فمثلا حمل قوله تعالى : ﴿ **إلى ربها ناظرة** ﴾[2] إلى نعمة ربها ؛ لأن الإلى النعم . وفي واحدها أربع لغات : إلى مثل قفا ، وإلى مثل رمي وإلى مثل يعي ، وإلى مثل حسي قال أعشي بكر بن وائل :

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

أراد لا يخون نعمه ، فأراد (بإلى ربها) نعمة ربها وأسقط التنوين للإضافة نافيا الرؤية رادا نصوصها الصريحة والآثار التي وردت فيها الصحيحة .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم** ﴾[3] وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٣٦ – ١٣٧ .

(٢) سورة القيامة : ٢٣ .

(٣) سورة الأعراف : ١٧٢ .

عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر ، فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم ، وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله ، مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه وقد حملها على من كان له آباء مشركون حاملا الآية على اختصاصها لبعض ولد آدم[1] .

وقد حاول في أماليه أن يرد أصول المعتزلة لكلام الإمام علي وآل بيته – رضي الله عنه – افتراءا عليهم حيث قال :

[اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي – عليه السلام – وخطبه ..][2] .

فمن هنا يظهر طريقة هؤلاء المعتزلة في تفاسيرهم باستخدامهم الطريقة اللغوية وتسخيرها للّي أعناق الآيات لنصرة مذهبهم الاعتزالي صارفين اللفظ عن ظاهره ، ومأولين الصفات ومعطلين لها .

٣ – الكتاب الثالث (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) لـ « محمود ابن عمر الزمخشري المولود سنة (٤٦٧ هـ – ١٠٧٤ م) والمتوفي سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) من الإقليم الفارسي : خوارزم حيث كان مذهب الاعتزال على عهده لا يزال يجد مأوى خصيبا . وكتابه (الكشاف) . وقد أثنى عليه « جولد تسيهر » بقوله [إنه نموذج للتفسير الاعتزالي وإنه نال الاعتراف بالتقدير من الصديق والعدو وبأنه أحد الكتب الأساسية في التفسير][3] .

التعليق :

من هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى أنه يروج على خلق كثير

---

(١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي طبعة إحياء الكتب البابي الحلبي – مصر – لسنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، ج ١ – صـ ٢٨ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٤٢٦ .

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٤٠ – ١٤١ .

ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولايهتدي لذلك[1] وقد انتقد الشيخ حيدر الهروي الكشاف بعد ذكر قيمته العلمية ، وما حوى من فوائد بقوله : [.. فالتزم في كتابه أمورا أذهبت رونقه وماءه ، وأبطلت منظره ورداءه ، فتكدرت مشاربه منها : أنها كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه ، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة وتعسفات جامدة ، وصرف الآية بلا نكتة بلاغية لغير ضرورة عن الظاهر وفيه تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى ، وليته يكتفي بقدر الضرورة بل يبالغ في الإطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير ، فتراه مشحونا بالاعتزاليات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام .

ومنها : أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده ، ويغفل عن هذا الصنيع لفرط عناده .

ومنها : أنه .. أورد فيه أبياتا كثيرة ، وأمثالا غزيرة بني على الهزل والفكاهة أساسها وأورد على المزاج البارد نبراسها وهذا أمر من الشرع والعقل بعيد ، لاسيما عند أهل العدل والتوحيد .

ومنها : أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة ، فتارة يعبر عنهم بالمجبرة ، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد ..

أما أبو حيان فقد انتقده بقوله : [وهذا الرجل وإن كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة ..][2] .

وأما الإمام السبكي فقد قال عن الزمخشري وكتابه الكشاف :

---

(١) مقدمة في أصول التفسير صـ ٨٥ - ٨٦ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٤٣٨ .

[واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبتدع مجاهر ببدعته ، يضع في قدر النبوة كثيرا ، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله][1] .

ويقصد بذلك ما قاله في حق رسول الله - ﷺ - في سورة التوبة عند قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك** ﴾[2] كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ، ومعناه أخطأت وبئس مافعلت .. »[3] .

وقول الزمخشري عند قوله تعالى : ﴿ .. **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾[4] .

وكان هذا زلة منه يقصد الرسول - ﷺ - لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ، لأن الله - عز وجل - إنما أحل ما أحل لحكمة أو مصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة[5] .

مع كل ما ذكرت من ملاحظات على تفسير الكشاف فلا أحد ينكر قيمة هذا التفسير العلمية ، وأنه سلطان الطريقة اللغوية بلا منازع وأن هذا التفسير كشف الكثير من وجوه الإعجاز .

وهذا ما جعله يشتهر وينتشر في الآفاق ، ويكون له قبول عند أهل السنة مع سلبياته ، وكان عمدة من جاء بعده من المفسرين في هذا المجال . وحتى يستفاد منه فقد تتبعه أكثر من عالم من علماء أهل السنة فبينوا عوار اعتزالياته أمثال : شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) في كتابه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) وفخر الدين الرازي في كتابه (التفسير الكبير) وأحمد ابن محمد بن منصور بن المنير (ت ٦٨٣ هـ) القاضي المالكي من الإسكندرية

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٤٤٠ .

(٢) سورة التوبة : ٤٣ .

(٣) الكشاف ٢ / ١٩٢ .

(٤) سورة التحريم : ١ .

(٥) الكشاف ٤ / ١٢٥ .

في كتاب له خاص على الكشاف وهو مطبوع بحاشية (تفسير الكشاف) وهو من أشهرها .

وبعد هذا الكتاب صدر كتاب للسيد مرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس) بعنوان (الإنصاف في المحاكمة بين البيضاوي والكشاف) والكتاب كما يبدو يتناول مسائل الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في التفسير[1] .

بعد هذا العرض ظهر لنا جليا موقف المعتزلة من عقيدة أهل السنة وطريقتهم اللغوية في التفسير ، وجرأتهم في صرف اللفظ عن ظاهره دون ضرورة ، وتأويل آيات الصفات ومقام النبوة في بعض الآيات ، كما ظهر تعطيلهم للأحاديث النبوية الشريفة .

وهذا يظهر جليا سوء نية « جولد تسيهر » في عقده لفصل (التفسير في ضوء العقيدة مذهب أهل الرأي) الذي شكك فيه في التفسير بالمأثور ، وإظهار التفسير المحمود من التفسير بالرأي أنه منشق عن التفسير بالمأثور ومخالف له ، كما أنه دافع بحرارة عن التفسير المذموم واعتبره التفسير الأمثل لأنه صادر - في زعمه - عن أصحاب العقل الحر ويقصد بذلك تفسير المعتزلة .

فمن هذا يظهر خطورة تبني المستشرقين مثل هذه التفاسير للفرق الباطنية الضالة .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ١٤٦ - ١٤٧ .

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي كما عرضه « جولد تسيهر »

المبحث الأول

« جولد تسيهر » وثناؤه على أصحاب هذا الاتجاه من التفسير

المبحث الثاني

وقفات مع بعض كتب التفسير الإشاري وأصحابها التي ذكرها « جولد تسيهر »

الفئة الأولى : أصحاب الاتجاه الإشاري من الصوفية

الفئة الثانية : أصحاب الاتجاه الفلسفي من الصوفية

الفصل الثالث

التفسير في ضوء التصوف الإسلامي

كما عرضه « جولد تسيهر »

المبحث الأول :

« جولد تسيهر » وثناؤه على أصحاب هذا الاتجاه :

عرض « جولد تسيهر » هذا الموضوع عرضا ينم على سعة اطلاع على مصادر التصوف : المتطرف منها والمعتدل . متدرجا به من الزهد البسيط إلى التذوق بالشوق المحرم إلى الله ، والحب المضطرم لله ، ثم إلى الحالة المثالية من الاستغراق وفناء الوجود الشخصي صعدا في حقيقة الله لتصب أخيرا في مذهب الحلول .

وقد ربط بين التصوف والمذاهب الإغريقية القديمة كالأفلاطونية(*) الحديثة والغنوصية ، والهلينستية وغيرها .

وفي هذا البحث كان « جولد تسيهر » معجبا ومدافعا بطرف خفي عن المنحرفين من أهل التصوف أمثال « الحلاج » و « ابن عربي » و « إخوان الصفا »(**) ممجدا طريقتهم في التفسير وهو « التفسير الإشاري »(١) .

(*) الأفلاطونية الحديثة : مذهب فلسفي صوفي يستمد من أفلاطون اسم مؤسسها وبعض مميزاته ظهر في القرن الأول بعد الميلاد ، وظهر في الإسكندرية .

(**) إخوان الصفا : جماعة سرية دينية فلسفية سياسية شيعية إسماعيلية باطنية ، اجتمعت وتصافت على القدس بالطهارة والصفا حسب زعمهم فسموا إخوان الصفا وخلان الوفا ولهم خمسون رسالة أو أكثر .

(١)مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٠١ وما بعدها .

الرد والتوجيه :

١ - الصوفية :

طائفة يرجع ظهورها بهذا الاسم إلى القرن الثاني الهجري ، تقوم على الزهد والتفاني في طاعة الله .

وأول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي (ت - ١٥٠هـ) ويعرف هذا اللون بالتصوف العملي .

ثم تولد في غضون هذا القرن وما بعده الفكر الصوفي ، وانتشرت نظرياته التي تواضع عليها الصوفيون ، وقد تأثر الفكر الصوفي بالأفكار الفلسفية ، وصاروا يدينون بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادىء الشريعة مما أثار عليهم جمهور أهل السنة ، ويعرف هذا اللون بالتصوف النظري[1] .

وكان للمتصوفة - كغيرهم من طوائف المسلمين - دراسات في القرآن الكريم ، وكان لهم في تفسيره مؤلفات حوتها المكتبة الإسلامية بعضها قديم وبعضها حديث ، وكانت دراسات المتصوفة للقرآن الكريم وشروحهم له عليها طابع التصوف ، فظهر فيها بوضوح أثر التصوف النظري الذي ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ، كما ظهر بوضوح - أيضا - أثر التصوف العملي الذي يرتكز على رياضة روحية ، يأخذ بها الصوفي نفسه ، حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات إشارات قدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب معارف سبحانية ، يشرح بها كتاب الله عز وجل - حسب تعبيرات الصوفية - وهو ما يسمى بالتفسير الإشاري الفيضي .

وإذا ذهبنا نستعرض ما للقوم من تفسير صوفي نظري ، وما لهم من تفسير إشاري فيضي وجدنا فيهما اتجاها منحرفا عن النهج القويم لتفسير القرآن الكريم .

---

(١) دراسات حول القرآن الكريم - الطحان صـ ٢٠٥ .

فالتفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن – في الغالب – عن هدفه الذي يرمي إليه حيث يقصد القرآن هدفا معينا بنصوصه وآياته ، ويقصد الصوفي هدفا معينا بأبحاثه ونظرياته .

وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد فيأبى الصوفي إلا أن يحوّل القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده هو ويرمي إليه ، وغرضه بهذا كله أن يروّج لتصوفه على حساب القرآن وأن يقيم نظرياته وآراءه على أساس من كتاب الله سبحانه ، وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته ونظرياته التصوفية ، ولم يقدم للقرآن شيئا إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين ، وإلحاد في آيات الله . فابن عربي والحلاج وأبو يزيد البسطامي ، وغيرهم من رؤوس التصوف مالوا ببعض الآيات القرآنية إلى ما ذهبوا إليه من القول « بوحدة الوجود » والتي يقصدون بها : أنه ليس هناك إلا وجود واحد ، كل العالم مظاهر ومجال له ، فالله سبحانه هو الموجود بحق وكل ما عداه ظواهر وأوهام ، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز .

هذا المذهب الذي دفع الحلاج أن يقول [أنا الله] . وابن عربي أن يقول : [إن عجل بني إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله عز وجل وحل فيها] . والذي جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان وأنه لا فرق بين ما هو سماوي وبين غير السماوي إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات .

وقد حمل ابن عربي كثيرا من الآيات القرآنية على نظريته هذه فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾[1] فقال ما نصه : [فعلماء الرسوم يحملون لفظ « قضى » على الأمر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح . فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من انتسابهم ، وما تم صورة الألوهية

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

فنسبوها إليهم ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وإن أخطأوا فما أخطأوا في المقام ..][1] .

وفسر قوله تعالى : ﴿ **فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** ﴾[2] قال : [ادخلي جنتي التي هي ستري ، وليست جنتي سواك فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك ، كما أنك لا تكون إلا بي . فمن عرفك عرفني .. فأنت عبد رأيت ربا ، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد ، وأنت رب ، وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد][3] .

ومن التفسير الذي تأثر به ابن عربي بنظرياته الفلاسفة ولكنه لا يبلغ في انحرافه مبلغ ما سبق ، لتفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ورفعناه مكانا علياً** ﴾[4] في شأن إدريس – عليه السلام – [وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية إدريس وتحته سبعة أفلاك ، وهو الخامس عشر ...] ثم ذكر الأفلاك التي تحت فلك الشمس ، والتي فوقه ثم قال : [وأما علو المكانة فهو لنا أعني المحمديين) كما قال تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون والله معكم** ﴾[5] .

هذه بعض الأمثلة التي تدل على فساد طريقة ابن عربي في التفسير الذي أقامه على نظرية وحدة الوجود وغيرها من النظريات الفلسفية التي تهدم الدين من أساسه ولا توافق شيئاً من مراد الله سبحانه[6] .

أما النوع المذموم من تفسيرهم فهو التفسير الإشاري أو الفيضي فللقوم فيه جولات وشطحات .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٧٣ ، نقلا عن الفتوحات المكية لابن عربي ٣ / .
(٢) سورة الفجر ٢٩ – ٣٠ .
(٣) دراسات حول القرآن الكريم صـ ٢٠٥ نقلا عن ١/١٩١ .
(٤) سورة مريم ٥٧ .
(٥) سورة محمد ٣٥ .
(٦) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٣٥ .

وإذا ما بحثنا عن مستند لهذا الاتجاه في التفسير وجدنا مستندهم الأول والأهم ما ينسب إلى رسول الله - ﷺ - من أن القرآن له ظاهر وباطن[1] . فالظاهر في رأيهم يفهمه أهل الرسوم أما الباطن فلا يفهمه عندهم إلا من صفت نفسه ، وتعلق بالله قلبه ، حتى أصبح يدركه بعين اليقين .

ومن الأدلة التي استدلوا بها على رأيهم هذا ما رواه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس : « القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون » إلخ . وكما روى الآلوسي عن الحسن قوله : « لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع » .

فالظاهر في فهمهم ما يظهر من معنى النص القرآني .

أما الباطن فهو ألغاز وأحاجي ومعميات لا يفهمها إلا هم وهذا الفهم يخالف المفهوم من قوله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[2] .

والأصل فيما هو مقبول من تفسير القرآن الكريم أن يوافق اللسان العربي ولا يشترط فيه الزيادة على ما جرى عليه هذا اللسان . وكل معنى مستنبط من القرآن وغير جار على اللسان العربي ليس من تفسير القرآن في شيء ومن ادعى غير هذا هو مبطل في دعواه . والعلماء قد اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين :

الشرط الأول :

أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربية .

الشرط الثاني :

أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير

---

(١) رواه ابن أبي حاتم نقلا عن روح المعاني ١ / ٧ .

(٢) سورة القمر ١٧ .

معارض .

فالشرط الأول مظاهر من قاعدة كونه عربيا ، فلو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب ، لما وصف بكونه عربيا .

أما الشرط الثاني فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوي التي لا دليل عليها . فهو مردود باتفاق أهل العلم .

فالمتتبع لأقوال القوم فيما - يدعون من معنى باطن للقرآن نجد منها ما يوافق الشرطين فيكون صحيحا ومنها وما يخالفهما فهو الباطل المردود[1] .

وقد حدد العلماء شروطا لقبول التفسير الإشاري :

١ - أن لا يكون التفسير الإشاري منافيا للظاهر من النظم القرآني .

٢ - أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .

٣ - أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي .

٤ - أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو مراد الله وحده دون الظاهر[2] .

المبحث الثاني :

وقفات مع بعض كتب التفسير الإشاري وأصحابها التي ذكرها « جولد تسيهر » .

الفئة الأولى :

أصحاب التفسير الإشاري من المتصوفة :

١ - تفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري

---

(١) الاتجاهات المنحرفة صـ ٧٦ - ٨٢ (بتصرف) .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٧٧ .

(ت ٣٨٣ هـ)[١] .

رأى بعض المفسرين من الصوفية أن تحديد الباطن يقتضيه أن يمر بمرحلة الظاهر حتى يكون وصوله إلى الباطن مأمون العاقبة سليما ، ومن هنا جمع كثير من الصوفية بين الظاهر والباطن كما صنع ذلك (الغزالي) ومن قبله « التستري »[٢] في تفسيره (تفسير التستري) وهذا التفسير لم يستوعب فيه التستري كل الآيات وإن استوعب السور .

التعريف بالمؤلف :

هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري ، المولود بتستر سنة (٢٠٠ هـ) وقيل سنة (٢٠١ هـ) كان من كبار العارفين ، لقي الشيخ ذا النون المصري - رحمه الله - بمكة ، كان ورعا وذا اجتهاد في العبادة وافر ، ورياضة عظيمة ، أقام بالبصرة زمنا طويلا وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وقيل : سنة ٢٧٣ هـ[٣] .

التعريف بهذا التفسير ومنهج المؤلف فيه :

هذا التفسير مطبوع في مجلد صغير الحجم ، ولم يتعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن آية آية ، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرقة من كل سورة، والذي يظهر أن (سهلا) لم يؤلف هذا الكتاب ، وإنما هي أقوال قالها سهل في آيات متفرقة من القرآن الكريم ، ثم جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدي المذكور في أول كتابه والذي يقول كثيرا قال أبو بكر : سئل سهل عن معنى كذا فقال : كذا . ثم بين في أول كتابه معنى ظاهر القرآن وباطنه ، فكان خلاصة تعريفاته لهما أنه يرى أن الظاهر هو المعنى اللغوي المجرد ، وأن الباطن هو المعنى الذي يفهم من اللفظ ويريده الله تعالى من كلامه كما يظهر من تعريفاته أنه يرى أن المعاني الظاهرة

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٨ .
(٢) دراسات حول القرآن الكريم صـ ٢٠٨ .
(٣) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٠ .

أمر عام يقف عليها كل من يعرف اللسان العربي أما المعاني الباطنة فأمر خاص يعرفه أهل الله بتعليم الله إياهم ، وإرشادهم إليه .

كما أننا نجد سهلا – رحمه الله – لم يقتصر في تفسيره على المعاني الإشارية وحدها ، بل نجده يذكر أحيانا المعاني الظاهرة ، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية وقد يقتصر أحيانا على المعنى الإشاري وحده كما يقتصر أحيانا على المعنى الظاهري ، بدون أن يعرج على باطن الآية .

وكان (سهل) يركز كثيرا في كتابه على تزكية النفوس ، وتطهير القلوب والتحلي بالأخلاق والفضائل التي يدل عليها القرآن ولو بطريق الإشارة .

منهجه في التفسير :

وإليك نماذج من هذا التفسير :

قال عند قوله تعالى : ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار** ﴾[1] عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه ، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾[2] إبراهيم – عليه السلام – لما أحب ولده بطبع البشرية ، تداركه من الله فضله وعصمته حتى أمره بذبحه ، إذ لم يكن المراد مه تحصيل الذبح وإنما كان المقصود تخليص السر من حب غيره بأبلغ الأسباب فلما خلص السر له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم .

وفي سورة الشعراء عند تفسيره لقوله تعالى حكاية عن إبراهيم – عليه السلام – : ﴿ **الذي خلقني فهو يهدين** – إلى قوله – **والذي أطمع أن يغفر**

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٨ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٧ .

لي خطيئتي يوم الدين ﴾[1] قال سهل : « الذي خلقني فهو يهدين أي الذي خلقني لعبوديته يهديني إلى قربه .

« والذي هو يطعمني ويسقين » قال : يطعمني لذة الإيمان ويسقيني شراب التوكل والكفاية .

« وإذا مرضت فهو يشفين » قال : يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني .

« والذي يميتني ثم يحيين » قال : الذي يميتني ثم يحييني بالذكر .

« والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » قال : أخرج كلامه على شروط الأدب بين الخوف والرجاء ، ولم يحكم عليه بالمغفرة . اهـ[2] .

وهي كما نرى معان مقبولة ويمكن إرجاعها بدون تكلف إلى اللفظ القرآني بدون معارضة شرعية أو عقلية .

وهو غالب أسلوب - الكتاب كما أشرت لذلك في منهجه .

٢ - تفسير محيي الدين بن عربي الصوفي الأندلسي ولد بالمغرب ثم غادرها لكثير من بلدان العالم الإسلامي الواسع الأطراف مكتسبا في كل مكان شيعة وأتباعا له في تعاليمه البعيدة الأعماق . إلى أن استقر به المقام أخيرا في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨ هـ وقبره ما زال على سفح جبل قاسيون . عرض ابن عربي أفكاره في كتب كثيرة على شكل الشعر تارة والنثر تارة أخرى .

وكتبه تفيض بكبرياء لاحد لها ، وذلك لتلقيه هذا العلم في زعمه من كلام الله المباشر الذي حظي به تكرارا حتى قال : [خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله] ويعتبر نفسه خاتماً للولاية ، وهذا الفهم قادم من فكرة الإشراق الغنوصية .

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ - ٨٢ .

(٢) انظر التفسير والمفسرون ٢ / ٣٨٢ .

كما اعتبر « جولد تسيهر » كتابه هذا من أبرز كتب التفسير الصوفي طابعا وأوسعها انتشارا في الدوائر الإسلامية . طبع طبعات متكررة بالمشرق منها طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ هـ[١] .

وقد اختُلِف في نسبة هذا الكتاب لابن عربي . فمن برأه منه اعتبر الكتاب لعبد الرزاق القاشاني السمرقندي وهذا ما رجحه الإمام الشعراني في كتابه [اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر] حيث برأه من عقيدة الحلول والاتحاد وعقيدة وحدة الوجود . وبرأه من تفسير الرمزية الباطنية الباطلة .

كما برأه منه العلامة أحمد بن عبد الغني بن عمر المشهور بابن عابدين الفقيه الحنفي الذي تولى أمانة الإفتاء في دمشق . حيث وضع رسالة في تبرئة الشيخ باسم (تبرئة الشيخ الأكبر مما نسب إليه من القول بالحلول والاتحاد) .

كما أثبت الإمام بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي في كتابه (مراحل السالكين) أن الشيخ محيي الدين قد دس عليه أهل الحلول والاتحاد أباطيلهم وأضاليلهم .

كما برأه كذلك صاحب الدر المختار من هذه العقيدة الباطلة ونسبها لبعض اليهود الذين افتروها على الشيخ[٢] .

وهذا ما رجحه كل من الأستاذ محمد عبده والشيخ الذهبي ورجحا نسبته للقاشاني .

والناظر في هذا التفسير يجده قد جمع نوعي التفسير الصوفي النظري والإشاري ، وقد ملىء بعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود . ولم يتعرض للتفسير بالظاهر بحال من الأحوال .

فالتفسير النظري الذي فيه يقوم على مذهب (وحدة الوجود) وعلى

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٨ - ٢٤٠ .

(٢) أصول التفسير وقواعده - الشيخ خالد العك صـ ٢٤١ - ٢٤٢ .

مذهب الفيوضات والوجدانيات .

أما الإشاري الذي فيه فهو عبارة عن معميات ورموز لا يفهم منها شيء .

فهذا التفسير لا يجوز الأخذ به ولا القول به بحال وهذه بعض الأمثلة من التفسير المنسوب لابن عربي .

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب ..** ﴾[1] .

قال ما نصه : [واذكر ربك الذي هو أنت ، أي : اعرف نفسك ، واذكرها ولا تنسها فينسك الله ؟ واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها . « رب المشرق والمغرب » أي الذي ظهر عليك نوره من أفق وجودك بإيجادك ، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك ، واحتجب بك][2] .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **وإلهكم إله واحد** ﴾[3] : [.. إن الله خاطب في هذه الآية المسلمين ، والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله فما عبدوا إلا الله ، فلما قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : إن إلهكم الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحد كأنكم ما اختلفتم في أحديته ..][4] .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ..** ﴾[5] لا تأكلوا معارفكم ومعلوماتكم بباطل شهوات النفس ولذاتها ، بتحصيل مأربها ، واكتساب مقاصدها الحسية والخيالية باستعمالها وترسلوا إلى حكام النفوس الأمارة بالسوء[6] .

---

(١) سورة المزمل : ٨ - ٩ .

(٢) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٤٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٦٣ .

(٤) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٤١ .

(٥) سورة البقرة : ١٨٨ .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن عربي ١ / ١٧٧ . نقلا عن مذاهب التفسير الإسلامي .

ونتيجة لهذا التجوز في صرف المعنى عن ظاهره وصف العلماء الصوفية بالجهل تارة ، وبالكفر تارة أخرى .

قال الإمام الزركشي : [فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن الكريم فقيل : ليس تفسيرا ، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة] .

ونقل عن ابن الصلاح في فتاويه : [وقد وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر] (١) .

وقد حكم عليهم بالإلحاد وتعطيل الشريعة بالكلية الإمامان النسفي والتفتازاني (٢) .

فليس غريبا أن نجد أن المستشرقين يهتمون بمثل هذا النوع من التفسير لما فيه من تعطيل لمهمة القرآن الكريم وهو الوقوف على معانيه وفهم مراد الله فيه وإدراك هداياته ومقاصده ، كما أن في طريقتهم هذه تعطيل للشريعة ، لذا فهو تفسير في أغلبه مردود على صاحبه ولا يقبل منه إلا ما كان حسب الشروط التي سبق ذكرها .

ب - الفئة الثانية التي ذكرها « جولد تسيهر » في هذا الفصل أصحاب المنهج الفلسفي الصوفي في تفسير القرآن الكريم (إخوان الصفا) . أشاد « جولد تسيهر » بهذه الفئة كثيرا وعدهم من أصحاب الفكر الحر وربط بينهم وبين الفلاسفة اليونانيين من الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين (*) والغنوصيين (**)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٧١ - ١٧٢ .

(٢) المبادىء العامة لتفسير القرآن الكريم صـ ٢١٠ .

(*) الرواقية : مدرسة فلسفية أسسها زينون سنة ٢٠٠ ق.م ، ثم هذبها أتباعه ويرى الرواقيون أن الحقيقة مادية تسودها قوة توجهها وهي الله وما دامت الطبيعة تسير وفق العقل فمن الحكمة أن يسير الإنسان وفق الطبيعة .

(**) الغنوصية : نسبة إلى غنوصين وهي المعرفة وهي حركة فلسفية دينية ظهرت في القرن الثاني الميلادي أساسها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرية .

وقد ربط بين الفريقين في تفسيراتهم الرمزية للنصوص وفي طريقتهم في البحث والتفكير والفهم[1] .

الرد والتعليق :

إن نشأة الانحراف في المنهج الفلسفي الصوفي في تفسير القرآن الكريم ترجع إلى الاعتماد على الفكر الفلسفي اليوناني وطريقته في البحث والتفكير والرمزية لظواهر النصوص .

فقد سلك أصحاب الفلسفة الصوفية النظرية منهج التفسير الإشاري الرمزي لآيات القرآن الكريم لاعتقادهم : أن كل آية في القرآن تخفي وراءها معنى باطنا مقصودا لا يكشفه الله إلا للخاصة منهم وأن المعرفة الحقة اليقينية لا تدرك إلا بالتأويل الباطني العميق ، والمجاهدة النفسية في حالات الكشف العليا[2] وأن الوقوف على ظواهر النصوص القرآنية حجاب يمنع من الوصول إلى معرفة حقائق الأمور .

وأن أبرز صور التأويل الباطني الفلسفي تظهر في (رسائل إخوان الصفا) فقد جاء في إحدى رسائلهم : ينبغي لإخواننا أن يعلموا أن ظاهر الشريعة إنما يصلح للعامة فهو دواء للنفوس المريضة الضعيفة . أما العقول القوية فغذاؤها الحكمة العميقة المستمدة من الفلسفة .

أما علوم « إخوان الصفا » ومعارفهم فقد صرحوا بمصادرها بقولهم : [إن علومنا مأخوذة من أربعة كتب :

أحدها : الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة .

الآخر : الكتب المنزلة التي جاء بها الأنبياء .

الثالث : الكتب الطبيعية التي تشرح تركيب الأفلاك وأقسام البروج

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) أصول التفسير وقواعده - العك - صـ ٢٣٧ - ٢٣٨ .

وحركات الكواكب .

الرابع : الكتب الإلهية التي لا يمسها إلا المطهرون الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة ، وهي جواهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها] .

لذا نجدهم يوصون في رسائلهم بعدم معاداة أي مذهب أو اتجاه مبطل ولا أي كتاب فاسد ؛ لأنها جميعا مصدر لعلومهم ومعارفهم .

لذا نجد أنهم أتوا في رسائلهم بتفسيرات رمزية باطنية تصرف الآيات القرآنية عن معانيها ومقاصدها الشرعية إلى مالا يجوز ، ولا يصح من المعاني المتكلفة الباطلة(١) .

وقد تأثر بهذه الفرقة بعض الفرق الباطنية الذين سلكوا مسلكهم كالباطنية الإسماعيلية حيث كان « إخوان الصفا » النظار المتفلسفين لحركة الإسماعيلية الباطنية الدينية السياسية الذين كانوا عنصر إزعاج للخلافة الفاطمية في مصر ، حيث أوصلهم كفرهم للزعم أن الخليفة الحاكم الأخرق كان تجسيما ماديا لله عز وجل وما زالت فرقة الدروز تراه كذلك لليوم(٢) .

من تفسيرات « إخوان الصفا » واعتقاداتهم أن فسروا « الجنة » بعالم الأفلاك ، وأن « النار » عالم ما تحت فلك القمر ، وهو عالم الدنيا وأن الملائكة كواكب الأفلاك .

وهم يعتقدون أن نفس المؤمن بعد أن تفارق جسده تصعد إلى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة مستشفين هذا الفهم من قوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾(٣) .

أما النفوس الشريرة فهي التي تفارق الجسد ، فإن كانت من الجن فهي

---

(١) أصول التفسير وقواعده صـ ٢٣٩ .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٣٢ .

(٣) سورة فاطر : ١٠ .

تستجن عن إدراك الحواس ، وإن كانت من الإنس فهي متجسدة مستأنسة بالأجساد حاملين على ذلك قوله تعالى : ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** ﴾[1] .

وهؤلاء الفلاسفة النظار لم ينقل لنا عنهم تفسير كامل للقرآن الكريم ، وإنما فهوم قرآنية لآيات متفرقة وجدت مفرقة في كتبهم التي ألفوها في الفلسفة وأكثر من وجدنا له منهم أثرا في التفسير الرئيس « أبو علي بن سيناء » إذا عثر له على تفسير لسور الإخلاص والمعوذتين وآيات أخر متفرقات[2] .

فالملاحظ على هذه الفرق الباطنية عموما والصوفية النظريين والفلاسفة خصوصا متفقون على تعطيل الشريعة ، وهدم مقاصد القرآن ، وتحويل ظاهره وحقائقه لرمز وإشارات وأسرار ومعميات خصهم الله بمعرفتها وبالإطلاع على أسرارها دون أحد من خلقه ، وهذه الأفهام كما رأينا بتأثير الفلاسفة عليهم الوثنيين منهم وأصحاب الكتاب خاصة أفلاطون بمذهبه المثالي أو فيلون وأرويجن الكتابي .

أما حرص « جولد تسيهر » على إظهار مثل هؤلاء الصوفيين ، فلإظهار التناقض والتعارض في فهم الكتاب وإخضاعهم لفظ القرآن لسلطانهم وإبراز هؤلاء المعطلة والملاحدة بمظهر أصحاب الفكر الحر واسعي الإدراك والأطلاع .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٤٢١ - ٤٣١ .

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول

« جولد تسيهر » وأصحاب هذا الاتجاه

المبحث الثاني

الخوارج وخطهم في التفسير

مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها

المبحث الثالث

الشيعة وخطهم في التفسير

مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها

الفصل الرابع

التفسير في ضوء الفرق الدينية

وموقف المستشرقين منه

المبحث الأول :

« جولد تسيهر » وأصحاب هذا الاتجاه :

حاول « جولد تسيهر » في هذا الفصل أن يظهر أن التفسير القرآني كان يتبع مصلحة الفرق الدينية ومبادئهم الأساسية .

حيث إن كل فرقة كانت تحاول إيجاد الدليل على عقيدتها ونظرياتها السياسية من القرآن الكريم وتفسير النصوص القرآنية حسب هذا الغرض الذي أرادوا تحقيقه وإثباته وضرب على ذلك أمثلة كفرقة الخوارج ، والشيعة ، وما تفرع عنهما من الفرق كالإسماعيلية الفاطمية ، والبابية ، وغير ذلك من الفرق[1] .

الرد والتعليق :

هذه الفرق تعتبر ممن انحرف بتفسير القرآن الكريم بشكل بين متكلف لتأييد آرائهم وتثبيت أفكارهم ومذاهبهم الاجتهادية حيث حملوا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لنصرة مذاهبهم وحملوها مالا تحتمل .

وسأوضح هذا الانحراف في تفسيرهم من خلال الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨٦ وما بعدها .

المبحث الثاني :

الخوارج وخطهم في التفسير مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها :

من الفرق التي ذكرها « جولد تسيهر » تمثل هذا الاتجاه من التفسير فرقة الخوارج[1] .

نشأت فرقة الخوارج بعد قضية التحكيم لفض الخلاف الذي حصل بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – على الحكم .

فكان التحكيم أمرا لازما لوقف نزيف الدم الإسلامي ، لكن بعض أتباع الإمام علي – رضي الله عنه – خطّأ عملية التحكيم على اقتناع منه أن الحق بجانب الإمام علي – رضي الله عنه – وأنه أولى بالخلافة بدون منازع فمن أجل هذا انشقوا على الإمام وطالبوه أن ينقض الاتفاق الذي تم ، والاعتراف على نفسه بالكفر منادين (أن لا حكم إلا لله) فخرجوا عليه بالسلاح معلنين الحرب عليه فدخل معهم عدة معارك كانت خاسرة بالنسبة للخوارج فدبروا قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم .

وقد تفرق الخوارج لعشرين فرقة كل فرقة لها اعتقاداتها الخاصة بها إلا أنه يجمعها مبدءان أساسيان .

١ – إكفار علي وعثمان ، والحكمين ، وكل من رضي بتحكيمهما وأصحاب الجمل .

٢ – وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وهناك مبدأ ثالث يقول به أكثرهم الإكفار بارتكاب الكبائر[2] أما

---

(١) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٨٧ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣٠٠ – ٣٠١ ، وبدع التفاسير في الماضي والحاضر د / رمزي نعناعة مؤسسة الأنوار – الرياض صـ ٦٨ – ٦٩ .

مبدؤهم في الخلافة فينص على أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين ، ولا يشترط في كونه قرشيا وإذا تم اختيار الخليفة فليس له أن يتنازل أو يحكم ، وعليه أن يخضع خضوعا تاما لله سبحانه وإلا وجب عزله[1] .

وكان طبيعيا وقد تعددت فرق الخوارج وكلها تنتسب إلى الإسلام وتعترف بالقرآن ، أن تبحث كل فرقة منهم عن مستند لمبادئهم في القرآن الكريم ولو كان تكلفا . والخوارج لم يكونوا مكثرين في التفسير وقد يكون ذلك لأسباب منها :

١ - أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية .

٢ - أنهم اشتغلوا بالحروب من أول نشأتهم .

٣ - اعتبارهم الكذب كبيرة موجبة النار . فلعل تورعهم من أن لا يصيبوا مراد الله سبحانه فيكونوا قد اقترفوا كذبا جعلهم يقللون من تفسير آيات الله سبحانه[2] .

والذي ينظر في تفاسيرهم يجدها قيلت خلال جدلهم ومناظرتهم مع خصومهم كما أنه يجد أن المذهب سيطر عليهم حتى جعلهم لا يفهمون القرآن إلا من خلاله صارفين معانيه لنصرة مذهبهم ، مؤولين ما يعارضه من النصوص القرآنية[3] وإليك بعض الأمثلة من طريقتهم في صرف النصوص القرآنية .

١ - قلت : إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ومن أدلتهم القرآنية على ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا .. ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[4] .

قالوا : إن الله جعل تارك الحج كافرا . واستدلوا على هذا المبدأ كذلك

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٣ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١٧ .

(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٤ .

(٤) سورة آل عمران : ٩٧ .

بقوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] حيث قالوا : كل مرتكب للكبيرة قد حكم بغير ما أنزل الله سبحانه[2] .

كما استدل لهذا المبدأ من القرآن محمد بن يوسف أطفيش الأباضي (ت ١٣٣٢) في تفسيره المسمى (هميان الزاد إلى المعاد) من قوله تعالى ، ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾[3] .

حيث قال : سيئة : خصلة قبيحة ، وهي الذنب الكبير سواء أكان نفاقا أو شركا . ومن الذنوب الكبيرة الإصرار فإن نفسه كبيرة سواء أكان على الصغيرة أو الكبيرة وهذا يفهم من قوله سبحانه ﴿ **فأولئك أصحاب النار** ﴾[4] .

وقد تجرأ الخوارج على الوضع في الحديث النبوي الشريف لنصرة مذهبهم ، كما أنهم تجرأوا على ذم الصحابة الذين خالفوهم في اعتقاداتهم ، وخالفوا الإجماع في كثير من الأحكام كالوصية والرجم ، وغيرهما[5] .

ومما تقدم نلاحظ أن طريقتهم في التفسير كانت لا تتعدى الفهم السطحي والوقوف عند ظاهر اللفظ دون التعمق في التأويل ولا الغوص وراء معاني القرآن الدقيقة ، كما أنهم لا يراعون أهداف القرآن الكريم وأسراره وهداياته مما أوقعهم هذا المنهج في أخطاء كثيرة منها :

١ - قال بعضهم : لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾[6] .

---

(١) سورة المائدة : ٤٤ .
(٢) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٤ - ٦٥ .
(٣) سورة البقرة : ٨١ .
(٤) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٧ .
(٥) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١٣ .
(٦) سورة النساء : ١٠ .

ولكنه لو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار لأن الله لم ينص على ذلك[1] .

٢ - ومن انحرافاتهم أن « ميمون العجردي » زعيم الميمونية أجاز نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الأخوة والأخوات لعدم ذكرهن في آية المحرمات من النسب[2] - على حد فهمه - فهم بهذا يوافقون المجوس في استحلالهم نكاح المحرمات .

٣ - ومن انحرافات فرقة الميمونية كذلك إنكارهم لسورة يوسف - عليه السلام - بحجة أنها قصة غرامية ينبغي تنزيه القرآن الكريم عنها ومنكر بعض القرآن كمنكر كله[3] ولا غرابة أن نجد بعض المستشرقين قد تبعهم بهذا القول . كيف لا ! وهم يحرصون على تجميع مثل هذه الهفوات .

من أشهر كتب التفسير عند الخوارج :

١ - تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي من أهل القرن الثالث الهجري .

٢ - تفسير هود بن محكم الهواري من أهل القرن الثالث الهجري .

٣ - تفسير هيمان الزاد إلى دار المعاد للشيخ محمد بن يوسف أطفيش ت ١٣٣٢ هـ .

هذه نبذة موجزة عن نشأة الخوارج وبعض معتقداتهم وبعض نشاطاتهم العلمية ، خاصة فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه . وكان الواجب على من يتعرض لمثل هذه الدراسة أن لا يكون مجرد ناقل ، كما فعل « جولد تسيهر » ليوهم القارىء أن تفسير هذه الفرقة صحيح وأنه لون من ألوان التفسير الجائز . مع أن « جولد تسيهر » لم يعرض منهج التفسير عند أهل السنة والجماعة كما عرض

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٣١١ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) الفرق بين الفرق صـ ٢٦٤ - ٢٦٥ .

لتفاسير هذه الفرق الضالة مادحا مبينا المحاسن دون العيوب . أما تفسير أهل السنة والجماعة فقد تناوله بالتشكيك تارة والتشكيك في رجاله تارة ثانية .. إلخ .

مما يدفعنا للشك في نوايا هؤلاء المستشرقين وفي تجردهم العلمي الذي يزعمونه .

المبحث الثالث :

الشيعة وخطهم في التفسير مع ذكر أشهر كتبهم حسب ذكر « جولد تسيهر » لها :

الفرقة الثانية التي تعرض لها « جولد تسيهر » في هذا الفصل هم الشيعة ومنهجهم في التفسير .

وكانت طريقته مع منهج هذه الفئة في التفسير كطريقته مع الفرقة السابقة « الخوارج » عرضا دون تعليق[1] .

التعليق :

الشيعة :

فرقة من الفرق الإسلامية شايعوا عليا وأهل بيته ووالوهم معتقدين أن عليا هو الإمام بعد رسول الله - ﷺ - وأن خلافته ركن الدين وقاعدته وهي حق له بوصية رسول الله - ﷺ - له : وهي لا تخرج عنه في حياته ، لا عن أبنائه بعد وفاته وإن خرجت عنهم فذلك لأمرين :

١ - أن يغتصبها غاصب بغير حق فقد غالى بعضهم حتى اعتبر اغتصابها كفرا ، أما المعتدلون فاعتبروها خطأ .

٢ - أن يتخلى عنها صاحب الحق تقية منه .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٢٩٣ وما بعدها .

وقد أصاب الشيعة ما أصاب غيرهم من الفرق الإسلامية من التمزق والانقسام والاختلاف . فالغلاة منهم كانوا يرفعون « عليا » - رضي الله عنه - لدرجة الألوهية فخرجوا بذلك من الإسلام . أما المعتدلون منهم فهم يرون عليا أفضل من غيره من الصحابة ، وأنه أحق بالولاية منهم .

أما المتوسطون فهم كانوا يعتقدون أنه معصوم وأنه الخليفة بعد رسول الله - ﷺ -[1] .

وكان طبيعيا لكل فرقة منهم ما داموا ينتسبون للإسلام أن يبحثوا عن مستند لهم يؤيد مذهبهم واعتقاداتهم من القرآن ، ويؤولوا الآيات التي تخالف مذهبهم ؛ ليجعلوا لمذهبهم مسوغاً شرعياً ، فيجمعوا له أنصارا .

وكان الشيعة من أكثر الفرق الإسلامية جرأة وتعديا على النص القرآني دعما لاعتقاداتهم . فزعموا أن أهل السنة بدلوه وغيروه وزادوا فيه وأنقصوا منه لإبعاد علي ونسله عن الخلافة . وقد اعتمد المستشرقون على أقوال الشيعة فيما نسبوه للقرآن الكريم من اضطراب وزيادة ونقصان اعتماداً كبيراً .

وقد سبق أن ناقشت هذه المسائل في مكان آخر من الرسالة[2] .

وقد كان الشيعة من أكثر الفرق الإسلامية إنتاجا للتفسير القرآني حاملين نصوصه لدعم اعتقاداتهم ومبادئهم . وخاصة الفرقة الإثنا عشرية التي تزعم أن النبي - ﷺ - قد نص على إمامة الإمام علي من بعده ، وأنها ستكون في ذريته من بعده إلى أن تصل للإمام « محمد المهدي المنتظر » - وهو الإمام الثاني عشر الذي سيخرج يوما من سردابه ليملأ الدنيا عدلا وأمنا كما ملئت ظلما وخوفا -. وهذا الاعتقاد مما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة . ولم يقف الشيعة عند حد هذا الاعتقاد المخالف لأهل السنة بل هم يخالفونهم في كثير من عقائدهم كالعصمة

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٣ وما بعدها .

(٢) باب شبه المستشرقين حول النص القرآني مبحث موثوقية النص القرآني .

للأئمة ، والرجعة للنبي - ﷺ - بعد خروج المهدي ، والتقية بإظهار الطاعة للسلطان ، وهم يدعون لإمامهم المختفي ، ولا يتورعون بالخروج على السلطان إذا شعروا بقوتهم[1] .

أما أمثلة انحرافاتهم في التفسير فهي كثيرة جدا منها :

١ - زعم عبد الله العلوي في تفسيره أن من الآيات القرآنية ما نصت على إمامة علي - رضي الله عنه - دون سواه كقوله تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[2] .

زعم الشيعة أن الآية نص في إمامة علي - رضي الله عنه - حيث نصت على تصرفه العام في جميع المسلمين المساوي للإمام بقرينة ضم ولايته إلى ولاية الله ورسوله فثبتت إمامته وانتفت إمامة غيره للحصر المستفاد وهو المدعى .

ومؤكدين ذلك بسبب نزول ذكر للآية أن عليا تصدق بخاتمه وهو راكع[3] فنزلت الآية .

والجواب عن ذلك :

أ - أن سبب النزول الذي استدلوا به حديث موضوع بإجماع أهل العلم كما نص على ذلك الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في كتاب مقدمة أصول التفسير[4] والآية نزلت في غير علي كعبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام وغيرهما .

ب - أن الولاية بالمعنى الذي حمل النص عليه غير مرادة في زمان الخطاب

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٥٣ - ٥٥ (بتصرف) .

(٢) سورة المائدة : ٥٥ .

(٣) أسباب النزول للواحدي صـ ١٩٢ . تفسير الطبري جـ ٦ / ١٨٦ .

(٤) مقدمة أصول التفسير صـ ٨٧ .

البتة بالإجماع ، لأن زمن الخطاب عهد النبي - ﷺ - والإمامة نيابة للنبوة بعد موت النبي ، فلما لم يكن زمن الخطاب مرادا لابد أن يكون ما أريد به زمانا متأخراً عن موته - ﷺ - ولا حد للتأخير يدعم دعواهم .

هذا الدليل كما دل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرروا ، يدل على سلب الإمامة عن الأئمة المتأخرين[١] .

فمما تقدم يظهر لنا أن المراد بالولاية هنا النصرة . فالخطاب يبين للمؤمنين أن لا ناصر لهم إلا الله سبحانه ورسوله والذين آمنوا الذين من صفاتهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون لله سبحانه[٢] .

فالآية تحدد جهة الولاء (التناصر) الوحيدة التي تتفق مع صفة الإيمان كما بينت لهم من يتولون ليكون الولاء لله خالصا ، والثقة به مطلقة وليكون الإسلام هو الدين ، والتناصر بين العصبة المؤمنة فحسب[٣] .

والذي يؤكد هذا سبب النزول المنسوب لعبد الله بن سلام قال جابر بن عبد الله : جاء عبد الله بن سلام إلى النبي - ﷺ - فقال : يارسول الله إن قوما من قريظة وبني النضير قد هجرونا وفارقونا ، وأقسموا أن لا يجالسونا ، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل ، وشكى ما يلقى من اليهود فنزلت هذه الآية[٤] .

٢ - زعم البحراني أن قوله تعالى : ﴿ **إنكم لفي قول مختلف** ﴾[٥] تنص على ولاية علي - رضي الله عنه - وأن من استقام على ولايته دخل الجنة ومن خالفها دخل النار .

---

(١) مختصر التحفة الأثنى عشرية لشاه عبد العزيز علام حكيم الدهلوي ، الاختصار السيد محمود شكري الآلوسي صـ ١٤١ وما بعدها .

(٢) تفسير الطبري ٦ / ١٨٦ والمرجع السابق صـ ١٤٣ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٢ / ٩٢٠ .

(٤) أسباب النزول للواحدي صـ ١٢٩ .

(٥) سورة الذاريات : ٨ .

كما زعم أن هذه الآية تفيد عصمة الأئمة من جميع القبائح[1] .

٣ - زعم القمي أن القرآن نص على الرجعة في أمة محمد - ﷺ - بقوله تعالى : ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** ﴾[2] .

مع أن الآية نص في بني إسرائيل حيث إنه لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وقع في هذه الأمة[3] .

٤ - أما التقية فقد ذكر الحسن العسكري في التفسير المنسوب له من قوله تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾[4] .

حيث قال : [.. الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ، وسع لهم في التقية يجاهرون بإظهار موالاة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه إذا قدروا ، ويسرونها إذا عجزوا][5] .

وهذا المثال يظهر قمة التعسف الشيعي في حمل النص القرآني على أصولهم الفاسدة .

من هذه الأمثلة يظهر لنا :

السمة الأولى :

من منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم من صرف المعاني القرآنية ، وتحريف النصوص القرآنية لتأكيد معتقداتهم وتصويب مذهبهم .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٥٧ .
(٢) سورة البقرة : ٥٥ - ٥٦ .
(٣) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦٠ .
(٤) سورة البقرة : ١٦٣ .
(٥) الاتجاهات المنحرفة في التفسير صـ ٦١ . وسيأتي الحديث عن هذا التفسير في صـ ٥٥١ .

السمة الثانية :

في تفسيرهم ملؤه بالخرافات والأباطيل التي لا يقرها شرع ولا عقل ، كحل رموز القرآن المبهمة من أسماء الأشخاص والأماكن التي بثوا فيها كل حقدهم ونقمتهم على الصحابة الذين خالفوا « عليا » - رضوان الله عليهم - ولم ينصروه ، وعلى المسلمين الذين لم يسيروا حسب مذهبهم ومعتقداتهم من أمثلة هذه السمة :

تفسيرهم الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وتفسيرهم البقرة التي أمر الله بذبحها بعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - وتفسيرهم الشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية . كما فسروا (كهيعص) برواية طويلة منها أن الكاف كربلاء والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد ظالم الحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره ، وأنه لما عرف تفسيرها زكريا - عليه السلام - لم يخرج من مسجده ثلاثة أيام مانعا الناس من الدخول عليه .

وهذا التفسير للحروف المقطعة مخالف لما عليه جمهور المفسرين في تفسير الحروف المقطعة[1] .

السمة الثالثة :

تأثر الشيعة بتفسيرات المعتزلة التي لها صلة بعلم الكلام لتتلمذ كثير من شيوخهم على بعض شيوخ المعتزلة .

السمة الرابعة :

اتفق الشيعة مع الفلاسفة والصوفية في جعل ظاهر وباطن للنص القرآني وعدم السماح لأحد بتفسير شيء منه مالم يسمعه من أئمتهم .

---

(١) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم صـ ٦٢ .

السمة الخامسة :

تفسيرهم القرآن بأحاديث وضعوها وافتروها على رسول الله - ﷺ - وآل بيته ، وردوا ما صح من الأحاديث لعدم بلوغه لهم بطريق شيعي عن شيعي . ومن أصح كتب الحديث عندهم (الكافي) لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨ هـ ، وكتاب (التهذيب) للطوسي[١] .

من أشهر تفاسيرهم والتي ذكرها « جولد تسيهر » في كتابه :

١ - التفسير المنسوب للحسن العسكري ت ٢٥٤ هـ عده « جولد تسيهر » من أقدم تفاسيرهم[٢] .

هذا التفسير ألفه أبو محمد الحسن بن علي الهادي من سلالة الحسين بن علي - رضي الله عنه - .

وقد سلك المفسر في كتابه طريق شيعته بإثبات عقائدهم فيه كالتقية . كما ظهر فيه تأثره بطريق المعتزلة كثيرا ، وعرضه المسائل الفقهية من وجهة نظر الشيعة .

فهذا التفسير خرج من حد الاعتدال إلى التطرف والغلو والتلاعب في النصوص القرآنية ؛ مما يؤكد عدم صحة نسبته لهذا الإمام الجليل المشهور بعلمه وصلاحه وهذا ما رجحه الشيخ الذهبي - رحمه الله - والله أعلم[٣] .

٢ - التفسير الثاني الذي ذكره « جولد تسيهر » .

تفسير (بيان السعادة في مقام العبادة) لسلطان محمد بن حجر البجختي في القرن الرابع الهجري[٤] .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٢٧ - ٢٨ ، وكتاب دراسات حول القرآن الكريم للطحان صـ ١٩٨ .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٠٣ .
(٣) التفسير والمفسرون ٢ / ٨٦ - ٦٨ .
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٠٤ .

صاحب هذا التفسير من متطرفي الإمامية الاثني عشرية، وهذا التفسير غلب عليه طريقة المتصوفة في صرف المعنى الظاهر للرمز والإشارة والشطحات المعهودة عندهم ، كما أنه خلطه بكثير من الأبحاث الفلسفية الدقيقة لكنه لم ينس أن يدافع عن مذهبه وإثبات عقيدته فيه لدرجة التعصب والغلو والعناد .

أما الفروع فلا يقف عندها كثيرا ، وينقل لها من تفاسير الشيعة وأهل السنة على السواء كالإمام البيضاوي - رحمه الله - ومستخدما بعض العبارات الفارسية كشواهد عما يقول به . ومن الأمور التي يتعرض لها المؤلف أن علم القرآن الكريم كله عند النبي - ﷺ - والأوصياء من الأئمة ، كما ذكر تحريف القرآن الذي يعتقده الشيعة ، وأنه ما نزل إلا في الأئمة ومناصريهم ، وذكر أعدائهم ومخالفيهم .

وظهر تأثر المؤلف بأسلوب المعتزلة في المسائل الكلامية وموافقته لهم أحيانا كما أنه يلحظ اهتمامه ببعض المسائل النحوية وببعض القراءات القرآنية[1] .

٣ - التفسير الثالث الذي ذكره « جولد تسيهر » من تفاسير الشيعة تفسير : (مجمع البيان لعلوم القرآن) « لأبي جعفر ، وقيل : لأبي علي الفضل ابن الحسين الطبرسي المشهدي المفسر الفقيه المحدث الثقة شيعي معتدل له عدة تفاسير هذا أحدها ، وله تصانيف عدة .

هذا التفسير شاهد على تبحر صاحبه بفنون عدة من العلم والمعرفة . وقد ذكر المؤلف في هذا التفسير مقدمات تتعلق بعلوم القرآن ، كما أنه يذكر القراءات وأصحابها ، ويذكر بعض المسائل اللغوية والنحوية والفقهية حسب المذهب الشيعي مثل إجازته لنكاح المتعة ونصه على عدم جواز الزواج من الكتابيات ، كما أنه جمع بين تفسير الآية وتأويلها ، وأحيانا تفسيرها تفسيرا رمزيا حسب طريقة الشيعة .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ١٩٩ - ٢٣٤ (بتصرف) .

وقد دافع الطبرسي -رحمه الله- عن القرآن الكريم وسلامته من الزيادة والنقصان مخالفاً عقيدة قومه ، أما أسلوب المؤلف في الكتاب فجميل ، وقوي الحجة ، ودقيق التعليل ، وحسن الترتيب فالكتاب عظيم الفائدة ونافع في بابه .
ولكن لابد من التنبيه على بعض الملاحظات العامة على الكتاب :

١ - لم يتخل المؤلف عن عقيدة الشيعة فكان يطرح بعض معتقداتهم كالإمامة لعلي ، الرجعة ، والتقية ، وبعض الآراء الاعتزالية دون مغالاة ولا تطرف .

٢ - روايته لكثير من الأحاديث الموضوعة والواهية .

٣ - تنزيله بعض آيات القرآن بما يتناسب مع اجتهاده الخاص به[1] .

٤ - لم يعتبر الطبرسي الإجماع حجة إلا إذا كان كاشفا عن رأي الإمام ، أو كان الإمام داخلا في جملة المجمعين . لذا رد الأدلة القرآنية التي استدل بها الجمهور على حجية الإجماع[2] .

فبعد هذا العرض لثلاثة كتب من تفاسير الشيعة يظهر لنا منهج الشيعة في تفسير القرآن الكريم بين معتدلين ومتطرفين والأشد تطرفا فرقة الاثني عشرية.

والشيعة يخالفون أهل السنة في عقائدهم ؛ وينحرفون بهذه العقيدة صارفين لها الآيات القرآنية ، رادين ما يعارضها من الآيات القرآنية وما صح من الأحاديث النبوية . وهم يخالفون أهل السنة في كثير من المسائل الفقهية وغيرها مستخدمين كل أسلوب لنصرة مذهبهم من أخذ بالظاهر ، أو بالتفسير بالرمز أو الجدل الكلامي إلى غير ذلك .

لذا فتفسيرهم من تفاسير أهل الرأي المذموم والذي لا يجوز القول به ولا الأخذ به .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٩٩ - ١٠٥ .

(٢) التفسير والمفسرون ٢ / ١٤٢ - ١٤٤ ، ودراسات حول القرآن - الطحان صـ ٢٠٤ .

ومن هنا كان عرض « جولد تسيهر » لمنهج هذه الفرق في التفاسير ودافعه من وراء ذلك واضح ، وذلك لمخالفتها للتفسير الصحيح عند أهل السنة والجماعة ؛ ولإظهار الخلاف بين فرق المسلمين وكان عرضه بطريقة توحي أن تفسيرهم لون من ألوان التفسير المقبول والجائز . وهذا المنهج مخالف للمنهج العلمي المتجرد مما يبين سوء نية هذا المستشرق وإخوانه في اختيارهم لمثل هذه الموضوعات وفي طريقة عرضهم لها ، ولخطوات منهجهم فيها .

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

المبحث الأول

المدرسة العصرية الهندية

ممثلة في السيد أحمد خان بهادر كما يراها « جولد تسيهر »

المبحث الثاني

المدرسة العصرية المصرية كما يراها « جولد تسيهر »

المبحث الثالث

ج. جومييه ودراسته لكتاب الجواهر

المبحث الرابع

تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث في نظر « ج باJون »

المبحث الخامس

موقف الغرب من العصرية في العالم الإسلامي

الفصل الخامس

التفسير في ضوء التمدن الإسلامي

منذ أن أنزل الله سبحانه كتابه القرآن الكريم على رسوله محمد - ﷺ - والمسلمون يرجعون إليه تلاوة وفهما ودراسة تحليلية يدل ذلك كله على مقدار اهتمامهم بهذا الكتاب العظيم .

ولكن البلاد الإسلامية مرت بفترات اضطراب أدت إلى ركود وجمود في الحركة العلمية إجمالا . وكان آخر ما تعرضت له المنطقة الإسلامية الغزو الثقافي الذي خلف الاستعمار العسكري في المنطقة يمثله التبشير والاستشراق الذي أدى لإنماء التعليم العلماني في المنطقة ، فظهر على أثر ذلك الحركة العصرية في العلوم الدينية التي تحاول جهدها التوفيق بين العلوم الإسلامية وبين المفاهيم والثقافة الغربية . وكان على رأس من تبنى هذه الحركة السيد أحمد خان بهادر في الهند ، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مصر ، ولا يعني هذا أن كلا المدرستين لم يكن لهما جوانب إيجابية ولا تأثير واضح على النهضة العلمية الإسلامية عامة والتفسيرية خاصة .

فمن جوانب الحركة التفسيرية العصرية الإيجابية إنماء روح الابتكار التي شهدتها هذه الحركة ، والتركيز على جانب الهداية الربانية التي من أجلها أرسل الله الرسل ، فلبس التفسير في هذا العصر ثوبا أدبيا اجتماعيا جميلا أظهر روعة القرآن الكريم . وقد اقتصر التفسير في هذه الفترة على الضروري مع مراعاته لمستوى القارىء من كل الفئات . والمدرسة العصرية المصرية أكثر سلامة وأقل انحرافات في مسيرتها من المدرسة العصرية الهندية التي ابتعدت كثيرا في مسيرتها عن طريق أهل السنة والجماعة عقيدة وفهما لكتاب الله سبحانه وسنة نبيه - ﷺ - وقد

ركز « جولد تسيهر » في بحثه الأخير (التفسير في ضوء التمدن الحديث) على المدرستين الهندية ممثلة بشخص « سيد خان بهادر » والمصرية ممثلة بشخص الشيخ « محمد عبده » ليظهر من خلالهما حركة التفسير الحديث بمفهوم العصرية وبانحرافاتها .

وسأركز بحثي وحديثي عن هاتين المدرستين ولا أعدوهما لأنهما المدرستان اللتان اهتم بهما المستشرقون اهتماما خاصا وقدموا دراساتهم عن التفسير الحديث من خلالهما .

وسأبدأ حديثي بالمدرسة الهندية وبرئيسها (سيد خان) .

المبحث الأول :

المدرسة العصرية الهندية ممثلة في السيد أحمد خان بهادر كما يراها « جولد تسيهر » .

المسألة الأولى :

التعريف بالسيد أحمد خان بهادر :

رائد العصرية في العالم الإسلامي هو السيد أحمد خان بهادر ، هندي الأصل عاش بين (١٨١٧ - ١٨٩٨ م) ولد في مدينة (دلهي) من أسرة من علية القوم ، عراقة وذات صلة وطيدة بالحكام المغول وإن كانت فقيرة .

نشأ في جو مشبع بالتصوف ، وقرأ في صغره القرآن وعلوم العربية واللغة الفارسية ، ولكن لم يمض في هذه الدراسة قليلا إلا ورغب عنها ونفض يده منها ، وعلى يد أحد أفراد عائلته أخذ يتعلم الرياضيات وعلم الهيئة ، ولم يكن حظه فيهما إلا كحظه في دراسته الأولى . وانقطع أخيرا في دراسته عن التعلم في سن الثامنة عشرة وعاش في شبابه حياة مرح يحضر حفلات الرقص والغناء الشائعة في طبقته ، وفي سن الثانية والعشرين اضطر بسبب وفاة والده للالتحاق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلك القضاء وعمل في عدد من المدن الهندية .

وبعد فترة ثاب إلى نفسه وبدأ في تغيير حياته وإصلاحها . وأقبل على التعلم من جديد ثم ألف عددا من الكتب في السيرة النبوية والتاريخ وكان لإخفاق الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م نقطة تحول في حياته حيث رأى الدمار والخراب الذي لحق بلده فلهذا وقف يناصر الإنجليز ويساعد في حمايتهم ونجى بعض عائلاتهم من القتل .

وقد أيقن أن ولاء المسلمين للإنجليز هو السبيل الوحيد لإنقاذهم كل ذلك لفرط إعجابه بهم لذلك سعى طيلة حياته ليحقق هدفه المنشود وهو تقليد المسلمين للإنجليز والحضارة الغربية في كل شيء حتى وصفه وزمرته التي حوله الصحفي (ماكدونالد) بقوله : (إنجليز في كل شيء باستثناء العناصر الأساسية لعقيدتهم الدينية) والذي زاد من تعلقه بالغرب زيارته لبريطانيا ففي عام ١٨٦٩ م سنحت الفرصة لسيد خان لزيارة انجلترا . وكانت رغبته كما كتب في خطاب قبل سفره أن يطلع بنفسه على العظمة الباهرة للحضارة الغربية في مهدها . لا ليستفيد هو وحده من هذه التجربة بل ليستفيد قومه أيضا . لأنه حين يعود سوف يعلمهم ما تعلمه ويضع نفسه نموذجاً لهم في الاقتباس من الغرب .

ومكث سيد خان في لندن سبعة عشر شهرا كان فيهما ضيفا مبجلا ، وزائرا كريما ، وصديقا عزيزا في الإنجليزية المحترمة ، وحضر المآدب الملكية الفخمة والولائم الارستقراطية التي تمثل الحضارة الأوربية في أروع مظاهرها ، وأخلاق الطبقة الحاكمة وطبقة الأشراف ، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف ، وقابل الملكة وولي العهد والوزراء الكبار ، واختير عضوا فخريا في الجمعيات العلمية ذات الشرف الكبير ، وحضر حفلة نادي المهندسين الكبار واطلع على المشاريع والخطط التقدمية التي مرت بها البلاد في الزمن القريب والتي أحدثت ثورة وانقلابا في الأوضاع وفي مستوى البلاد ومكنتها من بسط نفوذها وسيطرتها الفكرية .

وعاد سيد خان إلى بلاده ونفسه ممتلئة إعجابا بما شاهد ورأى وأخذ على عاتقه بعد عودته إلى بلاده أن يفتح أعين المسلمين إلى عظمة الحضارة الغربية وكانت وسيلته إلى ذلك ثلاثة مبادىء :

التعاون في المجال السياسي ، واستيعاب علوم الغرب في المجال الثقافي ، وإعادة تأويل الإسلام في المجال الفكري ليتكيف مع الحضارة الغربية .

فأنشأ مجلة (تهذيب الأخلاق) خدمة لهذا الغرض ، وأنشأ كلية عليكرة المعروفة الآن باسم جامعة عليكرة ، وكان الهدف منها تعليم آداب ولغات الغرب بالدرجة الأولى[1] .

وقد دعا لمبادئه بعدة كتب ومجلة منها :

(ولاء المسلمين في الهند) :

أراد المؤلف بهذا الكتاب إقناع المسلمين في الهند بجواز إعطاء ولائهم لبريطانيا ، مستدلا بموالاة نبي الله يوسف – عليه السلام – لعزيز مصر بكل إخلاص . مع أن عزيز مصر لم يكن على دين[2] يوسف – عليه السلام –. فالكتاب من عنوانه يوضح الخط الذي سارت عليه مدرسة « خان » في الهند .

وكان تأليف الكتاب على إثر إخفاق الثورة الهندية عام ١٨٥٧ م أمام بريطانيا ؛ مما دعاه لمناصرة الإنجليز ومساعدتهم بحمايتهم وإنجائه لبعض عائلاتهم من القتل ، بل وبالدعوة لإعطاء الولاء لهم والاستسلام والانقياد لحكمهم .

ب – مجلة (تهذيب الأخلاق) :

بعد عودته من بريطانيا وكان هدفه من إنشائها إصلاح التفكير الديني للمسلمين – كما يراه – وإزالة ما في الفكر من قيود تمنعهم من التقدم .

ج – (أحكام طعام أهل الكتاب) :

ألفه ليزيل الحاجز النفسي الموجود بين المسلمين والإنجليز ليغير موقف بعض المسلمين وهو امتناع بعض المسلمين من مخالطة الأنجليز ومؤاكلتهم والتشبه بهم في آدابهم وتقاليدهم .

---

(١) مفهوم تجديد الدين – بسطامي صـ ١٢٢ – ١٢٣ .

(٢) مفهوم تجديد الدين – بسطامي صـ ١١٩ – ١٢٢ (بتصرف) .

د - (تبيين الكلام) :

كتاب ألفه شرحا لبعض أجزاء من الإنجيل ليظهر أوجه الشبه بين الإسلام والمسيحية .

هـ - (تفسير القرآن الكريم) :

وهو من أهم مؤلفاته وهو الكتاب الذي اعتمده « جولد تسيهر » في دراسته وسجل ملاحظاته عنه في الفصل الأخير من كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) فصل (التفسير في ضوء التمدن الإسلامي) ولم يكمل « خان » هذا الكتاب .

وقد أراد من تأليفه أن يثبت أن حقائق الإسلام وتعاليمه لا تتعارض مطلقا مع قوانين الطبيعة ؛ لأن القرآن هو « كلمة الله » وقوانين الطبيعة هي « فعل الله » ولا يتعارض كلامه مع فعله .

فمن أجل ذلك وضع هذا التفسير مخالفا فيه كلام العرب وآراء السلف وإجماعهم لمحاولته تأويل ما ظنه تعارضا بين كلام الله وقوانين الطبيعة . ويقصد بالطبيعة نفس المعنى الذي استعمله علماء أوربا في القرن التاسع عشر للميلاد (نظام كوني مغلق يخضع لقوانين عمياء ليس فيها أي مجال للخرق والاستثناء) .

المسألة الثانية :

بعض آراء السيد خان :

١ - سعى السيد خان لتكييف الإسلام للحضارة الغربية ، فمن أجل ذلك اعتبر القرآن وحده الأساس لفهم الإسلام ، أما الأحاديث النبوية فلا يعتمد عليها - في نظره - مستشهدا بذلك بقول عمر بن الخطاب : « حسبنا كتاب الله » مشيرا بذلك لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما حيث قال : لما حضر رسول الله - ﷺ - وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي - ﷺ - : « هلم أكتب لكم كتابا لاتضلون بعده » فقال عمر: إن رسول الله -

ﷺ - قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله[1] . الحديث.
وقد زعم « خان » أنه في ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعرفة الإنسانية لا يمكن الاعتماد في فهم القرآن على التفاسير القديمة وحدها التي اشتملت - في رأيه - على كثير من الخرافات ولكن ينبغي الاعتماد على بعض القرآن وحده الذي هو بحق كلمة الله ، ومن خلال معرفتنا وتجاربنا الذاتية يمكن لنا أن نفسر القرآن تفسيرا عصريا[2] .

ويستخدم سيد خان مفهومين لتقديم تفسير عصري للقرآن لا يناقض كما يعتقد قوانين الطبيعة .

أولهما :

مفهوم المحكم والمتشابه الذي جاء في قوله تعالى : **﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾**[3] .

فهو يرى أن هذا التقسيم المحكم والمتشابه دليل على أن الإسلام هو دين الطبيعة ، فالآيات المحكمة هي الأساسية وهي التي تشتمل على أساسيات العقيدة أما المتشابهة هي الرمزية وهي التي تساير تطور معارف البشر، فقد تصلح لطور دون طور لذا فلا يجوز التمسك بالفهم القديم لأن هذه الآيات قابلة للتغيير لما يلائم العصر الجديد .

ثانيهما :

يعتبر « خان » القرآن مشتملا على حقائق أساسية هي المقصودة من الحديث ، ولكن هذه المعاني الأساسية تصاحبها معان ثانوية وفرعية مأخوذة من بيئة العرب وظروفهم ، ولا يعني ذكر القرآن لها أنها حقائق[4] وحجته في عدم

---

(١) انظر صحيح البخاري ٨ / ١٦١ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ٢٦ كراهية الخلاف . وصحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ كتاب الوصية باب ٥ ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .
(٢) انظر مفهوم تجديد الدين صـ ١٢٣ - ١٢٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٧ .
(٤) انظر مفهوم تجديد الدين صـ ١٢٥ (بتصرف) .

قبول الأحاديث النبوية كأساس لفهم الدين ؛ أن هذه الأحاديث بسبب عدم تدوينها في العهد النبوي - حسب زعمه - وأن التدوين تم في القرن الثاني الهجري الذي كان مضطربا بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية مما سبب الوضع في الحديث النبوي الشريف كما أن كثيرا من هذه الأحاديث قد روي بالمعنى فهي تحمل فهم الراوي وليست هي كلمات الرسول - ﷺ - بعينها .

ثم زعم أن نقد الحديث كان للسند دون المتن لذا اقترح أن يطبق على الحديث مقاييس النقد العصرية دون تفصيل لهذه المقاييس وما قَبله من الأحاديث فقد اعتبره قسمين :

قسم خاص بالأمور الدينية . وقسم خاص بالأمور الدنيوية .

فالقسم الأول هي الملزِمة دون الثانية ، ويستدل على هذا بقصة تأبير النخل وقوله - ﷺ - « أنتم أعلم بأمور دنياكم »[1] .

٢ - كان (سيد خان) يسخر من الذين يقولون إن كل شيء قد اكتمل على أيدي الفقهاء الأقدمين .

وكان يقول : [فمما ينافي العقل أن تكون الأحكام التي ذكروها صالحة لغير زمانهم كما أنهم بشر يخطئون . أما زماننا فحاجاته تختلف فلابد أن تعدل هذه الأحكام لتصبح مكيفة مع ظروفنا وحاجاتنا الحاضرة . ثم يقول نحن أتباع الإسلام لا أتباع زيد وعمرو] .

و « خان » لا يعترف بالإجماع كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي فباب الاجتهاد عنده مفتوح لكل المسائل - طبعا حسب أسسه وقواعده الفكرية المنطلقة من التقرب بين الإسلام والغرب - .

أما سبب اتفاقهم فلا يعدو أن يكون ناتجا عن ظروف خاصة ؛ أما

---

(١) انظر صحيح مسلم ٤ / ٤٣ كتاب الفضائل حديث رقم (١٤١) ولكنه بدلا من أمور (أمر) .

الاختلاف في وجهات النظر في ظنه أنها طريق لتقدم الأمة[1] .

فمن الأمثلة على فقهه :

١ - في فقه العبادات كان منهجه أن يفسر ممارسات العبادة تفسيرا عقليا خالصا، فغسل الأعضاء في الوضوء نظافة ورمز للطهارة المعنوية، والقِبْلة- في نظره- كانت في مبدأ الأمر للتفريق بين أهل الكتاب والمسلمين ثم أصبحت تقليدا دائما . والصلاة القصد منها توجيه انتباه المرء لخالقه .. إلخ .

أما الجهاد عنده فهو يشرع فقط للدفاع عن النفس ، وفي حالة واحدة فقط هي اعتداء الكافرين على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم ، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر مثل احتلال الأراضي وليس هدفه الدين ، فالجهاد غير مشروع (يقصد بذلك مسالمة الإنجليز) .

أما الربا عنده : هو الربح المركب الذي يدفعه الفقير مقابل دينه كما كانت العادة الشائعة عند العرب . أما الفائدة البسيطة في المعاملات التجارية المعاصرة والبنوك فليس ربا وليست حراما)[2] .

أما الميراث في نظره : هو المرتبة الثانية بعد الوصية التي توزع أولا حسب وصية الموصي بدون قيود ؛ وذلك لأنه لا يعترف بالأحاديث المقيدة لمقدار الوصية . أما تقسيم المال عن طريق نظام الإرث فهو للحالات التي لا توجد فيها وصية[3] .

أما قضية تعدد الزوجات : فإنه يعتبر الأصل في الزواج هو زواج الواحدة ، أما التعدد فهو حالة استثنائية . ويدل على هذا أن الله سبحانه ربط الزواج بالعدل وبما أن العدل غير مستطاع كما ذكر القرآن فلهذا لا يباح تعدد

---

(١) المرجع السابق صـ ١٢٦ .

(٢) مفهوم تجديد الدين - صـ ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) نفس المرجع صـ ١٣٠ .

الزوجات إلا في الحالات النادرة ، ويجب أن يقصر على الظروف الاستثنائية[1] .

أما الحدود ففي نظر « سيد خان » يرفض الأخذ بعقوبة الرجم للزاني بحجة عدم ذكره في القرآن الكريم . وأن الأحاديث على فرض صحتها فهي تحكي عادة شاعت في تلك الأيام تقليدا لليهود في رجم الزاني عندهم . أما الدية عنده : فهي عادة عربية قديمة لا تناسب العصر[2] .

النتائج العملية لهذا المنهج :

وقد كانت نتيجة هذا المنهج في فهم الدين عند « خان » أن نادى بإعادة تأويل القرآن ، وتطويع مفاهيم الإسلام لموافقة قيم الغرب وآرائه بجرأة وصراحة .

وسألقي الضوء كذلك على فهم « خان » لبعض القضايا القرآنية وبعض القضايا العامة .

١ - كان فهم (سيد خان) (للألوهية) كما هي عند الفلاسفة أنها (العلة الأولى) والله خلق الكون والطبيعة ووضع لها قوانين ولكنه لا يتدخل في هذه القوانين بعد ذلك .

أما فهمه (للنبوة) أنها ملكة إنسانية وموهبة من الطبيعة واستعداد ينميه الفرد كما ينمي الشاعر مواهبه .

أما مفهوم (الوحي) عنده أنه ليس أمرا خارقا من خارج النفس البشرية ولكنه مرحلة عليا من مراحل الإدراك والإحساس والغريزة التي توجد عند كل إنسان حتى عند الحيوان والحشرات[3] .

أما المعجزات عنده : فهي أمر ليس خارقا لقوانين الطبيعة بل المعجزة عنده حدث موافق لهذه القوانين ، ولكنه يظهر بمظهر الخارق أمام أعين الناس لأنه

---

(١) نفس المرجع صـ ١٣٠ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) نفس المرجع صـ ١٢٧ .

يخالف المجرى العادي للأمور .

ففي ضوء فهمه هذا للمعجزة فإنه يؤول معجزات الأنبياء الواردة في القرآن فقصة إبراهيم – عليه السلام – هي رؤيا منامية .

أما ضرب موسى – عليه السلام – البحر بعصاه ، فهو مشيه فيه لأنه كان مخاضة ضحلة . أما التقام الحوت ليونس – عليه السلام – فهو إمساكه إياه بضمه فقط لا بالبلع .

أما ميلاد عيسى – عليه السلام – فإنه لم يكن معجزة لأنه كان ميلادا طبيعيا من زواج مريم بالملك – عليهما السلام – ووصفها بإحصان الفرج فذاك وصف لطهارتها من دنس الرذيلة .

وعيسى – عليه السلام – توفي وفاة عادية ومات كبقية البشر و (رفعه) المقصود به رفع منزلته .

أما قصة خلق آدم فقد فسرها في ضَوْء نظرية دارون ، فالماء والطين تفاعلا كيمياويا .

فمما تقدم يظهر لنا بوضوح فكر « سيد خان » ومدرسته في فهم الإسلام عامة وكتاب رب العالمين خاصة ، وقد أفرزت هذه المدرسة عدة تلاميذ مخلصين لها ساروا على نفس النهج الذي رسمه لهم مؤسسها « سيد خان » .

المسألة الثالثة :

أشهر تلاميذ « السيد أحمد خان » والذين ساروا على خطه ومنهجه :

١ – شراغ علي :

صاحب كتاب (الإصلاحات السياسية والقانونية والاجتماعية المقترحة للأمبراطورية العثمانية والدول الإسلامية الأخرى)[١] .

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٣٢ .

٢ - سيد أمير علي : (١٨٤٩ - ١٩٢٨) :

من أشهر كتبه (روح الإسلام) الذي وضعه باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢ م ، وهو كتاب دعوة للتحرر بالمفهوم العصري للمدرسة الهندية[١] .

٣ - مولانا محمد على :

وهو أحد أفراد طائفة القاديانية . والذي حاول في كتبه بتعديل الإسلام وفق الروح الغربية[٢] .

٤ - غلام أحمد برويز :

وهو من أشد منكري السنة النبوية وله طائفة مشهورة في باكستان[٣] لليوم هؤلاء هم أشهر تلاميذ « سيد خان » الذين ساروا على دربه واستناروا بفكره ، وحاولوا جهدهم في ترجمة أفكاره عملياً بالدعوة لها والتأليف فيها بين مصرح بإنكار السنة النبوية وبين داع للتحرر من أحكام الدين بدعوى مسايرة التطور الثقافي والحضاري الغربي إلى غير ذلك من الأفكار .

ولم يقتصر تأثير سيد خان على شبه القارة الهندية بل تعداها لكثير من بلاد العالم الإسلامي وعلى رأسها (مصر) التي حملت دعوته وفكرته بمدرسة المنار وسيظهر هذا جليا عند حديثي عن العصرية في مصر .

المسألة الرابعة :

جوانب الضعف في فكرة سيد أحمد خان :

أولا :

إن أحمد خان لم يفكر في إخضاع الثقافة الغربية للمجتمع الهندي

---

(١) نفس المرجع السابق صـ ١٣٣ .

(٢) نفس المرجع السابق صـ ١٣٤ .

(٣) نفس المرجع السابق صـ ١٣٥ .

الإسلامي ، بل استورد هذا النظام التعليمي من الغرب بتفاصيله وخصائصه وروحه وطبيعته ، واستورد حضارته التي تكتنفه ، وطالب بالتفاعل معها والاستفادة منها ولشدة تعلقه وتأثره بالحضارة الغربية وانبهاره بها اشترط أن يكون عميد جامعة عليكره ومدير الثانوية إنجليزيا وكذلك أن يكون فيهما عدد من المدرسين من الإنجليز وكان لهذا المسلك من « أحمدخان » . أثر على اتجاه المسلمين السياسي وقد اقترنت دعوة « أحمد خان » في القارة الهندية بالحضارة الغربية دون حاجة ماسة لذلك فأوجدت جيلا مثقفا إسلامي الاسم ، غربي التفكير ، إنجليزي الطراز ، مضطرب العقيدة في بعض الأحيان . وخلق مشكلة جديدة في بيوت المجتمع الهندي المسلم .

ثانيا :

تمسك « أحمد خان » في النظام التعليمي بتعليم اللغة والآداب فقط دون تعليم الفنون والعلوم التطبيقية العملية مع أنها هي ثمرة العلم الجديد اليانع ، وسر قوة الأمم الغربية وسيادتها[1] .

هذه الدعوة بسلبياتها الكثيرة لم تُترك دون اعتراض ونقد . فهذا الشاعر « السيد أكبر حسين الإله آبادي » قد شن عليها حربا لا هوادة فيها . وكذلك السيد محمد إقبال بن نور محمد الذي ما انفك ينتقد ويستعرض هذه الحضارة ومناهج تفكيرها الفاسدة في كتابه (تجديد الفكر الديني) .

هؤلاء الشباب قد لاحظوا جوانب الضعف الأساسية في المنهج التعليمي والحضارة الغربية وتركيبها ، والفساد الذي خالط اتجاهها المادي وثورة أصحابها على الديانات والقيم الخلقية والروحية عند نهضتها . لذا كان داعية للعودة للشريعة الإسلامية السمحاء والحضارة الإسلامية الغراء وداعية للتحرر من الحضارة الغربية وقيمها وأخلاقها .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٧٣ - ٧٥ .

وكان كذلك من بين الناقدين لهذه الفكرة الغربية الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي مبينين زيف هذه الحضارة الغربية من الوجهة العلمية ، ومعارضين قيمها ومفاهيمها الغربية وأسسها الفلسفية المادية التي قامت عليها هذه الحضارة .

وكان أسلوب أبي الأعلى المودودي – رحمه الله تعالى – الهجوم على الخصوم ، لا الدفاع عن الإسلام الذي انتهجته دعوة (أحمد خان) في الهند ، ودعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه وجماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي . فقد كان لهذه الجماعة فضل كبير في إضعاف سلطان الفكرة الغربية وهيمنتها على عقول الشباب ونفوسهم ، ومقاومة مركب النقص فيهم[1] وأبرزت قوة الإسلام الحقيقية وجعلت الشباب يظهرون إلى جانب التحدي بهذا الدين مما دفع الأعداء قاطبة أن يتنبهوا لهذه الجماعة ويخططوا لضربها بين الفينة والفينة .

المبحث الثاني :

المدرسة العصرية المصرية كما يراها « جولد تسيهر » :

المسألة الأولى :

اعتبر « جولد تسيهر » مدرسة الشيخ محمد عبده – كما سماها – رائدة العصرية في العالم العربي والمكملة لخط المدرسة العصرية الهندية .

فقد تعرض « جولد تسيهر » لمنهج الإمام محمد عبده في التفسير ثم تناول جوانب المنهج بشكل غير منتظم ، وبطريقة استطرادية دون وضع نقاط محددة يمكن أن يعتمد عليها في تحديد المنهج . مركزا على إظهار الناحية العصرية في هذه الدعوة ، وإبراز محاولات هذه المدرسة في إثبات عدم التعارض بين الإسلام وحقائق العلم .

فمن النقاط التي أشار لها « جولد تسيهر » في منهج مدرسة محمد عبده .

---

(١) المرجع السابق صـ ٧٣ – ٩٤ .

١ – محاربة البدع والمنكرات والتقليد الأعمى .

٢ – اعتبار هذه المدرسة داعية التجديد الديني الإسلامي في المنطقة .

٣ – إظهار جانب تأثير مؤسسها خلال منفاه بالفكر الأوربي من خلال الاتصال برجال الفكر هناك .

٤ – الدعوة لتحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي .

٥ – تأثر هذه المدرسة بآراء ابن تيمية والغزالي .

٦ – اعتماد الطريقة الروحانية العمرانية التي تظهر أن منبع السعادة في القرآن الكريم .

٧ – تفسير القرآن تفسيرا موضوعيا يظهر جمال نظم القرآن الكريم .

٨ – إثبات هذه المدرسة أن القرآن لا يتعارض مع حقائق العلم وذكر بعض الأمثلة .

٩ – إثبات القرآن بأن النمو التاريخي والاجتماعي للأمم يسير بسنن ثابتة .

سأذكر بعض النقاط التي ذكرها « جولد تسيهر » خلال عرضه لمنهج مدرسة محمد عبده مركزا على النقاط السلبية في العرض فقط :

١ – زعم « جولد تسيهر » أن هذه المدرسة كانت تخالف طريقة النظر المأثورة لإثبات الوحدة الموضوعية .

٢ – محاولة إظهار الخلاف بين مدرسة التفسير القديمة ومدرسة الشيخ محمد عبده من ذلك ما ذكره .

دعواه أن محمد عبده يعتبر أن قيمة القرآن تزداد علوا بقلة التأثر بقوانين البلاغة في النظر إلى المترادفات .

والذي ينظر لنظرة « جولد تسيهر » لمدرسة الشيخ محمد عبده ودعوته

الإصلاحية يجدها لأول وهلة موضوعية ولكنها قاصرة ولا منهجية .

كما يلاحظ أن البحث عنوانه واسع ولكن المادة المطروحة تحته قاصرة ومحدودة .

وسأستعرض منهج هذه المدرسة الإصلاحية ذاكرا ما وافقنا فيه « جولد تسيهر » من الصواب .

وسأوضح ما غَمُض عليه أو لم يوضحه « جولد تسيهر » وسأذكر ما جانبت فيه هذه المدرسة الصواب .

المسألة الثانية :

المدرسة المصرية - والعصرية -:

الدعوة الإصلاحية في مصر :

كانت مصر منذ عهد محمد علي باشا وجلاء الفرنسيين ١٧٩٩ م المجال الثالث الرئيسي الذي ظهر فيه صراع الشرق والغرب الفكري والثقافي والحضاري في أبرز مظاهره وأقواها حيث بذرت الحملة الفرنسية بذورا عميقة في التربة المصرية والعقلية الإسلامية العربية . وكانت مصر بخصائصها الكثيرة التي لا يشاركها فيها أحد جديرة بأن تكون ملتقى يُتلقى فيه ما فاقت فيه أوربا بجهدها وكفاحها من العلوم التطبيقية والوسائل الحديثة .

من هذه الخصائص غناها باللغة العربية والعلوم الدينية ووسائل الطبع والنشر ، ووجود الأزهر فيها وأهليتها أن تكون في مركز ثقافي ديني متميز ولطبيعة الشعب من حيث التدين إلى غير ذلك من الخصائص .

ولكن الوضع الذي كانت تعيشه مصر تحت النفوذ الأجنبي والاحتلال البريطاني جعلها تتأخر عن مركز الزعامة والقيادة وساء على إثر ذلك وضع مصر في كل النواحي مما دفع دعاة الإصلاح بالتفكير أن يصلحوا من حال مصر وردها

لمكانتها الطبيعية[1] .

وكانت أول هذه المحاولات من الشيخ جمال الدين الأفغاني مؤسس حركة التجديد في مصر والذي كان من دعاة الوحدة الإسلامية ، وتحرير بلاد الإسلام من الاستعمار – كان له محاضرات في التفسير بأسلوب متسلسل حسب رأي « جولد تسيهر »[2] .

ولد جمال الدين الأفغاني في أسعد آباد في أفغانستان سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٩ م واسمه محمد بن صفرد . أما جمال الدين فلقبه . ورجح الأستاذ عبد المجيد المحتسب في كتابه (اتجاهات التفسير في العصر الراهن) أنه كان إيرانيا شيعيا جعفري المذهب من مدينة أسد آباد بالقرب من همذان ، وأن بقية أسرته لا تزال في أسد آباد . وأن إخفائه لحقيقة أصله حتى يخفي تشيعه عن الناس في البلاد العثمانية التي تنقل فيها[3] .

طاف جمال الدين الأفغاني أنحاء العالم الإسلامي يدعو إلى اليقظة وإلى إصلاح الواقع المؤلم الذي كان فيه المسلمون فطورد من السلطات الاستعمارية ، وهوجم من قبل كثير من الجامدين وأعظم المراحل في حياته أثرا المرحلة التي قضاها في مصر حيث تتلمذ على يديه عدد من التلاميذ وحين التقى مع الشيخ محمد عبده في باريس وأصدرا جريدة العروة الوثقى .

وبحكم تنقل « الأفغاني » في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي والدولي فقد تأثر بالغرب وثقافته وتقدمه الحضاري والمادي . وقد ظهر اهتمامات جمال الدين الأفغاني بتفسير القرآن الكريم على أثر ما تعرض له « جمال الدين الأفغاني » من تفسير مجموعة من الآيات القرآنية التي نشرها في العروة الوثقى .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٩٤ وما بعدها .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٤٨ وما بعدها .

(٣) اتجاهات التفسير في العصر الراهن صـ ١١٣ – ١١٤ ، وانظر جمال الدين الأفغاني – د / على عبد الحليم صـ ٣٣ وما بعدها .

وقد كان استخدامه لتفسير الآيات تلك لخدمة أغراضه السياسية . وقد ركز في مقالاته على ما يلهب مشاعر الناس ويدفعهم للتحرر والاقتناع بدعوته ، وأن يتضامنوا مع بعضهم تضامنا إسلاميا فقد طلب منهم التمسك بالقرآن وإلغاء العصبية وطرح التقاليد ، وإعمال الاجتهاد في فهم القرآن ، والملاءمة بينه وبين ظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون ، وطرح الخرافات والبدع التي غيرت من جوهر الإسلام ، والتي جعلته وسيلة سلبية في الحياة بدلاً من كونه حقيقة واضحة ، وقوة إيجابية في السيطرة على الحياة وتوجيهها[1] .

والذي يطلع على حياة الشيخ جمال الدين الأفغاني يجده عقلية نابغة وشخصية قوية عرفت الغرب دراسة وسياحة وثقافة وسياسة ولكنها يكتنفها كثير من الغموض .

كان جمال الدين من الرجال المعدودين الذين يؤمل فيهم أن يقوموا لمواجهة حضارة الغرب وفلسفاته المادية ونقدها وصيانة الشرق من سيطرتها وسلطانها الفكري .. ومنعه من الانحراف الذي يسبب ضياع شخصية هذا المجتمع . لذا فقد أحدث نهضة علمية واجتماعية وسياسية وقد تأثر بدعوة الشيخ كثير من التلاميذ وكان أشدهم تأثرا بدعوته العلمية الشيخ « محمد عبده » وبدعوته السياسية مصطفى كمال ، وفريد وجدي ، وسعد زغلول ، وغيرهم[2] .

المسألة الثالثة :

فضل حركة السيد جمال الدين ومدرسته :

كان لجمال الدين الأفغاني دور لا يستهان بقيمته في رفع قيمة الدين والاعتماد على القرآن في عيون النشء الجديد ، وفي إعادة الثقة بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان إلى نفوس الشباب المثقف ، وحال – إلى حد – بين الطبقة

---

(١) لمحات في علوم القرآن – الصباغ صـ ٢١٦ – ٢١٨ ، وكتاب جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه ، د / محسن عبد الحميد صـ ٣٥ وما بعدها .

(٢) المدرسة العقلية الحديثة صـ ٨٤ .

المثقفة الذكية في مصر وغيرها ، وبين الإلحاد والثورة على الدين ، وكان له فضل في بقاء نفوذ الإسلام الفكري والعلمي في أوساط الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي إلى غير ذلك من الأمور التي زرعتها دعوة جمال الدين الأفغاني في العالم الإسلامي عامة ومصر خاصة .

وكان من الأمور التي ركز عليها « الأفغاني » في دعوته تصحيح فهم المسلمين الخاطىء عن الإسلام كما ركز على رأب صدع المسلمين وجمع شملهم وتحقيق الوحدة بينهم . كما أنه قام بصد الهجوم الفكري الشامل الذي شنه المستعمرون ودوائرهم الثقافية على الإسلام وعقيدته ونبيه ورجال حضارته[1] .

المسألة الرابعة :

جمال الدين الأفغاني على خط الإمام محمد عبده :

أما الرجل الثاني الذي ركز عليه « جولد تسيهر » في فصله الأخير من المدرسة المصرية الشيخ محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني ووصفه بقوله : [وبعد الإذن لمحمد عبده بالعودة إلى مصر أكسبه استعداده ، وتبحره في علوم الدين والكلام مكانة رفيعة في المراتب الإسلامية فعين من جديد أستاذا بالأزهر وشيخا[2] لهذه المدرسة ومفتيا لوادي النيل وهذا الوصف ممثلا لأرفع مقام في الحياة الدينية العامة .. هذا التلميذ لجمال الدين ، هو الذي ينبغي عده المؤسس الحقيقي للتجديد الإسلامي الصادر عن مصر ..][3] .

ولد محمد عبده بن حسن خير الله في بحصة شبشير . وهي قرية من قرى المديرية الغربية سنة ١٢٦٥ هـ من القطر المصري .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ٩٩ - ١٠٠ ، وجمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه صـ ٤١ وما بعدها ، وجمال الدين الأفغاني - د / علي عبد الحليم صـ ٣١١ وما بعدها .

(٢) هذا وهم من المؤلف فلم يتول الشيخ محمد عبده مشيخة الأزهر وإنما كان عضوا في مجلس إدارته .

(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي صـ ٣٥٠ .

ثم تلقى علومه في الجامع الأحمدي ، وفي الأزهر، وتأثر كثيرا بالشيخ الأفغاني حتى عمل مدرسا في الأزهر ، ودار العلوم ومدرسة الألسن ، واشتغل في الصحافة ، حيث كان يذيع آراءه الإصلاحية ونُفي من مصر بعد إخفاق الثورة العرابية سنة ١٢٩٩ هـ فذهب إلى بيروت ثم إلى باريس التي أصدر منها مع شيخه جمال الدين الأفغاني جريدة « العروة الوثقى » التي عطلت بأمر من الحكومة الفرنسية بعد أن صدر منها (١٨) عددا . ولما عاد إلى مصر سنة ١٣٠٦ هـ تولى منصب القضاء ، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف ثم شغل منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ وبقي فيه إلى آخر حياته ، توفي بالسرطان سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م[١] .

كان الشيخ محمد عبده - رحمه الله - يستلهم هدى القرآن لإرشاد المسلمين ، وإصلاحهم في كافة جوانب حياتهم وكان ذلك ما عرف بالتفسير الإصلاحي الاجتماعي .

والذي يتفحص كتاباته يجد الشيخ ملما بالأوضاع الاجتماعية العامة والاتجاهات الفكرية المختلفة ، ومشاركا في العلوم الأساسية التي تقوم عليها الحضارة الحديثة ، ومدركا لخصوم الإسلام ومخططاتهم .

تركزت دعوة الشيخ الفكرية في أمرين .

١ - تحرير الفكر من قيد التقليد ، وكان يدعو إلى استئناف الاجتهاد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة وبالرجوع إلى الينابيع الأولى .

٢ - إصلاح اللغة العربية .

أما دعوته من الناحية السياسية فقد تركزت في أمرين كذلك :

١ - كان يدعو الأمة إلى معرفة حقها على حاكمها ، وأن عليها النصح للحاكم .

---

(١) لمحات في علوم القرآن - الصباغ صـ ٢١٨ ، وكتاب الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير د / عبد الغفار عبد الرحيم صـ ١٩ وما بعدها .

٢ - كان يدعو الأمة إلى مقاومة الاستعمار ، ومعارضة النفوذ الأجنبي في العالم الإسلامي .

أما دعوته الإصلاحية فكانت كذلك في جوانب متعددة منها :

دعا إلى إصلاح التعليم والأزهر ، وإلى نبذ الفرقة ، والاجتماع ، وترك التعصب المذهبي ، وترك البدع ، وبناء الحياة على أساس الإسلام . ودعا إلى قيام الأمة بالنصح للحاكم وإلى أن تعمل على التحرر من سلطان الاستعمار الغربي[١] .

منهجه في التفسير :

حرص الشيخ محمد عبده أن ينقي تفسير القرآن الكريم من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والخرافات ، والاستطرادات النحوية ونكت المعاني ، ومصطلحات البيان ، وجدل المتكلمين ، وتخريجات المتصوفين وتعصب الفرق ، وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية .

ولكن لما شعر أن هذا يحتاج إلى أموال وعلماء وزمن ، رأى أن يبقيه على حاله لما فيه من نفائس وأن يضع نموذجا في التفسير يحتذيه معاصروه ومن بعدهم . فاقترح عليه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا أن يقرأ درسا في التفسير فاستجاب له ففسر للآية (١٢٥) من سورة النساء في خمسة مجلدات وكانت طريقته التوسع فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ، واختصار ما برزوا فيه ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين . فكان يقرأ عبارته فينقدها أو يقرها ثم يتكلم بما يفتح الله عليه لطلبة الجمعية الخيرية الإسلامية[٢] .

من أهم آثاره في التفسير :

١ - تفسير جزء عم .

٢ - تفسير سورة العصر حيث ألقاها على علماء مدينة الجزائر ووجهائها

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢١٩ - ٢٢٠ وانظر كتاب الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير صـ ٦٥ .

(٢) المدرسة العقلية في التفسير صـ ١٤٣ - ١٤٤ .

سنة ١٣٢١ هـ .

٣ - بحوث تفسيرية كان ينشرها هنا وهناك بطريقة التفسير الموضوعي .

٤ - تفسير المنار من أول القرآن الكريم إلى آية (١٢٦) من سورة النساء . وهذا الأخير مصوغ بأسلوب السيد محمد رشيد رضا الذي كان يحضر الدروس ثم يكتبها بلغته ويدفعها إلى المطبعة ويطلع عليها الأستاذ الإمام بعد جمع الحروف وقبل الطبع[١] .

المسألة الخامسة :

منهج الإمام محمد عبده في التفسير في نقاط :

١ - الاتجاه إلى التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة .

٢ - عدم تحكيم قوانين البلاغة في النسق القرآني والأخذ منها ومن القواعد النحوية على قدر الضرورة والحاجة فحسب .

٣ - إثبات عدم وجود تعارض بين القرآن والعلم .

٤ - المطالبة من القرآن بدراسة الظواهر الكونية والطبيعية والصناعية .

٥ - الهجوم العنيف على التقليد والخرافة والدعوة إلى احترام العقل .

٦ - استخراجه لبعض نظريات علمية بفهم جديد في القرآن .

٧ - لا يبيح لنفسه تعدي حدود الفهم على أساس الوحي خاصة فيما وراء الحس .

٨ - الإسلام هو دين العقل ، والشريعة هي مصدر الخير والصلاح الاجتماعي وتكرار حملته على الساكتين من العلماء عن الإصلاح .

٩ - جعل القرآن أصلا للعقائد لا العكس .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٠ - ٢٢١ .

١٠ - التنفير من الإسرائيليات وعدم السماح لتفسير القرآن بها .

١١ - عدم إغفال الوقائع التاريخية في سير الدعوة إلى الإسلام : عند تفسير الآيات التي نزلت فيها .

١٢ - إخضاع حوادث الحياة القائمة في وقته لنصوص القرآن الكريم إما بالتوسع في معنى النص أو بحمل الشبيه على الشبيه[١] .

المسألة السادسة :

دعوة الشيخ محمد عبده في الميزان :

كثير الذين تناولوا الشيخ محمد عبده (١٢٢٦ - ١٣٢٣ هـ) (١٨٤٩ م - ١٩٠٥ هـ) بالدراسة والنقد والتمحيص لآرائه وأفكاره وقد بلغت إصلاحاته وآراؤه من الدفاع عن الإسلام ، وإصلاح مناهج التعليم وغيرهما من الشهرة والذيوع بما يغني عن الدخول في تفصيلاتها وتكرارها . ولكن الذي يهمنا هنا الاتجاهات العصرية عند الشيخ محمد عبده والتي ظهرت في كتاباته ، وبالأخص في تفسيره لبعض الآيات القرآنية ، وفي بعض فتاويه مما جعل بعض الباحثين يقرنونها بمدرسة سيد أحمد خان في الهند ؛ لأنها تشابه في بعض نواحيها مدرسة سيد أحمد خان في الهند حتى إن تلميذه رشيد رضا لا يخفي إعجابه بمقالة نشرتها في ذلك الوقت جريدة الرياض الهندية عنوانها : (هل ولد السيد أحمد خان ثانية بمصر وظهرت جريدته تهذيب الأخلاق بشكل المنار)[٢] .

ولقد أشار لهذا التشابه بين المدرستين اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة حيث يقول : [إن محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة فكرية حديثة في مصر ، قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند (مؤسس جامعة عليكرة) ثم يقول : إن أهمية السياسة ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين

(١) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير صـ ١٨٩ وما بعدها (الفصل الثامن) .

(٢) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٢ .

الغربي وبين المسلمين وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي] .

ويقول نيومان في كتابه (بريطانيا العظمى) عن الشيخ محمد عبده وتلاميذه [وكان برنامجهم فوق ذلك يشجع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر وهذا هو ما جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية .. وتعيين سعد زغلول باشا وزارة المعارف][1] .

وقد ظهرت هذه النزعة العصرية في دعوته كثيرا :

ففي منهجه لتفسير القرآن الكريم تتجلى نزعته لتفسير القرآن الكريم تفسيرا يتناسب مع المعارف الغربية السائدة في العصر الحديث مستخدما تحكيم العقل في ذلك .

من الأمثلة المشهورة عنه في ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾[2] بأنها جراثيم الجدري أو الحصبة يحملها نوع من الذباب أو البعوض[3] .

وتفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾[4] قال : المراد هنا « النمامون المقطعون لروابط الألفة » .

لأن السحرة المشعوذين يزعمون أنهم يقطعون الأواصر حتى بين المرء وزوجه بسحرهم .

وقد اضطره هذا التفسير إلى إنكاره أن يكون السحر حقيقة ملموسة ، بل هو عنده نوع من الأساليب الماكرة ، وضروب من الحيل الخفية ، ويؤول

---

(١) الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية صـ ٩٩ .

(٢) سورة الفيل : ٣ - ٤ .

(٣) التفسير بين الماضي والحاضر صـ ٢٩ .

(٤) سورة الفلق : ٤ .

ما جاء في القرآن عن السحر بأنه من قبيل التمثيل . ويرد الأحاديث الصحيحة فيه[1] .

كما فسر بعض المعجزات والآيات كذلك تفسيرا مجازيا حتى يخضعها لقانون الأسباب والمسببات .

فمثلا ذكر أن الملائكة قوى ترشد إلى الخير وتهتف به في نفس الإنسان وأوّل سجود الملائكة بخضوعها وامتثالها لأمر الله .

وذكر أن معصية آدم حين أكل من الشجرة رمز لقدرته على فعل الخير والشر . وقد برر الأستاذ « سيد قطب » هذا التأويل العقلي من الإمام محمد عبده أنه كان بسبب هجمات المستشرقيين المتكررة على الإسلام وادعائهم أنه دين خرافة فحاول الإمام من أجل ذلك أن يفسر القرآن تفسيرا عقليا مقبولا لهم ولكنه لم يوافقه على هذه التأويلات المخالفة للعقل والنقل ومقتضيات اللغة العربية[2] .

أما بالنسبة لفتاوى الإمام محمد عبده فقد لازم فيها جانب التأويل كذلك لم لا يتلاءم مع روح الحضارة الغربية .

فمن ذلك : أحل الإمام إيداع الأموال في صندوق التوفير وأخذ الفائدة عليها – أما تعدد الزوجات فله فيه موقف حيث قال : بعد تحدثه عن تاريخ التعدد عند الشعوب الأخرى ، وعند العرب قبل الإسلام : إن الإسلام خفف من العادة العربية في الإكثار من الزوجات وأنه وقف عند الأربع نسوة رحمة بالنساء من ظلم الجاهلية . لذا فهويرى أن الآن الظروف والملابسات السائدة في المجتمع ، ولاستحالة العدل بين النساء فلابد من منع تعدد الزوجات ، إلا في حالات استثنائية يقررها القاضي[3] .

---

(١) التفسير والمفسرون ٢ / ٥٧٢ – ٥٧٣ .

(٢) التفسير بين الماضي والحاضر د / عبد الله شحاته – دار الاعتصام صـ ٢٨ – ٢٩ .

(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٣ .

وهكذا يظهر ملامح المنهج العصري وموافقته المدرسة العصرية في الهند لموافقة الحياة الغربية من صرف القرآن الكريم عن معانيه الظاهرة أحيانا بحجة أنها تمثيل وتصوير ورده للسنة الصحيحة أحيانا لمعارضتها ما يظن أنه علوم العصر ، واستخدام المنهج التاريخي لمعالجة قضايا وأحكام الشريعة وربطها بظروف وملابسات مؤقتة . وإذا كانت هذه النزعات عند الشيخ محمد عبده ضعيفة ومصغرة ربما كان ذلك يعود لثقافته الأزهرية إلا أنها ظهرت واضحة قوية في تلاميذه وممن حملوا أفكار هذه المدرسة وتأثروا بها فيما بعد .

وسأذكر بعد قليل بعض هؤلاء التلاميذ باختصار الذين حملوا هذه الأفكار وصرحوا بالدعوة لها .

المسألة السابعة :

خلاصة القول في دعوة الشيخ محمد عبده :

١ - أن الاتجاه الذي تزعمه الشيخ محمد عبده في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ظهر بين نزعتين : غربية وإسلامية ومحاولة التوفيق بينهما وهذا الاتجاه عرضه لسخط المتفرنجين والداعين بدعوة الإسلام كليهما .

٢ - اتخذ محمد عبده تفسير القرآن الكريم أساسا لنزعته الإصلاحية إصلاح المجتمع والتجديد الديني التي تأثرت بمفاهيم الفكر الغربي .

٣ - يمثل اتجاه الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن الكريم مرحلة الدفاع عن الإسلام وكأنه في قفص الاتهام . يلاحظ هذا في كتابيه (الإسلام والرد على منتقديه) وكتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

٤ - علاقاته المريبة باللورد كرومر والمستشرقين ورجال الفكر الغربي ويدعم هذه النقطة عدة نقاط منها .

أنه كان يعظم بحوثهم ، وثناؤه على سياسة الإنجليز في التسامح والعدل وفي فتوى من فتاواه أجاز لأهل الهند من المسلمين أخذ القوانين الإنجليزية والخضوع

لأحكام القضاء الإنجليزي .

٥ - تنقسم حياة الشيخ محمد عبده الفكرية والسياسية إلى قسمين :

القسم الأول :

تأثره الكامل بجمال الدين الأفغاني وكان في هذه الفترة يدعو للتأمل والتفكر .

القسم الثاني :

بعد عودته لمصر من منفاه عمل في ظل صداقته بالبريطانيين كرومر والمستر بلنت .

٦ - رفع سلطان العقل في فهمه للقرآن وفي التحسين والتقبيح تأثرا بالمعتزلة .

٧ - إنكاره للسحر وبعض الأحاديث الصحيحة ، وجعله الملائكة قوى لا تعقل ، أباحته لربا الفضل ، وإنكاره تعدد الزوجات للمصريين .. إلخ[1] .

المسألة الثامنة :

محمد رشيد رضا على خط من سبقه .

أما الرجل الثالث الذي ذكره « جولد تسيهر » في هذا الفصل[2] « السيد محمد رشيد رضا » .

ولد السيد محمد رشيد بن علي رضا في القلمون وهي قرية بجانب طرابلس الشام سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م .

تلقى علومه الأولية في بلاد الشام ، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ واتصل بالشيخ محمد عبده ، وأصدر مجلة المنار التي كتب فيها تفسير المنار . توفي فجأة

---

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن صـ ١٠٩ وما بعدها .

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ٣٥١ وما بعدها .

في مصر سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م[١] .

مقدار ما تركه السيد محمد رشيد رضا في التفسير :

كان ما تركه محمد رشيد رضا في التفسير أكبر من المقدار الذي تركه شيخه محمد عبده حيث فسر القرآن الكريم من أوله إلى ما يقرب من آخر سورة يوسف ، أي أكثر من (١٣) جزءا من القرآن كما فسر سورة الكوثر والكافرون والإخلاص والمعوذتين[٢] .

ملاحظات حول تفسير المنار :

١ - القسم الأول من أول القرآن الكريم إلى الآية ١٢٦ من سورة النساء ليس له فيها إلا الصياغة أما الأفكار والمعاني فللأستاذ الإمام .

٢ - كان يعني بتفسير القرآن بالقرآن إن وجد وتفسير القرآن بالسنة ثم بعد ذلك يستعمل عقله المتحرر من كل ما قاله المفسرون .

٣ - عرض ما جاء في القرآن بأسلوب يرشد الناس لما فيه سعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة .

٤ - تبع في منهجه في التفسير منهج شيخه محمد عبده ولكنه بعد وفاة شيخه واستقلاله بالعمل خالف هذا المنهج بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية . والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة ، أو يحل بعض المشكلات التي يحتاجون لحلها ، كما كان كثير الرد على المفسرين ، وقد يكون عنيفا في رده أحيانا وكان يتصدى بنفسه لكثير

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٣ .

(٢) نفس المرجع صـ ٢٢٤ .

من الآراء المنحرفة التي تتصدى للإسلام[1] .

المآخذ على الرجل في تفسيره :

الاعتداد الزائد بعلمه الذي يجاوز الحد . مما دعاه لمخالفة العلماء في عدد من القضايا . ونقله من الإنجيل على الرغم مما يعرف عنه من إنكار رواية الإسرائيليات ، ومهاجمته المفسرين الذين يتساهلون في هذا الموضوع بعنف شديد[2] .

وقد أفرزت هذه المدرسة عدة رجال اهتموا بعلم التفسير كالشيخ محمد مصطفى المراغي ، وأحمد مصطفى المراغي ، وعبد العزيز جاويش ، وغيرهم .

هذا ماجعل المستشرقين وعلى رأسهم « جولد تسيهر » يهتمون بهذه الحركات الإصلاحية ويربطون بين المدرستين الهندية والمصرية لما فيهما من أفكار تلائم دعواتهم وتحقق أهدافهم ولما فيهما من انحرافات توافق ما ينسبونه للإسلام من افتراءات وادعاءات .

كما أن هذه الحركات الإصلاحية أفرزت اتجاهات إلحادية في التفسير أهدرت دلائل القرآن والسنة .

المسألة التاسعة :

ذكر بعض تلاميذ هذه المدرسة :

لاشك أن فكر الشيخ محمد عبده وشيخه من قبله جمال الدين الأفغاني والخط العصري الذي رسموه للإسلام خلال حياتهم وبعد مماتهم كان له كثير من الأنصار والتلاميذ والذين صرحوا بانحرافاتهم الفكرية في كثير من مقالاتهم ومؤلفاتهم أو في بحوث أو محاضرات لهم ، أو في مؤتمرات إلى غير ذلك من الوسائل التي صرحوا فيها بأفكارهم .

---

(١) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) لمحات في علوم القرآن صـ ٢٢٥ .

وسأذكر بعض هؤلاء التلاميذ باختصار :

١ - قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨ م) :

الذي نذر حياته لقضية المرأة والدعوة لسفورها وتحررها من كل قيد وضعه عليها الدين ، وطالبها أن تقتدي في حياتها بالمرأة الغربية وقد بث أفكاره هذه في كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة)[١] .

٢ - علي عبد الرزاق :

الذي كان أثرا من آثار النزعة الحرة لمدرسة الشيخ محمد عبده الذي تزعم الدعوة لفصل الدين عن الدولة في كتابه (الإسلام) وأصول الحكم) والذي كان صدوره في سنة ١٩٢٥ م بعد عام واحد فقط من إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا . وقد حوكم صاحب الكتاب وصودر كتابه[٢] .

٣ - محمد فتحي عثمان :

وهو صاحب نظرية التطور وقابلية الإسلام والمسلمين لها وكتابه الذي طرح فيه أفكاره لهذه القضية (الفكر الإسلامي والتطور)[٣] .

٤ - محمود الشرقاوي :

دعا لما دعا إليه السابق من عدم معارضة الدين للتطور وأشاد في كتابه الذي بث فيه أفكاره (التطور روح الشريعة الإسلامية) بمؤسس العصرية في الهند « سيد أحمد خان » وتلميذه « أمير علي » واعتبرهما من أصحاب الفهم الواسع للشريعة الإسلامية[٤] .

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٤٣ - ١٤٤ .
(٢) انظر الفكر الإسلامي الحديث - د / محمد البهي صـ ٢٦٥ ، ومفهوم تجديد الدين صـ ١٤٧ .
(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ١٦١ .
(٤) المرجع السابق صـ ١٧٠ .

٥ – أمين الخولي :

وهو من دعاة التجديد في كل شيء حتى في الأديان وظهرت أفكاره هذه في كتابه (المجددون)[١] .

ففي هذه المجموعة من التلاميذ كفاية ويظهر لنا جليا من خلال هذا الموجز الحدود العامة والخطوط الرئيسية التي التقي عليها العصريون في مصر ومقدار صلتهم بالحركة الأم للعصرية (حركة سيد خان في الهند) .

المسألة العاشرة :

تعليق على بعض الأخطاء في المدرسة العصرية :

من الأخطاء الجسيمة التي وقعت فيها (مدرسة العصرية) الأخطاء العقدية . وأكثر دعاة هذه المدرسة لم تكن عندهم الجرأة في الإفصاح عن عقائدهم في هذا الجانب ولم نجد تصريحا بهذه الآراء إلا من سيد أحمد خان الذي قدم منهجا متكاملا في العقائد الإسلامية اهتم بمنهجه أصحاب الدراسات الإسلامية المعاصرة وخاصة المستشرقون .

ففهمه للألوهية كما فهمتها الفلاسفة هي العلة الغائية وأن الله سبحانه خلق الكون والطبيعة ووضع لها قوانين ولكنه لا يتدخل في هذه القوانين بعد ذلك .

ثم عالج قضايا الوحي والنبوة والمعجزات والملائكة والجن .. إلخ . معالجة مادية بإنكارها أو تأويلها .. إلخ .

١ – فالمعلوم لدى المسلمين الذين منّ الله عليهم بصحة الاعتقاد أن الله سبحانه له أسماء وصفات تليق بمقامه سبحانه وهي من أمور الغيب والتي لا نعلم كنهها ولا كيفيتها، إنما نؤمن بها كما بلغتنا منه سبحانه أو حسب بيانها من رسوله – ﷺ – .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٦٢ .

قال أبو عمر بن عبد البر : [أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لايكيفون شيئا من ذلك ، ولا يجدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولايحملونها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر نافون للمعبود لا مثبتون ..][1] .

٢ - كلنا نؤمن يقينا أن الله خلق هذا الكون وما فيه من نواميس وقوانيين ولم يتخل عنه لحظة ولم يتركه إلى القوانين الطبيعية العمياء تتحكم فيه . بل سيره بقانون من قوانينه تتحكم به سلطة مهيمنة وقوة تسير الأشياء وفقه . والذي خلق هذا الكون ونواميسه هو الذي يدبر هذا الكون كيف شاء بهذه النواميس والقوانين أو بغيرها قال تعالى : ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** ﴾[2] ويسمي الله نفسه (القيوم) لأنه القائم بتدبير خلقه .

٣ - بناء على ما سبق تقريره أن هذا الكون وما فيه من قوانين طبيعية وسنن اجتماعية هي من خلق الله تعالى وتدبيره فما يكون من خرق لسنّة من السنن ، أو قانون من القوانين التي تعارف عليها الناس فهو بأمره سبحانه وتعالى وليس بمستغرب ، ولكن يكون خلقها بأي صورة من الصور أمرا خرافيا أسطوريا كما يتصور العصريون بما أثره عليهم التصور المادي الإلحادي وألجأهم لإنكار المعجزات والخوارق مؤولين لها بتأويلات مختلفة .

وهذا الانحراف قديم وسبب ظهوره بين المسلمين تأثرهم بالفلسفة اليونانية المادية البحتة[3] .

٤ - تسبب عن النظرة المادية في المدرسة العصرانية تأويل كثير من الغيبيات مثل : النبوة على أنها ملكة إنسانية . والوحي حاسة سادسة في البشر

---

(١) فتاوى الإمام ابن تيمية ٥ / ١٩٨ .

(٢) سورة فاطر : (٤١) .

(٣) مفهوم تجديد الدين صـ ٢٢٥ - ٢٢٨ .

ومرحلة عليا من العبقرية . الملائكة قوى الخير في النفس . والشياطين الإغراءات النفسية الشريرة . وحمل النعيم والعذاب على إشارات رمزية ، وغير ذلك من هذه التخيلات التي امتلأت بها كتب المتفلسفة من المسلمين . وبعثت حية في هذا العصر باسم التجديد .

فهذه القضايا لا تُثبَت كما ظن المجددون بالحس والتجربة ، وإنما بالخبر الصادق عن طريق الأنبياء[1] .

المسألة الحادية عشرة :

موقف العصريين من السنة النبوية المطهرة :

موقف العصريين متفاوت باتجاه السنة المطهرة فمنهم من يردها جملة ومنهم من يرد بعضها إذا عارض أفكارهم مرددين حججا واهية رددها الخوارج والشيعة والمعتزلة في القديم وأحياها المستشرقون حاليا وعلى رأسهم « غاستون وايت » ، والمبشرون وتلاميذهم من العصريين في عصرنا الحاضر وعلى رأسهم « أحمد أمين » في كتابه (فجر الإسلام) والدكتور أحمد عبد المنعم البهي وغيرهما فمن افتراءاتهم على السنة :

١ - تأخر كتابة الحديث وتدوينه للعصر الثاني الهجري وهو عصر الاضطرابات السياسية مما أكثر الوضع في الحديث وقلل الثقة فيه والاعتماد عليه .

٢ - زعمهم بأن المحدثين اهتموا بنقد سند الحديث دون متنه .

٣ - زعمهم أن بعض الأحاديث تناقض القرآن الكريم أو تناقض بعضها بعضا ، أو تناقض العقل والتجربة والعلوم البشرية ، أو تناقض حقائق التاريخ الثابتة .

٤ - زعم أن أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة . ومن أجل إظهار قوة

---

(١) نفس المرجع صـ ٢٢٩ (بتصرف) .

اعتراضهم وضع العصريون قواعد عصرية لنقد الحديث ولبيان المقبول منه على ضوئها . ولم يذكروها كاملة ، إلا أن (سيد خان) أشار لبعضها[1] .

هذه الافتراءات والإشكالات التي أوردوها على السنة المطهرة قد رد عليها في كتب متخصصة قديمة وحديثة . بينت تفاهة هذه الاعتراضات والشبه التي أوردوها وسلامة السنة من كل ما افتروه فيرجع إليها ، ولأنها خارج خطة بحثي هذا لم أذكرها ، من هذه الكتب :

- كتاب السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي .

- وتدريب الراوي للسيوطي .

- عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بإسناده والرد على شبهات المستشرقين وأتباعهم لأستاذي الدكتور محمود الطحان .

المسألة الثانية عشرة :

ملاحظات على عمل « جولد تسيهر » في هذا الفصل :

١ - حاول « جولد تسيهر » إلصاق تهمة المذهبية لمدرسة المنار . مع أن المطلع على منهج هذه المدرسة في التفسير يجده بعيدا كل البعد عن المذهبية . بل إن هذه المدرسة كانت قد نبذت المذهبية ودعت للعودة لمنهج السلف في فهمهم لهذا الدين بالرجوع لأصله ومصدره الأصيل (الكتاب والسنة) .

٢ - قصور بحث « جولد تسيهر » على اللون الاجتماعي من التفسير دون الإشارة للاتجاه العلمي في التفسير ، أو الأدبي ، أو البياني مع وجود كل هذه الألوان من التفسير .

٣ - الاقتصار في البحث على مدرستي الهند ومصر في التفسير دون غيرهما من المدارس المنتشرة في كثير من أقطار العالم الإسلامي .

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ٢٣٤ وما بعدها .

٤ – تركيز « جولد تسيهر » على جانب معين وزاوية ضيقة في مدرسة المنار وهو جانب العصرية وإبرازه جليا وتغاضيه عن بقية الزوايا التي ركزت عليها هذه المدرسة .

٥ – سيره في البحث بطريقة لامنهجية .

المبحث الثالث :

« ج. جومييه » ودراسته لكتاب الجواهر :

أحب أن أنوه على موقف مستشرق آخر من مدرسة المنار كان أكثر اعتدالا في بحثه وهو المستشرق الفرنسي « ج. جومييه » .

كان « جومييه » من المهتمين بالدراسات الإسلامية وقد تركزت دراسته على تفسيري المنار والجواهر .

فبعد موت صاحب المنار بثلاث سنوات في سنة ١٩٤٣ م واكتمال تفسيره الموسوعي اثنا عشر جزءا كبيرا ، برزت العناية بدراسة حركة التفسير في العصر الحديث مرة أخرى لدى المستشرقين وكان من أبرز المهتمين بذلك المستشرق ، « ج. جومييه » الذي نشر دراسته عن تفسير المنار في باريس ١٩٥٤ م بعد أن انقطع على دراسته (١١) عاما .

كما نشر بالمديو بحثا عن « طنطاوي جوهري » وتفسيره « الجواهر » كان يرى « جومييه » أن مصر بقيت مشدودة للماضي حتى في الجانب العقدي مقيسا المجتمع الإسلامي على المجتمع الغربي وظانا أنه صورة مكررة له(١) .

كان « جومييه » يرى أن تفسير مدرسة المنار والتفاسير التي عاصرته لم يتجه أي منها إلى استخدام وسائل النقد الحديثة في التفسير بل اتجه أصحابها بمنهجهم السلفي في النقد الخارجي ثم دعموه بإشارات مقتضبة من التحليل الداخلي

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر صـ ٨٤ – ٨٥

للنص فهو إذن استمداد لأعمال السابقين من أمثال الطبري والزمخشري وغيرهما ، واستبعد أن تنجح المناهج التقليدية السلفية والموروثة عن القدماء بعد أن تناولتها أيدي المحدثين في تقديم نتائج حديثة تماما وهي التي ظلت (١٤) قرنا من الزمان ثابتة لاتتغير[١] .

كما أكد « جومييه » أن مدرسة المنار أكدت على تقدير القرآن للعقل والحث على التأمل والنظر .

كما اعتبرت مدرسة المنار التاريخ والسنن الاجتماعية من أهم المسائل التي يجب الاستفادة منها وأن تجعل في خدمة التفسير .

دافع « جومييه » عن تفسير المنار برد التهمة التي وجهها إليه بعض المستشرقين أمثال « جولد تسيهر » من أن هذه المدرسة انغمست في التفسير العلمي ثم ذكر « جومييه » موقف أصحاب هذه المدرسة من قضية الاجتهاد والسلفية فكانت دراسة « جومييه » أكثر نضوجا وصوابا من دراسة « جولد تسيهر » الفجة اللامنهجية خاصة في بحثه في الفصل الأخير من كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)[٢] .

ملاحظات على دراسة « جومييه » :

أثار « جومييه » عدة قضايا عريضة تتعلق بهذا التفسير وتتطلب تفصيلا طويلا ، ولكنه مسها مسا خفيفا ، واكتفى في ذكرها بمجرد العرض .. ولكنه أتى بهذا العرض مصبوغا ببعض الأفكار والأغراض الذاتية التي تنأى عنها أمانة البحث وهذه بعض النقاط التي بينها « جومييه » .

١ - بين « جومييه » أن طريقة طنطاوي في تفسيره كانت باتباع الخطة القديمة ، ولكنه لم يكن يتتبع النص كلمة كلمة وآية آية كما كانوا يفعلون حيث

---

(١) نفس المرجع صـ ٨٦ .

(٢) نفس المرجع صـ ٨٩ - ٩٠ .

كانت طريقتهم تقسيم السورة لأجزاء متعددة كبيرة كان يتناولها جزءاً بعد جزء[1] .

وهذه النقطة لم يصب فيها « جوميه » لأن طنطاوياً كان بعد كتابة مجموعة من الآيات يتتبعها آية آية وكلمة كلمة .

٢ - اعتبر « جوميه » أن تفسير الجواهر لم يعد أن يكون انطباعات حيوية للمؤلف تجاه ما يتناوله النص القرآني من أسرار الكون ، وهذا ليس بصحيح كذلك ، لأن موضوع التفسير العلمي قضية قديمة مختلف فيها فمن بين من كان يراها ويؤيدها الإمام الغزالي ، والإمام السيوطي - رحمهما الله تعالى - اللذان اعتبراه لونا آخر من ألوان التفسير وطريقا للإعجاز العلمي . وقد تجلى هذا اللون من الإعجاز أخيرا على يد بعض المهتمين بالدراسات القرآنية كالشيخ عبد المجيد الزنداني - وفقه الله وغيره - .

٣ - حاول « جوميه » بالتقليل من أهمية هذا التفسير بتشكيكه في مصادره حيث جعل منها مصادر ذات أساطير ، أو انحرافات عقدية كرسائل إخوان الصفا وكتاب ألف ليلة وليلة .. إلخ[2] .

كلمة في الكتاب :

الذي ينظر في كتاب الشيخ طنطاوي جوهري يجد أنه حوى كثيرا من الفوائد ، وأخذ عليه كثير من المآخذ .

فالكتاب لم يغفل جانب التفسير للآيات القرآنية فإنه كان يفسر الآيات تفسيرا لفظيا مختصرا صحيحا ، وكان يعرض في كتابه لكثير من المباحث العلمية ليثبت للناس وعلى رأسهم علماء الغرب أن الإسلام بكتابه العظيم سبق المدارس العلمية الحديثة في كثير من قضايا العلم . وياليته مس هذا الموضوع مسا خفيفا كما فعل ذلك الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - في كتابه العظيم (في ظلال

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٠ - ٩١ .

(٢) نفس المرجع صـ ٩٣ وما بعدها .

القرآن) لكان بلغ المراد والغاية من تأليف هذا الكتاب . ولكن الشيخ « طنطاوي » -رحمه الله - استطرد في هذا الجانب حتى أخرج الكتاب عن الغرض الذي أحببنا أن يحققه وخاصة أنه زوده بالرسوم والصور التي تنافي قدسية القرآن العظيم حتى لكأنك تظن أنك مع كتاب علوم لا كتاب تفسير فكان هذا الأمر أكبر مأخذ على هذا الكتاب وكذلك تبني الشيخ « طنطاوي » لبعض النظريات العلمية القابلة للتغيير يجعل الناس يشككون في مقدار صحة هذا القرآن العظيم ، والقرآن منزه عن ذلك .

المبحث الرابع :

تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث :

في نظر « ج. بالجون » :

في سنة ١٩٦١ نشر في ليدن بانجلترا كتاب المستشرق « ج. بالجون » وفيه تحدث عن حركة التفسير - في العصر الحديث خلال المدة بين عامي ١٨٨٠ - ١٩٦٠ م . فتتبع أكثر الجهود الجديدة في التفسير في أغلب البلاد الإسلامية كمصر والهند وباكستان وإيران .

ويبدو من هذا أن المؤلف لم يأل جهدا في سبيل الاطلاع على مصادر التفسير الحديثة حيثما وجدت فاستعان بتفاسير كتبت بالأوردية والفارسية والعربية . ومع هذا فهو يأسف كثيرا لعدم تمكنه من الاطلاع على تفاسير كتبت بالتركية لعلها تمثل - في نظره - أهمية خاصة في تصوير الطابع العام لحركة التفسير في العصر الحديث[١] .

وقد اعتبر « بالجون » في كتابه أن شاه ولي الله ١٧٠٣ - ١٧٦٣ م كان رائد التفسير الإسلامي بالمعنى الصحيح لاستجابته للظروف الجديدة متفاعلا معها .

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن صـ ٩٥ .

فلسعة عمل الباحث ولسعة الرقعة الزمانية والمكانية جاء عمله فجا غير نضيج حيث قصر بحثه من الإنتاج المصري على كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) .

لذا اضطر المؤلف إزاء هذا التناول المجمل أن يكتفي بالوقوف عند كليات عامة لا تمثل حركة التفسير تمثيلا دقيقا ، أو جزئيات خاصة قد تستنكرها بيئة أخرى استنكارا تاما .

أما اهتمام كل من « بالجون » و « جومييه » بهذا الكتاب لاستفادة صاحبه من علم النفس الحديث ، وذلك لتأثره بالثقافة الغربية .

كما أظهر « بالجون » إعجابه بمقال الدكتور « كامل حسين » واعتبره من الممثلين لنهضة التفسير في مصر .

لذا جاء حكمه على النهضة التفسيرية في مصر قاصرة لحصره دراسته في هذين المؤلفين مع أن التفاسير المؤلفة في عصره كانت كثيرة .

ومع هذا فقد كانت نظرته مع قصورها أكثر صوابا من « جولد تسيهر » عندما اعتبر أن الدافع الأساسي لتفسير النص القرآني وألوانه لإيجاد مستند لهم في كل ما يجدّ من أحداث في الحقيقة القرآنية .

وهذا المنهج دفع المؤلف للوقوع في عدة أخطاء منها :

١ - زعم « بالجون » أن المسلمين كلما ازدادوا اتصالا بالحضارة الأجنبية ازدادوا حاجة في إعادة النظر في كتابهم المقدس فكان نتيجة هذا التأثر أن أصبحت الأمة الإسلامية متباينة في عقيدتها ومختلفة في وحدتها[١] .

٢ - يرى « بالجون » أن خطة التفسير العصري ومناهجه الابتعاد عن الإسرائيليات اكتفاء منهم بتفسير القرآن بطريقة قدماء المفسرين وهو تفسير القرآن بالقرآن .

---

(١) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن صـ ٩٧ - ٩٨ .

وقد حاول « بالجون » أن يضع اتجاهات التفسير الحديثة بين خيارين إما الطريقة القديمة وهي بالتمسك بالقديم والعقيدة الواحدة وهنا سيكون التفسير مجرد ترداد للقديم واجترار للماضي فهو جامد ومتخلف ولا جديد فيه .

وإما أخذ بمبادىء الحضارة الغربية والاستجابة لنداء النهضة الحديثة والإيمان بأساطيرها ونظرياتها وفلسفاتها فيكون نتيجة لذلك فساد في القيم وتباين في العقائد واضطراب في النصوص القرآنية وهذا هو ما يريدونه ويدعون إليه باسم الإسلام العصري بمفهومهم للتجديد .

وقد زعم « بالجون » أن الإسلام وحده هو الذي عنده القابلية للسير في هذا الطريق لطبيعته اللينة أما الكتب السابقة فهي ثابتة لا تتغير ودائمة مع طول السنين التي مرت عليها وهذا مخالف لما عرفنا من الكتب السابقة حيث تعرضت لنفس المطلب لإصلاح الناس ومسايرة علومهم ومعارفهم لروح العصر(١) .

أما التفسير الحديث فليس كما زعم « بالجون » جامدا لا جديد فيه بل حمل في طياته روح الابتكار ، وركز على جانب الهداية الربانية التي من أجلها أرسل الرسل فلبس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا جميلا أظهر روعة القرآن وكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية ووفق بين القرآن والنظريات العلمية بحذر بالغ فمن أجل هذا حذفت الاستطرادات التي تصرف النص عن غايته(٢) واقتصر على الضروري منه مع مراعاة مستوى القارىء لتستفيد منه كل الفئات(٣) .

المبحث الخامس :

موقف الغرب من العصرية في العالم الإسلامي :

يرقب الغرب الإسلام بعيون كثيرة ، ولدوافع وأهداف متعددة منها :

---

(١) نفس المرجع صـ ٩٩ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٠٤ .

(٣) اتجاه التفسير في العصر الحديث – محمد الطير صـ ٢٨ .

العداء الديني التاريخي ، ومنها المصالح الغربية الحيوية في العالم الإسلامي والخوف من منافس يزيل سيادة الغرب عن المنطقة .

فمن أجل هذا أو غيره فإن الغرب يرصد كل حركة في العالم الإسلامي فإن كانت لصالحه وخدمة لأهدافه باركها وشجعها ودعمها ، أما إن كانت حربا على مصالحه وأهدافه في المنطقة ، وجه كل طاقاته لإبادتها في مهدها ، وذلك بتوجيه أزلامه في المنطقة لضربها وسحقها .

فحركة التجديد الإسلامي مثلا بلا شك أنها وقعت منه موقع القبول والرضا لذا باركها ورعاها ومكن لأصحابها فسأذكر الموقف من العصرية في العالم الإسلامي من خلال ثلاثة مناظير هي : التبشير والاستشراق والإعلام .

أما موقف التبشير من العصرية فقد بينه « هاري درمان » في كتابه الذي ألف لبيان خطة التبشير على ضوء دراسة الاتجاهات المعاصرة في الجدل بين الإسلام والنصرانية واهتمام التبشير بتجديد الإسلام وإصلاحه من داخله .

يقول المؤلف : « يتوقع من المبشرين في الأقطار الإسلامية في ظرف عدة أعوام أن تثمر جهودهم في تجديد الإسلام وتطويره ، أكثر من تطوير عقلية المسلمين وتغييرهم .. » .

ويدعو الكاتب المبشرين إلى تدعيم صلات التعاون مع حركات التجديد الإسلامي متى كان الظرف مواتيا ومناسبا لما يمكن أن تؤديه من خدمة للتبشير[1] .

وكان نفس هذا الاتجاه قد برز في مؤتمر المبشرين في أول هذا القرن الذي انعقد في القاهرة سنة (١٩٠٦) موضوع (الإسلام الجديد) .

وأبدى حماسه لحركات الإصلاح الدينية مثل حركة « سيد أحمد خان »

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية صـ ١٩٢ ، ومفهوم تجديد الدين صـ ١٨٣ - ١٨٤ .

في الهند والشيخ « محمد عبده » في مصر فقد جاء في وثائق المؤتمر [أن حركة التحرر في الإسلام لم تتطور هنا في مصر كما هي الحال في الهند ، ولا يزال المسلمون هنا بعيدين بدرجة كبيرة عن الإسلام الجديد الذي نما في الهند ، ولكن مع ذلك فإنه قد بدأت تنشأ في مصر حركة إصلاح تزداد أهميتها كل يوم ، والذي يقود هذه الحركة هو المفتي الأكبر السابق « محمد عبده » الذي يدعو إلى العودة إلى القرآن مع عدم قبول الحديث كحجة في مسائل العقيدة ، ويقال : إن له تأثيرا في صغار المشايخ والأفندية ، إلا أن المشايخ كبار السن ينظرون له بعين الشك .. وبالرغم من كل شيء فقد ترك آثارا ويوجد الآن كثير من الشباب ممن تلقوا تعليما غربيا يحملون آراءه ويطورونها .. ولكن أهلية وذكاء أمثال هؤلاء الرجال الجدد تجعلنا نتحقق من ضرورة رعايتهم ، رعاية شاملة ومخصوصة مع جهد ومثابرة متواصلة للاتفاق معهم][1] .

أما موقف الاستشراق من العصرية :

ينظر الاستشراق لهذه الحركة نظرة تفاؤل كنظرة المبشرين لها ويحاول الاستشراق بكل جهده دفع المسلمين للسير في هذا الاتجاه وقبوله وخير من يبين موقفهم من هذه الحركة المستشرق اليهودي « جولد تسيهر » في كتابيه (العقيدة والشريعة في الإسلام) و (مذاهب التفسير الإسلامي) في الفصل الأخير لكل منهما .

حيث قال في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) :

[إن اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية ، وخضوع الملايين الفقيرة منهم لدول غير إسلامية ، .. قد أحدث أثراً عميقا في الطبقات الإسلامية المستنيرة ...من حيث التوفيق بالتوفيق بين الحياة والفكر الإسلامي ، وبين مطالب الحضارة الغربية التي نفذت إليهما ، شايعها على الأخص المستنيرون من مسلمي

---

(١) مفهوم تجديد الدين صـ ١٨٤ - ١٨٥ .

الهند ، وعضدوا نشاطها الاجتماعي والأدبي ، وساهموا في جهودها الخصبة المنتجة ، فالسيد « أمير علي » والسيد « سيد أحمد خان بهادر » وأضرابهما من الشخصيات البارزة في الأخذ في العالم الإسلامي ، كانوا قادة هذه الحركة الروحية التي تومي إلى إحياء الإسلام وإعادة تنظيمه .. وهذه الروح العصرية التي بدأ ظهورها في الهند قد أثرت في التفكير الديني في البلاد الإسلامية الأخرى مصحوبة بغيرها من المؤثرات ، ومع ذلك فالأثر الهندي لا يزال ضعيفا إلى اليوم ومن البلاد الإسلامية التي تأثرت بنزعة التجديد مصر وتونس ، والجزائر ، والأقطار التتارية الخاضعة للحكم الروسي][1] .

وقد بين « جولد تسيهر » الطريقة التي يتطور بها الإسلام .

١ – بفتح ثغرة في قدسية القرآن الكريم وحصن السنة المنيع في نفوس المسلمين .

٢ – تجاوز ما تقرر في عصور الإسلام الأولى من عادات وتقاليد .

٣ – مفهوم المصلحة الذي به يمكن التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة الجماعة تتطلب حكما يغاير حكم الشرع .

٤ – تبعية الأحكام للأحوال التي بها يمكن اتخاذ أحكام جديدة في الظروف التي تتغير[2] .

وقد أخذ هذا الموضوع كذلك جانب الاهتمام في التأليف من قبل هؤلاء الغربيين وتلاميذهم حيث كان منهم :

١ – « جب » صاحب كتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) .

والكتاب بكامله عن موضوع التجديد العصراني في الإسلام . فقد اعتمد الكتاب على الأسلوب التحليلي ، والكتاب عبارة عن ست محاضرات ألقاها المؤلف

---

(١) نفس المرجع صـ ١٨٥ – ١٨٦ .

(٢) نفس المرجع صـ ١٨٦ – ١٨٧ (بتصرف) .

في جامعة شيكاغو في عام ١٩٤٦ م ضمن برنامج محاضرات عن الأديان المقارنة .

٢ - « تشارلز آدمز » وكتابه بعنوان (الإسلام والتجديد في مصر) .

وهو أسبق من كتاب « جب » حيث ظهر في عام ١٩٣٣ م .

٣ - « ويد فريد كانتول سميث » وكتابه (الإسلام المعاصر في الهند) نشر ١٩٤٣ م .

أما موقف الإعلام الغربي من العصرانية .

فلم يقل دوره عن دور الكتب .

فمثلا نشرت مجلة الأيكونوميست البريطانية في يناير ١٩٨١ م مقالا بعنوان (المسلمون والعالم المعاصر) لـ« جودفري جانس » والموضوع يعالج قضية الصراع بين الإسلام والغرب .

ونقاط الاتفاق والخلاف بينهما وإلى أي مدي تجاوب الإسلام مع الحضارة الغربية[1] .

وهكذا نرى مقدار اهتمام الغرب بموضوع العصرانية ومقدار ما عقدوا عليها من آمال في تحقيق أغراضهم . مما يدعونا للوقوف بحذر أمام دعاتها في عالمنا الإسلامي اليوم .

---

(١) نفس المرجع صـ ١٩٣ - وما بعدها .

الخاتمـــــة

من خلال هذه الدراسة توصلت لعدة نتائج منها ضخامة الإنتاج الاستشراقي والدعم المادي الهائل له من قبل الحكومات الغربية ممثلة بالمؤسسات التبشيرية والمراكز العلمية وعلى رأسها الجامعات الغربية . وبالمقابل عدم الالتفات لهذا النتاج الاستشراقي من قبل المسلمين وخاصة مؤسساتهم التعليمية والمراكز الإسلامية ، لذا نجد هذه الكتب الاستشراقية لم تترجم من لغاتها إلى اللغة العربية وهي أكبر مشكلة تواجه علماء المسلمين إذا أرادوا التصدي لها والرد عليها .

وهذا الجهد الذي قمت به جهد متواضع وخاصة أنه جهد فردي لذا والأمر على هذه الضخامة فإنه يحتاج منا لتضافر الجهود من قبل الحكومات الإسلامية ممثلة في المؤسسات والمراكز العلمية والدعوية فيها ؛ لوضع حد للحملات الدعائية ضد الإسلام العظيم والقادمة من الغرب باسم التبشير تارة والاستشراق تارة أخرى ، وغير ذلك من المسميات . فيقومون برصدها واستيعاب نتاج هذه الحركات ثم نقده نقدا علميا صحيحا ودحض ما يتضمنه من تهافت وزيف .

ولي بعض المقترحات أحب أن أذكرها وأنا أعرف أنه سبقني للدعوة لبعضها أساتذة فضلاء غيورون على الإسلام ولكني أذكرها من باب الذكرى فحسب :

١ - إن الجهد الفردي لأعجز من أن يقف أمام مد الهجوم الاستشراقي على الإسلام ، فالأمر إذن يتطلب أن تكون هناك كليات خاصة ملحقة بالجامعات الإسلامية تتابع هذه الحركة ونتاجها وترصدها وترد عليها ، على غرار الأقسام الموجودة في جامعات الغرب لرصد الإسلام ككلية الدراسات الآسيوية الأفريقية

في جامعة لندن التي ترصد كل ما في الشرق من عقائد وشرائع وفكر وحركات .. إلخ .

وجدير بالذكر أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد أحسنت صنعا حين فتحت قسما خاصا بالاستشراق في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وآمل أن تزيد جامعتنا الموقرة في دعمها لهذا القسم بالمال والعلماء وأن تزوده بكل نتائج الغرب عن الإسلام قديما وحديثا ليتمكن من القيام بواجبه تجاه هذه الحركة الخطيرة .

كما وآمل أن تحذو جامعات أخرى حذوها في فتح أقسام خاصة لرصد حركة التبشير والاستشراق ونتاجهما العلمي الذي يغلب عليه العداء للإسلام العظيم عامة والقرآن الكريم خاصة .

٢ – إقامة مؤسسة علمية عالمية إسلامية محايدة لا تنتمي بالولاء لأي قطر ، يرصد لها الأموال الكافية لتغطية نفقاتها ، وعليها أن تستقطب كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي على غرار الحركات الاستشراقية .

فتقوم بإصدار الكتب والموسوعات والنشرات والدوريات عن الإسلام وترجمات معاني القرآن الكريم للغات العالمية رادين فيها على شبهات المستشرقين والمبشرين وافتراءاتهم ، ومقدمين الإسلام بطريقة سهلة واضحة ما يجعله يصل لقلوب أبناء العالم الغربي .

كما أنه يطلب من هذه الحركة إرسال الدعاة للعالم الغربي لعرض عقائد الإسلام وتشريعاته وفكره بما يتلاءم مع عظمته كدين عالمي . وعليهم مناقشة هؤلاء المستشرقين وبيان عوار أفكارهم وتصوراتهم عن الإسلام .

كما أن على عاتق هذه المؤسسات تنقية تراثنا الإسلامي مما دخله على أيدي العابثين وأصحاب النوايا السيئة في شتى الفنون ، لأن هذا التراث كان الركيزة كفكر هؤلاء المستشرقين وأبحاثهم .

٣ – كما أنه يلزم إرسال الأساتذة الدعاة للجامعات الغربية لإلقاء المحاضرات والندوات ولقاءات التحاور لتوضيح الفكرة الإسلامية ناصعة محفوظة من التشويه للعالم الغربي .

٤ – تعديل مناهج التعليم في الدول الإسلامية لتكون بعيدة عن الروح الغربية ، وصياغتها بما يلائم روح الإسلام وعقيدته وشريعته .

٥ – عقد مؤتمرات إسلامية سنوية للمفكرين والعلماء والدعاة من المسلمين لمتابعة المستجدات في الحركة الإسلامية ، فيضعوا الخطط الكفيلة برد مد هذه الحركة ، ووضع الردود المناسبة للجديد من شبهاتها .

وهذا المطلب على غرار مؤتمرات المستشرقين المتتابعة . والجدير بالذكر أنه قد عقد في السنوات الأخيرة مؤتمر استشراقي خاص بالقرآن وتفسيره وذلك في جامعة كلكاوي في كندا .

٦ – جعل المراكز الإسلامية في العالم الغربي تقوم بواجباتها باتجاه المد الاستشراقي وذلك برصد مقالاتهم وكتاباتهم وتزويدنا بها . ثم تشجيع المفكرين والعلماء المسلمين بالرد عليها ثم ترجمة الردود باللغات الغربية ونشرها هناك عن طريق هذه المراكز . أو عن طريق شراء صحيفة ومجلة أو غيرها من وسائل الإعلام لتقوم بنشر هذه الردود .

٧ – إقامة دورات للمبتعثين لديار الغرب للتخصصات الضرورية لتحصينهم من أفكار المستشرقين ودسائسهم ، ثم متابعتهم في دول الابتعاث بعقد لقاءات مستمرة لهم . ويجب تعريفهم بواجبهم تجاه دينهم الإسلامي .

وقد كانت المملكة العربية السعودية رائدة في هذا المجال حيث كلفت جامعة الإمام للقيام بمثل هذه اللقاءات والدورات للمبتعثين لديار الغرب .

ونأمل أن تستمر هذه الفكرة وأن تعمّ بلاد المسلمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

بحسب ترتيب السور في القرآن الكريم

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة فصلت

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة القدر

سورة البينة

سورة التين

سورة الفيل

سورة الماعون

سورة الكافرون

سورة المسد

سورة الفلق

سورة الناس

فهــــرس الأحـاديث والآثـار

فهــرس الأبيــات الشــعرية في

المتن والحاشــية بحسـب حـرف القافــية

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا — المقنع الكندي — ٦٧٧

وإن ضيعوا عهدي حفظت عهودهم
وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا — المقنع الكندي — ٦٧٧

يارب إني ناشد محمدا
وحلف أبينا وأبيه الأتلدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

كنت لنا وكنا ولدا
ثمت أسلمنا فلن ننزع يدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

فانصر هداك الله نصرا أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

فيهم رسول الله قد تجردا
أبيض مثل الشمس ينمو صعدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

وزعموا أن لست تدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا — عمرو بن سالم — ٦٤٩

أما ترى الحبل بتكراره
في الصخرة الصماء قد أثرا — عمرو بن سالم — ٦٨٠

ويوم موعدهم أن يحشروا زمرا
يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر — أمية بن أبي الصلت — ٢٥٦

مستوسقين مع الداعي كأنـهم رجل الجراد زفته الريح منتشر	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦
وأبرزوا بصعيـد مستـو جـرز وأنـــزل والميــزان والزبـــر	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦
فـمنهم فــرح راض بمبعثــــه وآخرون عصوا مأواهم سقـر	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦
يقول خزانها ما كان عندكــم ألم يكن جاءكــم من ربكم نذر	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦
قالوا بلى فتبعنا فتية بطــروا وغرنا طول هـذا العيش والعمــر	أمية بن أبي الصلت	٢٥٦
لا يبعدن قومي الذين هــم سم العـداة وآفــة الجـــزر	الخرنق بن قيس	٥٦٠
النـــازلين بكــــل معتـــــرك والطيبـــون معاقـــــد الأزر	الخرنق بن قيس	٥٦٠
دنت الساعة وانشق القمـــر عن غزال صاد قلبي ونفــر	امرؤ القيس	٢٥٦
أحور قد حرت في أوصافـه ناعس الطرف بعينيه حـــور	امرؤ القيس	٢٥٦
مـر يـوم العيـــد في زينتــه فرمـــاني فتعاطـــى فعقـــــر	امرؤ القيس	٢٥٦
بسهام مـن لحـاظ فاتــــك فتركنـي كهشـــيم المحتظـــــر	امرؤ القيس	٢٥٦
أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا ينحني عليها الأصابع	لبيد	٦٧٣

البيت	الشاعر	الصفحة
أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي / وقومـي تميم والفـلاة ورائي	سوار بن المضرب السعدي	٦٧٣
عند ذي العرش يعرضون عليـه / يعلـم الجهـر والكـلام الخفيـا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
يوم نأتيه وهو رب رحيـم / إنـه كان وعـده مأتيـا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
يوم نأتيه مثل ما قال فـردا / لم يذر فيه راشدا وغويـا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
أسعـد سعـادة أنـا أرجـو / أم مهـان بما كسبت شيئـا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
رب كلا حتمته واردا للنـار / كتابـا حتمتـه مقضيـا	أمية بن أبي الصلت	٢٥٩
أليس ورائي أن أدب على العصـا / فتأمن أعـداء وتسأمني أهلـي	أمية بن أبي الصلت	٦٧٣
ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثم أسلمي /	أمية بن أبي الصلت	٦٧٧

فهرس الأعلام

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى والألقاب

فهـــرس المصـــادر والمـــراجع

كتب العقائد والمذاهب الأخرى

١ – أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين في الإسلام .
د . عبد الرحمن الجزائري – مطبعة الإرشاد – ط ١ – لسنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

٢ – الأديان في القرآن .
د . محمود بن شريف – شركة مكتبات عكاظ – السعودية – ط ٥ – لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٣ – إظهار الحق .
للشيخ رحمت الله الهندي – تحقيق د . أحمد حجازي – طبعة دار التراث العربي – مصر .

٤ – إنجيل برنابا وإشارة تأليه عيسى عليه السلام من قبل موسى .
تحقيق سيف الله أحمد فاضل – طبعة دار القلم – الكويت – ط ١ – لسنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

٥ – الإنسان في ظل الأديان والمعتقدات والأديان القديمة .
د . عمارة نجيب – طبعة مكتبة المعارف – الرياض – لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

٦ – بولس وتأثيره في المسيحية .
رسالة مقدمة لقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من قبل الطالب وهيب البكري – لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٤٠٦ هـ .

٧ – بين الإسلام والمسيحية .
لأبي عبيدة الخزرجي – تحقيق د . محمد شامية – مكتبة وهبة – مصر لسنة ١٩٧٢ م .
٨ – تبيين كذب المفترى عليه .
لابن عساكر – طبعة التوفيق – دمشق .
٩ – تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب .
للشيخ عبد الله الترجمان – تحقيق محمد بن عبد الله البريدي – رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
١٠ – تعريف بمذهب الشيعة الإمامية .
د . محمد أحمد التركماني – طبعة دار عمار – عمان – سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
١١ – حقيقة الجن والشياطين .
محمد السيد أبي – دار الحارث – السودان – لسنة ١٩٨٧ م .
١٢ – الديانات المصرية القديمة .
يارو سلاف تشربي – ترجمة أحمد قدري – سلسلة الثقافة – هيئة الآثار المصرية – مصر – لسنة ١٩٥٢ م .
١٣ – دلائل النبوة .
لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ط ١ – لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
١٤ – رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان .
رسالة جامعية مقدمة لقسم العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للطالب عبد العزيز كجك – لسنة ١٤٠١ هـ / ١٤٠٢ هـ .
١٥ – الصابئون حرائيين ومندائيين .
رشدي عليان – مطبعة دار السلام – بغداد – لسنة ١٩٧٦ م .
١٦ – عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة .
عبد الكريم عبيدات – طبعة دار ابن تيمية الرياض .

١٧ – الفرق بين الفرق .
عبد القاهر البغدادي – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط ١ – لسنة ١٩٧٨ م .
١٨ – الفصل في الملل والأهواء والنحل .
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي – مكتبة السلام العالمية .
١٩ – الفكر الإسلامي في الرد على النصارى .
٢٠ – الكتاب المقدس
طبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربي – لسنة ١٩٨٠ م .
٢١ – الله (في نشأة العقيدة الإلهية) .
كتاب تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد – دار المعارف – القاهرة .
٢٢ – مختصر التحفة الاثني عشرية .
لشاه عبد العزيز علام حكيم الدهلوي – اختصار السيد محمود شكري الألوسي .
٢٣ – مريم والمسيح .
محمد متولي شعراوي .
٢٤ – المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل .
د . عبد الكريم الخطيب – دار الكتب الحديثة – ط ١ – لسنة ١٣٨٥ هـ .
٢٥ – المسيح في مصادر العقائد المسيحية .
للمهندس أحمد عبد الوهاب – نشر مكتبة وهبة – مصر – ط ١ لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٢٦ – مصادر الإسلام .
كلير تسدال – طبعة الهند .
٢٧ – معركة الوجود بين القرآن والتلمود .
د . عبد الستار فتح الله السعيد – مكتبة المنار – ط ٢ – لسنة ١٤٠٢ هـ .

٢٨ - مقالة في الإسلام .
جرجيس سال - طبعة سنة ١٨٩١ م .
٢٩ - الملل والنحل .
للشهرستاني - مكتبة السلام العالمية .
٣٠ - المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله ود . قسيس فندر .
دار ابن تيمية - الرياض - ط ١ - لعام ١٤٠٥ هـ .
٣١ - الموجز في تاريخ الصابئة .
عبد الفتاح الزهيري ومزيد المنصور - أركان بغداد - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٣٢ - ميلاد عيسى عليه السلام .
مسعود الغامدي - رسالة جامعية مقدمة لقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .
٣٣ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
لأبي الحسن الندوي - طبعة دار القلم - دمشق .
٣٤ - النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلامية .
أحمد عبد الوهاب - مكتبة وهبة لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .
٣٥ - نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان .
٣٦ - اليهودية .
د . أحمد شلبي - نشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٧ لسنة ١٩٨٤ م .

كتب التفسير وعلوم القرآن

٣٧ - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر .
د . محمود الشريف - دار التراث - القاهرة - ط ١ لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٣٨ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث .
محمد الحديدي الطير - مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر .

٣٩ - اتجاهات التفسير في العصر الراهن .
ذ . عبد المجيد عبد السلام المحتسب - ط ٣ - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م - نشر مكتبة النهضة الإسلامية - عمان .

٤٠ - الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها .
د . محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة - مصر .

٤١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر .
أحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بابن البدناء - طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت .

٤٢ - الإتقان في علوم القرآن .
جلال الدين السيوطي - طبعة مصطفى انبابي الحلبي وأولاده - ط ٣ - لسنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

٤٣ - الأديان في القرآن .
د . محمود بن شريف - طباعة شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع السعودية ط ٥ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٤٤ - الأساس في التفسير .
للأستاذ سعيد حوى - طباعة دار السلام - القاهرة .

٤٥ - أسباب النزول .
للإمام علي بن أحمد الواحدي - طبعة المتنبي - القاهرة .

٤٦ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
للشيخ محمد أبو شهبة - طبعة مكتبة السنة - القاهرة - ط ٤ - لسنة ١٤٠٨ هـ .
٤٧ - أسرار القرآن .
جرجيس سال - طبعة سنة ١٨٩١ م .
٤٨ - أصول التفسير وقواعده .
للشيخ خالد عبد الرحمن العك - دار النفائس - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
٤٩ - إعجاز القرآن .
لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف مصر - لسنة ١٩٥٤ م .
٥٠ - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية .
محمود السيد مصطفى - ط ١ - الاسكندرية - مؤسسة شباب الجامعة - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
٥١ - أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) .
للشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي - طبعة دار إحياء الكتب العربية - لسنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
٥٢ - الأمثال في القرآن الكريم .
لابن القيم - دار المعرفة - بيروت .
٥٣ - الأمثال القرآنية .
عبد الرحمن حبنكة - طبعة دار القلم - دمشق وبيروت .
٥٤ - أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى .
محمد تيسير ظبيان - دار الاعتصام .
٥٥ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه .
لمكي بن أبي طالب - ط ١ - لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٥٦ - إيقاظ الأعلام بوجوب اتباع رسم المصحف الإمام .
محمد حبيب الله الشنقيطي - ط ٢ - حمص - مكتبة المعرفة بيروت - لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م - وطبعة دار الرائد العربي - بيروت - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٥٧ - بدع التفاسير في الماضي والحاضر .
د . رمزي نعناعة - مؤسسة الأنوار - الرياض .

٥٨ - براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور .
د . محمد بدري عبد الجليل - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

٥٩ - البرهان في علوم القرآن .
الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - دار المعرفة - بيروت لسنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .

٦٠ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن .
كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني - تحقيق د . خديجة الحديثي و : د . أحمد مطلوب - مطبعة العاني - بغداد - ط ١ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٦١ - بيانات المعجزة الخالدة .
د . حسن عتر - دار النصر - سوريا - ط ١ - لسنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

٦٢ - تاريخ القرآن .
تيودور نولديكة - دار النشر جورج أولمز - هلد سهايم ونيويورك - سنة ١٩٧٠ م .

٦٣ - تاريخ القرآن .
عبد الصبور شاهين - طبعة دار العلم - القاهرة - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.

٦٤ – تاريخ القرآن الكريم .
د . محمد سالم محسن – نشر مؤسسة شباب الجامعة – المدينة المنورة .
٦٥ – تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه .
محمد طاهر الكردي – ط ١ – لسنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
٦٦ – تأويل مشكل القرآن .
لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة – شرح السيد أحمد صقر – المكتبة العلمية – القاهرة – ط ٣ – لسنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
٦٧ – التبيان في علم المعاني والبديع والبيان .
لشرف الدين حسين الطيبي – طبعة عالم الكتب – ومكتبة النهضة الحديثة .
٦٨ – التحبير في علم التفسير .
لجلال الدين السيوطي – طبعة دار العلوم – الرياض – ط ١ لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
٦٩ – التسهيل لعلوم التنزيل .
لابن جزي الكلبي – طبعة دار الكتب الحديثة – مصر .
٧٠ – التعبير الفني في القرآن .
د . بكري شيخ أمين – دار الشروق – بيروت – ط ٤ – لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
٧١ – تفسير البحر المحيط .
لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي – دار الفكر – بيروت – ط ٢ – لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .
٧٢ – تفسير البيضاوي . (المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي – دار الفكر – بيروت .
٧٣ – التفسير بين الماضي والحاضر .
د . عبد الله شحاتة – دار الاعتصام – مصر .

٧٤ – تفسير الخازن (المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل).
لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن – طباعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط ٢ – لسنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

٧٥ – تفسير « روح المعاني في التفسير » .
محمود بن عبد الله الآلوسي – نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى – طباعة دار الطباعة المنيرية .

٧٦ – تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .
للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي – دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان .

٧٧ – تفسير الطبري (المسمى جامع البيان عن تأول آي القرآن) .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر – دار المعارف – مصر – لسنة ١٣٧٤ هـ – وطبعة دار المعرفة – القاهرة .

٧٨ – تفسير الفخر الرازي (المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب) لأبي محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر – طبعة دار الفكر – بيروت – ط ٣ – لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٧٩ – تفسير القاسمي (المسمى محاسن التأويل) .
لمحمد جمال الدين القاسمي – دار الفكر – بيروت – ط ٢ – ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٨٠ – تفسير القرآن العظيم .
إسماعيل بن عمر بن كثير – طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة وطبعة المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة .

٨١ – التفسير والمفسرون .

للشيخ محمد حسين الذهبي – طبعة دار الكتب الحديثة – مصر – ط ٢ لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

٨٢ – توثيق نص القرآن الكريم .
موريس بوكاي – طبعة دار الكندي .

٨٣ – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم .
الرماني – والخطابي – وعبد القاهر الجرجاني – دار المعارف – مصر .

٨٤ – الجامع لأحكام القرآن .
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكاتب العربي .

٨٥ – جمع القرآن .
جون بيرتون – دار نشر ومطبعة جامعة كمبردج – لندن – نيويورك .
ملبورن – ط ١ – لسنة ١٩٧٧ م وطبعة سنة ١٩٧٩ م .

٨٦ – حجة القراءات .
أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة – تحقيق سعد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – ط ٢ – لسنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م – الحركات الإسلامية والقوى المضادة .

٨٧ – خصائص القرآن الكريم .
د . فهد الرومي – مكتبة الحرمين – الرياض .

٨٨ – دراسات حول القرآن الكريم .
د . إسماعيل الطحان – طبعة مكتبة الفلاح .

٨٩ – الرد القرآني على كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن .
عبد الله كنون – دار الكتاب اللبناني – بيروت لسنة ١٩٨٢ م .

٩٠ – رسم المصحف .
غانم قدوري الحمد – منشورات اللجنة الوطنية – بغداد – ط ١ – لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٩١ – دراسات في التفسير ورجاله .

أبو اليقظان عطية الجبوري - طبعة دار الندوة الجديدة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م .
٩٢ - درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز .
ابن أبي الأردستاني - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٩٧٧ م .
٩٣ - دلائل الإعجاز .
عبد القاهر الجرجاني - نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - وطبعة مطبعة المدني - القاهرة .
٩٤ - رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها .
د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي - دار الشروق - جدة - ط ٢ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٩٥ - روائع الإعجاز في القصص القرآني .
محمود السيد حسن - المكتب الجامعي الحديث - الإسكندرية .
٩٦ - سيكولوجية القصة في القرآن الكريم .
د . التهامي نقرة - رسالة جامعية مقدمة لجامعة الجزائر - طباعة الشركة التونسية للتوزيع - لسنة ١٩٧١ م .
٩٧ - شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردها .
محمد صادق القمحاوي - ط - لسنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م .
٩٨ - الشيعة وتحريف القرآن .
محمد مال الله - طبعة شركة الشرق الأوسط للطباعة - عمان .
٩٩ - الشيعة والقرآن .
إحسان إلهي ظهير - الناشر إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان .
١٠٠- ظاهرة التكرار في القرآن الكريم .
د . عبد المنعم السيد حسن - طبعة دار المطبوعات الدولية - القاهرة ط ١ - لسنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٠١- عنوان البيان في علوم التبيان .
للشيخ محمد حسنين مخلوف - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - ط ٢ - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
١٠٢- غاية النهاية في طبقات القراء .
لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري - نشره ج . برجستراس دار الكتب العلمية - بيروت .
١٠٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن .
لأبي يحيى زكريا الأنصاري - تحقيق الشيخ الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت .
١٠٤- فتح المنان في نسخ القرآن .
طبعة الخانجي - مصر - ط ١ - لسنة ١٩٧٣ م .
١٠٥- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان .
لابن القيم الجوزية - طبعة دار نشر الكتب الإسلامية - كوجرا نوالة - باكستان .
١٠٦- في ظلال القرآن .
سيد قطب - مطبعة إحياء التراث - بيروت - ط ٧ - لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ومطبعة دار الشروق .
١٠٧- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين .
عبد الفتاح القاضي - مكتبة الدار - المدينة المنورة .
١٠٨- القرآن .
ريجي بلاشير - طبعة دار الكتاب اللبناني - بيروت .
١٠٩- القرآن والمبشرون .
محمد عزت دروزه - المكتب الإسلامي - دمشق - طبعة ١ - لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
١١٠- القرآن والمستشرقون .

رابح لطفي جمعة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - لسنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م .

١١١- قصص الأنبياء .
عبد الوهاب النجار- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة ٣.

١١٢- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته .
د . فضل حسن عباس - دار الفرقان - عمان - ط ١ - لسنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١١٣- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية .
د . فضل حسن عباس - دار البشير - عمان .

١١٤- القواعد والإشارات في أصول القراءات .
أحمد بن عمر الحموي - طبعة دار القلم - دمشق .

١١٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - دار المعرفة - بيروت .

١١٦- الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها .
لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق محيي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

١١٧- كشف المعاني في متشابه المثاني .
لشيخ الإسلام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن جماعة- تحقيق عبد الوهاب المشهداني - رسالة ماجستير مقدمة لقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

١١٨- اللآلي الحسان في علوم القرآن .
د . موسى شاهين لاشين - مطبعة الفجر الجديد - مصر .

١١٩- لباب النقول في أسباب النزول .
جلال الدين السيوطي - دار إحياء العلوم - بيروت .

١٢٠- مباحث في إعجاز القرآن .
د . مصطفى مسلم - دار المنارة - بيروت .
١٢١- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير .
محمد الصباغ - المكتب الإسلامي - دمشق .
١٢٢- مباحث في علوم القرآن .
صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت .
١٢٣- مباحث في علوم القرآن .
للشيخ مناع القطان - مؤسسة الرسالة - بيروت .
١٢٤- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم .
د . محمد حسين الصغير - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت
ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ - / ١٩٨٣ م .
١٢٥- محاضرات في علوم القرآن .
د . نور الدين عتر - طبعة جامعة دمشق - لسنة ١٤٠٤ هـ .
١٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
لابن عطية الأندلسي - المملكة المغربية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
١٢٧- المحكم في نقط المصاحف .
لأبي عمرو الداني- طبعة دار الفكر- ط٢- لسنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
١٢٨- محمد عبده ومنهجه في التفسير .
د . عبد الغفار عبد الرحيم - دار الأنصار - القاهرة .
١٢٩- مدخل إلى القرآن الكريم .
محمد عبد الله دراز - دار القلم - الكويت .
١٣٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم .
محمد أبو شهبة - دار اللواء - الرياض - ط٣ - لسنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

١٣١- المدرسة العقلية في التفسير .
فهد بن عبد الرحمن الرومي - مؤسسة الرسالة - بيروت .
١٣٢- مذاهب التفسير الإسلامي .
اجنتس جولدتسيهر-دار اقرأ- بيروت -ط٢- لسنة ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
١٣٣- المرشد الوجيز في علوم الكتاب العزيز .
شهاب الدين عبد الرحمن المعروف بأبي شامة - دار صادر - بيروت .
١٣٤- المصاحف .
لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٣٥- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي بزينب بنت جحش رضي الله عنها .
د . زاهر الألمعي - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض .
١٣٦- مصادر وطرق تفسير النصوص القرآنية .
ج . فانسبرف - مطابع جامعة أكسفورد .
١٣٧- معاني القرآن .
للإمام أبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش - تحقيق د . فائز فارس - طبعة الكويت - ط ٢ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
١٣٨- معاني القرآن .
لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - عالم الكتب - بيروت .
١٣٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن .
لجلال الدين السيوطي - تحقيق علي البجاوي - طباعة ونشر دار الفكر العربي .
١٤٠- مفاهيم جغرافية في القصص القرآنية .
د . عبد العليم خضر - دار الشروق - جدة .
١٤١- المفردات الأجنبية في القرآن .
آرثر جيفري - المعهد الشرقي بارودا .

١٤٢- المفردات في غريب القرآن .

للراغب الأصفهاني - دار المعرفة - بيروت .

١٤٣- مقدمة أصول التفسير .

تقي الدين أحمد بن تيمية - دار القرآن الكريم - بيروت ط ٣ - لسنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

١٤٤- مقدمة القرآن .

دبليو مونتجمري واط - الكتاب الثامن من سلسلة دراسات مسيحية إسلامية مطبعة الجامعة - أدنبرة .

١٤٥- مقدمة القرآن .

ريتشارد بل - طبعة مطبعة جامعة أدنبرة - سنة ١٩٣٥ م .

١٤٦- مقدمة القرآن .

ريجي بلاشير - طبع في باريس سنة ١٩٥٨ م .

١٤٧- مقدمتان في علوم القرآن .

منها مقدمة لابن عطية - تحقيق آرثر جيفري - مكتبة الخانجي - القاهرة . سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

١٤٨- مناهج في التفسير .

د . مصطفى الجويني - نشر منشأة المعارف - الإسكندرية .

١٤٩- مناهل العرفان .

للشيخ الزرقاني - طبعة دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٥٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين .

لابن الجزري- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٥١- منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله في ضوء القرآن .

محمد الدريعي - رسالة جامعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٤٠٣ هـ .

١٥٢- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن .
لأبي الحسن علي الحسين الندوي - دار القلم - دمشق - ط ٦ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١٥٣- النبي وأزواجه في سورة الأحزاب .
عبد الحميد طهماز - دار القلم - دمشق .
١٥٤- النشر في القراءات العشر .
لأبي الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥٥- النقط .
لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني - دار الفكر - سوريا .
١٥٦- النقول في أسباب النزول حاشية على تفسير الجلالين .
طبعة عبد الحميد حنفي - مصر .
١٥٧- نكت الانتصار لنقل القرآن .
للإمام أبي بكر الباقلاني - الناشر منشأة المعارف - الإسكندرية .
١٥٨- نواسخ القرآن .
لابن الجوزي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥٩- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .
د . محمد حجازي - دار الكتب الحديثة - مصر طبعة سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
١٦٠- وحي الله : حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة . نقض مزاعم المستشرقين .
د . حسن ضياء الدين عتر - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
١٦١- الوحي المحمدي .
د . محمد حسين الذهبي - طبعة مكتبة وهبة - مصر - ط ١ - لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٦٢- الوحي والقرآن الكريم .
د . محمد حسين الذهبي - نشر مكتبة وهبة - مصر - ط ١ لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
١٦٣- الوصايا العشر (دراسة مقارنة) .
د . عبد الفتاح عاشور - مطبعة الحضارة العربية - مصر - ط لسنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
١٦٤- يسألونك عن ذي القرنين .
أبو الكلام أزاد - طبعة دار الشعب - القاهرة .
١٦٥- اليهود في القرآن .
عفيف طيارة - دار العلم للملايين - بيروت -دار الكتب - بيروت .

كتب السنة وعلومها

١٦٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري .
أحمد بن محمد القسطلاني - دار صادر - بيروت .
١٦٧- أصول الحديث (علومه ومصطلحاته) .
د . محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م .
١٦٨- بذل المجهود في حل أبي داود .
للشيخ خليل أحمد السهارنفوري - دار اللواء - الرياض .
١٦٩- تذكرة الموضوعات .
محمد بن طاهر الفتني - إدارة الطباعة المنيرية -وطبعة بيروت .
١٧٠- التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد .
لابن عبد البر - طبعة المطبعة الملكية المغربية .
١٧١- تهذيب التهذيب .
لابن حجر العسقلاني - طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن- الهند - لسنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
١٧٢- سنن الترمذي .
لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة - تحقيق أحمد شاكر - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧٣- سنن أبي داود .
للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني - دار الفكر - بيروت .
١٧٤- سنن ابن ماجه .
لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧٥- شرح المواقف .

للإمام جلال الدين السيوطي - طبعة مكتبة النهضة العربية - بيروت - ط ١ لسنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٧٦- صحيح البخاري .
للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا - لسنة ١٩٧٩ م .

١٧٧- صحيح مسلم .
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية - طبعة دار الفكر - بيروت - لسنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٧٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري .
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية - طبعة المطبعة السلفية .

١٧٩- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني .
عبد الرحمن الساعاتي - نشر دار الحديث - القاهرة .

١٨٠- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير .
جلال الدين السيوطي . نشر دار الكتاب العربي - بيروت .

١٨١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس .
للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني - طبعة دار إحياء التراث - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٥٢ هـ .

١٨٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
للحافظ نور الدين علي الهيثمي - طبعة دار الكتاب - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

١٨٣- المراسيل .
لأبي داود السجستاني - طبعة مؤسسة الرسالة .

١٨٤- المستدرك على الصحيحين .
لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري - طبعة ونشر دار الكتاب العربي - بيروت .
١٨٥- مسند الإمام أحمد .
للإمام أحمد بن حنبل - دار الفكر - بيروت .
١٨٦- الموطأ .
للإمام مالك بن أنس - طبعة دار الحديث - بيروت .
١٨٧- النهاية في غريب الحديث والأثر .
للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - نشر المكتبة الإسلامية .

كتب اللغة العربية وآدابها

١٨٨- الأضداد .

للأصمعي - دار الكتب العلمية - بيروت .

١٨٩- الأضداد .

محمد بن القاسم الأنباري - طبعة المكتبة العصرية - وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

١٩٠- الأغاني .

لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة دار الفكر .

١٩١- تاريخ الأدب العربي .

كارل بروكلمان - نقله للعربية د . عبد الحليم النجار - ط ٥ - دار المعارف - مصر .

١٩٢- تاريخ آداب العرب .

مصطفى صادق الرافعي - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية - لسنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

١٩٣- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان .

لشرف الدين حسين الطيبي، - طبعة عالم الكتب - ومكتبة النهضة الحديثة .

١٩٤- خزانة الأدب .

عبد القادر البغدادي - طبعة دار صادر - بيروت - والمطبعة السلفية - القاهرة .

١٩٥- شرح المعلقات السبع .

للزوزني - مكتبة المعارف - بيروت .

١٩٦- الشعراء الجاهليون .
محمد عبد المنعم خفاجي - مطبعة حجازي بالقاهرة - ط ١ - لسنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .
١٩٧- الشعر والشعراء أو ما يسمى طبقات الشعراء .
لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- تحقيق د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط ١- لسنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
١٩٨- كتاب سيبويه .
لأبي عمرو عثمان بن قنبر . طبعة عالم الكتب - بيروت .
١٩٩- لسان العرب .
لابن منظور - دار لسان العرب - بيروت .
٢٠٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
لابن تيمية - طبعة إدارات البحوث والدعوة والإرشاد - الرياض .
٢٠١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها .
جلال الدين السيوطي- طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح- مصر.
٢٠٢- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين .
د . عفيف عبد الرحمن - دار العلوم - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٢٠٣- معجم مقاييس اللغة .
أحمد بن فارس - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - وطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

كتب التاريخ والسيرة النبوية الشريفة

٢٠٤- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .
لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي - طبعة مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة - ط ٤ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٢٠٥- الإصابة في تمييز الصحابة .
لابن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٠٧- البداية والنهاية .
للحافظ ابن كثير - مكتبة المعارف بيروت - وطبعة دار السعادة - مصر .
٢٠٨- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) .
ابن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٠٩- تحفة الطائف في فضائل الحبر بن عباس ووج والطائف . للشيخ محمد الهاشمي .
٢١٠- حياة محمد .
أميل د . منغهم - نقله للعربية محمد عادل زعيتر - دار إحياء الكتب العربية - مصر .
٢١١- حياة محمد .
محمد حسين هيكل - طبعة دار الكتب المصرية والنهضة المصرية - القاهرة .
٢١٢- حياة المسيح .
عباس محمود العقاد - دار الكتاب العربي - بيروت .
٢١٣- خاتم النبيين .
محمد أبو زهرة - طبعة دار الفكر العربي - بيروت - ط ١ - لسنة ١٩٧٣ م .

٢١٤- الدرر اختصار المغازي والسير .
للحافظ يوسف بن عبد البر النمري - دار المعارف - مصر .

٢١٥- الرسول - ﷺ - في كتابات المستشرقين .
للأستاذ نذير حمدان - لسنة ١٤٠١ هـ .

٢١٦- السيرة النبوية .
للذهبي - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٢١٧- سيرة ابن هشام مع حاشية الروض الأنف .
لابن هشام - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٣ - لسنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٢١٨- الطبقات الكبرى .
لابن سعد - دار صادر - بيروت .

٢١٩- قصة الحضارة .
ديورانت ول - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .

٢٢٠- قيمة التاريخ .
جوزاف هورس - دار مكتبة الحياة - بيروت .

٢٢١- الكامل في التاريخ .
لابن الأثير - دار صادر ودار بيروت - بيروت .

٢٢٢- كتاب النبي ﷺ .
د . محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٢٢٣- محمد رسول الله .
محمد رشيد رضا - دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٢٢٤- النبي محمد .
عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة - دار المعرفة - بيروت .
٢٢٥- النبي وأزواجه في سورة الأحزاب .
عبد الحميد طهماز - دار القلم .

كتب أخرى

٢٢٦- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها .
(التبشير - الاستشراق - الاستعمار) .
د . عبد الرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - دمشق - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٢٧- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي .
د . صابر طعيمة .
عالم الكتب - بيروت - لسنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٢٨- أساليب الغزو الفكري .
د . علي محمد جريشة - ومحمد شريف الزيبق - طبعة دار الاعتصام - المدينة المنورة .

٢٢٩- الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه .
إسحاق موسى الحسيني - طبعة الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية التدريبية لمبعوثي الأزهر - مطبعة الأزهر - القاهرة لسنة ١٩٦٧ م .

٢٣٠- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري .
د . محمود حمدي زقزوق - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - لسنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٣١- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم .
د . مصطفى السباعي - طباعة المكتب الإسلامي - ط ٢ - لسنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٢٣٢- الإسلام في الفكر الغربي .
محمود حمدي زقزوق - دار القلم - الكويت .

٢٣٣- الإسلام في الفكر الغربي .
د . محمد شامية - مكتبة وهبة - القاهرة .

٢٣٤- الإسلام والمستشرقون .
عدد خاص صدر عن ندوة العلماء لكنهو في الهند .
٢٣٥- الإسلامية والقوى المضادة .
نجيب الكيلاني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
٢٣٦- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين .
لأبي الحسن علي الحسيني الندوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٣٧- إظهار الحق .
للشيخ رحمت الله الهندي - تحقيق د . أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي - مصر .
٢٣٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين .
لابن القيم الجوزية - تعليق عبد الرؤوف سعد - طبعة دار الجيل - بيروت .
٢٣٩- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي .
عبد الكريم علي باز - طبعة تهامة - جدة - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . رسالة جامعية .
٢٤٠- التبشير والاستشراق .
محمد عزت الطهطاوي - طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة - لسنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
٣٤١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية - بيروت - صيدا - ط ٥ - لسنة ١٩٧٣ م.
٢٤٢- تراث الإسلام .
لجنة الجامعيين لنشر العلم - مكتبة الآداب - مصر - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٢٤٣- تصحيح المفاهيم .
أنور الجندي - دار الاعتصام - القاهرة .
٢٤٤- جمال الدين الأفغاني .
د . علي عبد الحليم محمود - الناشر دار عكاظ - السعودية .
٢٤٥- جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه .
د . محسن عبد الحميد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٤٦- الحجاب .
لأبي الأعلى المودودي - مؤسسة الرسالة .
٢٤٧- حضارة العرب .
د . غوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر - طبعة دار إحياء التراث بيروت - لبنان - ط ٣ - لسنة ١٩٧٩ م .
٢٤٨- دائرة المعارف الإسلامية .
تأليف مجموعة من المستشرقين - أصدرها بالعربية أحمد الشنتاوي وآخرون دار المعرفة بيروت ودائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغة الفرنسية .
٢٤٩- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية تيودور نولديكة تأليف رودي بارت - طباعة دار الكاتب العربي - بيروت .
٢٥٠- رؤية إسلامية للاستشراق .
د . أحمد عبد الحميد غراب - مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض - المملكة العربية السعودية - لسنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
٢٥١- رد مفتريات على الإسلام .
عبد الجليل شلبي - دار القلم - الكويت .
٢٥٢- شمس العرب تسطع على الغرب . (أثر الحضارة العربية في أوربا)

للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه - ترجمة فاروق الجديدة وكمال دسوقي - ط ٨ - لسنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٢٥٣- الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية .
لأبي الحسن علي الحسني الندوي - دار القلم - ط ٤ - لسنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٥٤- صور استشراقية .
د . عبد الجليل عبده شلبي - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
٢٥٥- الغزو الفكري .
محمد جلال كشك - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة .
٢٥٦- فجر الإسلام .
أحمد أمين . الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - ط ١٢ - لسنة ١٩٦٩ م .
٢٥٧- فقه السنة .
سيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٥٨- فقه عمر بن الخطاب .
جامعة أم القرى - مكة المكرمة - كتاب رقم ٣١ - ط ١ - لسنة ١٤٠٣ هـ .
٢٥٩- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .
د . محمد البهي - مكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - ط ٦ - لسنة ١٩٧٢ م .
٢٦٠- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر .
عبد المجيد الشرفي - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - نشر الدار التونسية - تونس - لسنة ١٩٨٦ م .

٢٦١- فلسفة الاستشراق .
د . أحمد سمايلوفتش - طبعة دار المعارف - مصر .
٢٦٢- الفهرست .
لابن النديم - نشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
٢٦٣- في الغزو الفكري (المفهوم - الوسائل - المحاولات) .
نذير حمدان .
مكتبة الصديق - الطائف - المملكة العربية السعودية .
٢٦٤- مستشرقون (سياسيون - جامعيون - مجمعيون) .
نذير حمدان - نشر مكتبة الصديق - الطائف - المملكة العربية السعودية .
٢٦٥- المستشرقون .
نجيب العقيقي - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة .
٢٦٦- المستشرقون والإسلام .
د . إبراهيم عبد المجيد اللبان . طبعة سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
٢٦٧- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي .
إبراهيم خليل أحمد - مكتبة الوعي العربي - القاهرة - لسنة ١٩٦٤ م .
٢٦٨ المستشرقون ومشكلات الحضارة .
د . عفاف صبرة - دار النهضة العربية - القاهرة - لسنة ١٩٨٠ م .
٢٦٩- مفهوم تجديد الدين .
بسطامي محمد سعيد - دار الدعوة - الكويت .
٢٧٠- المنتقى من دراسات المستشرقين .
د . صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت - لسنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
٢٧١- موسوعة للمستشرقين .
د . عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين - بيروت .

فهرس الموضوعات

استدلوا على ذلك بأمور منها :

قضايا أخرى متفرقة استدلوا بها :

الفصل الثاني :

المبحث الأول :

المبحث الثاني :

المبحث الثالث :

المبحث الأول :

المبحث الثاني :